www.kotobarabia.com

# عظمة القرآن والسنة

www.kotobarabia.com

علي محمد سلام

# كتاب عظمة القرآن

## دراسات حول الشريعة الإسلامية الخالدة


بقلم

**علي محمد سلام**



٢٠٠٥م

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش د. مصطفى مشرفة . سوتير سابقاً

تليفون وفاكس ٤٨٤٦٥٠٨ الإسكندرية

# فهرس


إهداء ..... ٥
مقدمة ..... ٦

**الباب الأول**

القرآن الكريم والحديث الشريف ..... ٨

**الفصل الأول**

مع القرآن الكريم ..... ٩

**الفصل الثاني**

مع السنة النبوية الشريفة ..... ٣٠

**الفصل الثالث**

العدد في القرآن الكريم ..... ٤٨

**الفصل الرابع**

العدد في التشريع ..... ٥٦

**الفصل الخامس**

الشجر في القرآن الكريم ..... ٨٦

**الباب الثاني**

المواد الشرعية الإسلامية ..... ٩٥

**الفصل الأول**

عدالة نظام التوريث الإسلامي ..... ٩٦
مبادئ وأسس التوريث ..... ١٠٢

**الفصل الثاني**

حساب المواريث ..... ١٠٣

**الفصل الثالث**

فرائض ومسائل مشهورة ..... ١١٩

**الباب الثالث**

**الفصل الأول**

قضاء الإمام ..... ١٢٨

## الفصل الثاني

أويس القرني في الزاهدين ..... ١٣٧

## الفصل الثالث

فقه وأدب في حديث أم زرع ..... ١٤٤

## الفصل الرابع

الفخر والمفاخرة ..... ١٥٢

## الفصل الخامس

الواوات ..... ١٦٢
J&O ..... ١٧١

# إهداء

* علـ .ـى عتبـ .ـات أبـ .ـي دمعـ . . . . ـة وفـ . . . . ـاء
* وإلـ .ـى أسـ .ـماع أمـ .ـي همسـ . . . .ـة دعـ . . . .ـاء

إقراراً بحقِهما، وعرفاناً بفضلِهما.... من ثمرة غرسهما

# مقدمة

تسابق المسلمون في جميع الأعصر والأمصار، وعلى كافة المستويات والأقدار إلى العناية بالقرآن الكريم وخدمته، علماء وأمراء، ملوكا ورؤساء، أصحاب يسار وأغنياء، فنانين وأدباء، وكان الباعث على أغلب العلوم التي اشتغل بها المسلمون هو خدمة كتاب الله الخالد: فعلوم النحو والبلاغة هدفها تقويم اللسان وعصمته من الزلل في نطق القرآن، وإبراز خصائص اللغة العربية ومواطن الجمال التي تظهر وجوه الإعجاز في القرآن، والتماس الشوارد والشواهد، في معرفة الألفاظ والوقوف على المعاني.

وأما التجويد فيضبط الأداء القرآني، ويبين قراءاته ولهجاته، والتفسير يبين معانيه ويكشف مراميه، والفقه يوضح الأحكام، وعلم الكلام يتعرض للعقائد والاستدلال عليها، إلى غير ذلك من العلوم، وقد ضرب آخرون بسهم في نواح أخرى، كمظهر من مظاهر شرف خدمة القرآن وسبيل لنيل حظ من رضا الله وثوابه، فهذا (خطاط) يفتن في كتابته بأجمل الخطوط، وذاك (فنان) يزخرف صفحاته، ويطرز سجله، ويذهب غلافه، و (تقني) يسجل ترتيله على أشرطة مسموعة، أو يطوع الحاسب الآلي فيدخل فيه الآيات والألفاظ والحروف، وكل ما يتعلق من بيانات ومعلومات عن القرآن الكريم، حتى تصبح طوع كل راغب في لحظة، وثمة أناس خيرون أتاهم الله فضلا، فهم يرصدون الأموال لتحفيظه ودرسه وطباعته، وكذا الهيئات العلمية والمجمعات التي قامت في كثير من الدول الإسلامية لخدمة القرآن الكريم. ويمكن القول أنه لم يظفر كتاب من الكتب في أية أمة قديمة أو حديثة بمثل ما ظفر به القرآن الكريم، على أيدي المسلمين وبمعاونة غيرهم، مما يؤكد وعد الله بحفظه وتكفله برعايته، بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩).

وإذا حدثك إنسان أنه رأى شجرة وارفة الظلال، ممتدة الأفنان في كل اتجاه، تحمل من ألوان الثمر الشهي والزهر الندي، ما يوجد في كل أنواع الشجر، من حلو الطعم وطيب المذاق، فتذكر القرآن، صورة جميلة رسمها وجدان مؤمن هداه الله، فلن يجد أروع ولا أمثل من أن يشبه بها القرآن، ولعلنا نذكر جمال تمثيل الكلمة الطيبة، كلمة الإيمان في الصورة القرآنية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم٢٤، ٢٥)، والحياة تحت هذه الشجرة نعمة، وقد عاش هذه الحياة وأحسها وصورها المرحوم الأستاذ (سيد قطب)، وعبر عنها في مقدمة كتابه (في ظلال القرآن) بأنها نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه، ندعو الله تعالى أن يسبغها علينا، وأن نكون دائما في شرف خدمة القرآن الكريم، ربيع القلوب، ونور الصدور، وجلاء

الهموم، وسائقنا إلى جنات النعيم.

ولتكن هذه الدراسات دعوة للقاريء أن يتفيأ ظلال هذه الشجرة المباركة تمتعا بـ أنعم الله، ونفحات القرآن الكريم.

**والله سبحانه وتعالى من وراء القصد وهو يهدي السبيل**

# الباب الأول

## القرآن الكريم والحديث الشريف

# الفصل الأول

# مع القرآن الكريم

## * * القرآن والوحي ** 

### أ) معنى القرآن:

٤: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْ وَانَهُ سُ بُلَ السَّ لامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة:١٥، ١٦)، بمثـ ل هذا حدث القرآن عن نفسه، فكان أبين وأدل من بيان أصحاب الفقه له، بقـ ولهم إنـ ه: " اللفـ ظ العربي المنزل على محمد ﷺ للتدبر والتذكر، المنقول تواترا، وهو ما بـ ين الـ دفتين، المبـ دوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس "؛ فإن ما يقولون من التدبر والتذكر لا يفي بمكان القـ رآن الذي هو من العربية قاموس لغتها، وتاج أدبها، وهو في الإسـ لام معجـ زة دعوتـ ه، ودعامـ ة شريعته، وهو من الإنسانية دعوة خالدة إلى سبل الخير والسلام.

اسمه (قرآن) مهموزًا، أو (قران) بغير همز، وقد قال القدامى الكثير في بيان أصل الاسـ م لغة ومعنى وتصريفا، فإذا همز– وهو الأغلب – فهو من الفعل (قرأ) بمعنـ ى تـ لا أو بمعنـ ى طرح، لأنه متلو، أو لأنه يجمع السور بعضها إلى بعض، أو لأن القارئ يلقي اللفظ ويطرحـ ه، وإذا لم يهمز، فهو من الفعل (قرن) بمعنى ضم، لضمه السـ ور والآي والحـ روف، أو بمعنـ ى المشابهة لأن بعضه يشبه بعضا، ويؤيد بعضه بعضا، وقد يعبر عنه بأسماء أخرى مثل: الفرقان والكتاب، ويبلغون بهذه الأسماء إلى نيف وتسعين اسما، ويفردونها بالتأليف، ولكنها في الأغلـ ب ليست إلا صفات للتنزيل: كالهدى والرحمة والشفاء والموعظة والحكمة [١].

### ب) الوحي وصوره:

يتناول الوحي الإلهام الفطري للإنسان عامة: مثل الوحي إلى أم موسى، وإلى الحـ واريين، والإلهام الغريزي للحيوان: مثل الوحي إلى النحل في اتخاذها البيوت من الجبال ومـ ن الشـ جر

(١) أمين الخولي: دائرة معارف الشعب ١٩٥٩– مجلد ١، ص٧.

ومما يعرشون [1]، أما الوحي الإلهي إلى الأنبياء فهو خاص بإبلاغهم تعاليم السماء.

وقد اتخذ الوحي الإلهي صورا شتى بينها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى:٥١) فيلقي المعنى في قلب النبي أو ينفث في روعه، أو يكلمه من وراء حجاب كما كلم الله موسى عند البقعة المباركة من الشجرة في طور سيناء، أو يرسل ملكا، وهي صورة الوحي التي نزل بها القرآن، وهي ما اصطلح عليه (بالوحي الجلي).

وكان ملك الوحي، الأمين جبريل يهبط على الرسول في صور شتى: فتارة يظهر للرسول في الصورة الملائكية، وتارة في صورة إنسانية يراه الحاضرون ويستمعون إليه، وكان يأتي في صورة الصحابي دحية بن خليفة الكلبي[2]، وتارة أخرى خفية لا يرى، ولكن يظهر على الرسول ﷺ التغير كأنها غشية أو إغماء، وما به شيء من ذلك، ويكون وقعه مثل صلصلة الجرس أو دوي النحل مع ثقل يحسه الرسول ﷺ يؤثر على الدابة التي يركبها، ويتصبب منه الجبين عرقا في الليلة الباردة [3].

---

(٢) يعرشون: يستظلون ، فالعرش والعريش هو ما يستظل به ، ابن منظور: لسان العرب ، دار المعارف ، مجلد ٤ ، ص٢٨٨١.

(٣) ابن الأثير الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، طبعة دار الشعب ، ص٢ ، ص١٥٨.

(٤) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ، طبعة مصطفى الحلبي ،١٩٧٨ ، ج ١. ، ص٥٩ .

# * * في نزول القرآن ** 

## أ) تنزلات القرآن:

شرف الله ﷻ القرآن، بأن جعل له ثلاثة تنزلات:

١. تنزل إلى اللوح المحفوظ، ودليله قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ = ٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (البروج:٢١، ٢٢)، وطريقة هذا النزول لا يعلمها إلا الله، وحكمته إقامة اللوح المحفوظ سجلا جامعا لكل ما قضي الله وقدر، وما كان وما سيكون، وشاهدا ناطقا على عظمة الله وعلمه وحكمته وواسع سلطانه.

٢. تنزل إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وكان في ليلة القدر وهي ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر:١) وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٥)، وهذا التنزيل الذي نوهت عليه الآيات الثلاث، جاءت به الأخبار الصحيحة مثل حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن الرسول ﷺ قال: " أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ". أخرجه الحاكم والبيهقي عن طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما [١]

٣. تنزل بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، على قلب الرسول ﷺ مفرقا منجما خلال ثلاث وعشرين سنة، من بعثته إلى وفاته، ودليله قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ =١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء ١٩٣ . . .١٩٥).

والحكمة من النزول مرتين: جملة ومفرقا، هو تفخيم أمر القرآن، وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع، أن هذا هو: آخر الكتب المنزلة، على خاتم الرسل، لأشرف الأمم، بخلاف الكتب السابقة التي نزلت جملة واحدة [٢].

## ب) حكمة نزول القرآن منجما:

اقتضت حكمة الله ﷻ أن ينزل القرآن مفرقا أي موزعا ومقسما على الأزمنة وكذلك الأمكنة، قال تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾

(١) الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن – طبعة عيس البابي الحلبي – جـ ١. ص ٤٤
(٢) الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن، طبعة عيسى البابي الحلبي، جـ ١.، ص٤٣.

(الإسراء:١٠٦) وذلك للأسباب التالية:

## أولاً: تثبيت فؤاده ﷺ وتقوية قلبه.

لما في تجدد الوحي وتكرار نزوله من سرور وغبطة يملآن قلبه ﷺ، وتأكيد على تأيي د الله له ورعايته، وتعهده بإزاء الخصوم المعارضين من الكفار، مما يهون عليه الشدائد.

## ثانياً: التدرج في تربية الأمة الناشئة:

لما في التدرج من التيسير على الأمة، حفظا وفهما، والتمهيد لكمال التخل ي ع ن العقائ د الباطلة، والعبادات الفاسدة والعادات المرذولة، والتمهيد لكمال التحلي بالعقائد الحقة، والعب ادات الصحيحة، والأخلاق الفاضلة.

## ثالثاً: مسايرة الحوادث والطواريء في تجددها وتفرقها:

إجابة للسائلين عما يوجهونه من أسئلة للرسول ﷺ، ومجاراة للأقضية والوقائع في حينه ا، وإرشاد المسلمين إلى تصحيح أخطائهم، وكشف أحوال المنافقين وهتك أستارهم وسرائرهم للنبي وللمؤمنين.

## رابعاً: الإرشاد إلى مصدر القرآن:

بأنه كلام الله وحده، ولا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه، فهو محك م السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياتـ ه وجمله، يجري دم الإعجاز فيه من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة، لا تفك ك ولا تخ اذل بـ ين أجزائه كأنه حلقة مفرغة أو سمط جيد، وعقد فريد يأخذ بالأبصار، نظم ت حروف ه وكلماتـ ه، ونسقت جملة وآياته، وجاء آخره مساوقا لأوله، وبدا أوله مواتيا لآخره[1].

## أ) أسباب النزول:

القرآن قسمان: قسم نزل من الله ابتداء لمحض هداية الخلق، وقسم مرتبط بسبب خاص نزل من أجله.

وسبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، مبينة لحكمه، مثل حادثة وقعت أو سؤال وجه إلى الرسول ﷺ مثل: حادثة السكران الذي أم الناس في الصـ لاة، ثـ م قـ رأ سـ ورة الكافرون بعد الفاتحة، فقال: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وحذف لفظ (لا) من (لا أعبد)،

---

([1]) المرجع السابق: جـ ١.، ص٥٣ وما بعدها.

فنزل قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء ٤٣).

وكذلك الأمنيات والرغبات الخاصة بعمر بن الخطاب، وعرفت (بالموافقات العمرية)، مثل:

- قوله للرسول ﷺ: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة١٢٥).
- وطلبه احتجاب نساء رسول الله ﷺ اللواتي يدخل عليهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (الأحزاب ٥٣).
- وقوله لنساء النبي ﷺ، حين اجتمعن عليه ﷺ في الغيرة: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ ﴾ فنزلت آية (التحريم: ٥ ).

وأهمية معرفة أسباب النزول ترجع إلى معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل، والاستعانة على فهم الآية، ومنع الإشكال عنها، فالعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ففي قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:١١٥)، يدل ظاهر لفظ الآية على أن الإنسان يصلي إلى أية جهة يشاء، لكن إذا علم أن هذه الآية نزلت في صلاة المسافر، أو فيمن اجتهد في القبلة وصلى، ثم تبين خطؤه، عرف السبب وفهم الحكم.

وتعرف أسباب النزول بالنقل الصحيح عن الصحابة (رضوان الله عليهم) ممن رووا وسمعوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا علمها، ولا يقبل ما يروى عن التابعي أي المرسل[1].

(1) المرجع السابق: ج١، ص٩١٤ وما بعدها.

# * * كتابة القرآن وجمعه * *

## أ) كتابة القرآن:

انتقلت (أبجديات) الحرف العربي الناشئة في شمال الجزيرة العربية، بتأثير الحرف النبطي إلى الحجاز في غرب الجزيرة عن طريق قوافل التجارة، التي أشار إليها القرآن،في قوله تعالى: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (قريش: ٢)، واستقرت هذه الحروف في مكة ويثرب قبل الإسلام، ومنها انتقلت إلى الحيرة، وصح التعبير عن الأمة العربية بأنها أمة أمية، لا تقرأ ولا تكتب ولا تحسب، وقد بُعث النبي الأمي ﷺ والقراءة والكتابة منحصرة في نفر قليل، وامتثالا لأول أمر نزل به الوحي القرآني، في قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق:١)، حث على تعلم القراءة والكتابة، وشجع ذلك بعد هجرته ﷺ بأن جعل فداء الأسرى في بدر، مبلغا من المال، ومن عجز– وكان ذا دراية بالكتابة– عليه أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين، وقد اتخذ ﷺ كُتَّابا من أكفأ من يكتبون، لكتابة الوحي الشريف، والرسائل إلى حكام الدول والإمبراطوريات يدعوهم إلى الإسلام، وقد نشر الباحث محمود شيت خطاب عام ١٩٨٧ في مجلة المورد العراقية، دراسة عن كُتّاب النبي ﷺ الذين كانوا يكتبون الوحي والسفارات والرسائل النبوية والعهود والمواثيق، وقد بينت الدراسة أن معظمهم كانوا من الخلفاء الراشدين الأربعة، والسابقين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار، وقد أحصاهم تفصيلا، وذكر شيئا من ترجمة كل منهم، وقد بلغوا ٣٨١ كاتبا [١].

## ب) جمع القرآن:

تطلق كلمة الجمع على معنيين: حفظ القرآن في الصدر، وكتابته وتدوينه في الصحف، وقد تحقق كلا المعنيين في حياته ﷺ، فقد حفظه، وانتقش على صفحات قلبه ﷺ وحفظه كذلك كثير من الصحابة (رضوان الله عليهم) منهم: الخلفاء الراشدون الأربعة، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وسالم مولي أبي حذيفة، وأبو هريرة وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة؛ وأم سلمة؛ وكلهم من المهاجرين؛ ومن الأنصار في حياته ﷺ من حفظ القران: أُبى بن كعب؛ ومعاذ بن جبل؛ وزيد بن ثابت؛ وأبو الدرداء؛ ومُجمِّع بن جارية؛

---

(١) د.محمد زايد يوسف: تاريخ كتابة المصحف الشريف ، مؤسسة عكاظ ، جدة ١٩٩٢، ص ٢٥ ، ٤١.

وانس بن مالك وغير هم [1].

و يذكر أن كان لهؤلاء القوم حافظة قوية؛ حتى قيل: أن العرب قد خُصّت بـ الحفظ وكـ ان أحدهم يحفظ أشعار بعض من سمعة واحدة.

أما المعنى الثاني للجمع فقد تحقق بكتابة القران وتدوينه في حياته ﷺ فيما أتيح من الأكتاف والأضلاع والاقتاب والكرانيف واللخاف والعسب [2] وقد نهى ﷺ عن كتابـ ة أى شـ يء غيـ ر القرآن، خشية الاختلاط بغيره، أو اشتغال الصحابة عنه بسواه.

## ١) الجمع في عهد أبى بكر ﷺ:

هَالَ عمر بن الخطاب ﷺ استشهاد عدد كبير من قراء الصحابة من حفظة القرآن، فـ ي موقعة اليمامة مع أهل الردة ١٢ هـ .، فاقترح على أبى بكر ﷺ جمع القرآن خشـ ية الضـ ياع والتفرق، فتردد حيث لم تكن لذلك سابقة في عهد الرسول ﷺ و لكنه اقتنع بصواب الرأى الـ ذي تكون فيه المصلحة بحفظ القرآن، وصيانته من الضياع فأرسل إلى زيد بن ثابت – أشد النـ اس إتقانا للقرآن، ووعيا بحروفه، وأداء لقراءاته، وضبطا للغاته، والذي اجتمـ ع لـ ـه مـ ن المزايـ ا والخصائص ما لم يجتمع لغيره من كبار الصحابة الأسن منه، والأقدم إسلاما، والأكثر أفضالا – وشرع زيد يتتبع القرآن ويجمعه من المواد السابق الإشارة إليها ومن صدور الرجال، حتى تـ م جمعه في صحف، ويشار إلى أنه لم يعتمد على الحفظ وحده، ولم يقبل شيئا مـ ن المكتـ وب، إلا بشاهَدَىْ عدل، بأن ذلك قد كتب بين يدي الرسول ﷺ، حتى أنه وجد الآيتين من خـ واتيم سـ ورة براءة: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾ (التوبة: ١٢٨،١٢٩) مع خزيمة بن ثابت الأنصاري وحده – وكان الرسول ﷺ قد جعل شهادة خزيمة بشهادة رجلين، في قصة الفرس التي ابتاعهـ ا ﷺ من سواء بن قيس المحاربى، رغم أ ن زيدا كان يحفظها، وكثيـ را مـ ن الصـ حابة كـ انوا يحفظونها، قد ظلت هذه الصحف في رعاية الخليفة الأول أبى بكر مدة خلافته، ومن بعده انتقلت إلى عمر ثم إلى ابنته (أم المؤمنين حفصة) بعد وفاته [3] ولعل لهذه الزوجة من أمهات المسلمين صفة أو ميزة خاصة، فإلى جانب بنوتها للخليفة، وزوجيتها للرسول ﷺ فقد كانت تقرأ وتكتـ ب فهي أهل لحفظ القرآن.

---

(١) عبد الفتاح القاضي : المصحف الشريف ؛ أبحاث في تاريخه و أحكامه – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٨ ؛ ص٥٦ .

(٢) الأكتاف والأضلاع : عظام البعير و الشاة ، الأقتاب : جمع قتب و هو الخشب الذي يوضـ ع علـ ى ظهـ ر البعير ليركب ، و الكرانيف : جمع كرنافة و كرنوفة وهى السعف الغلاظ العراض ، اللخاف : جمع لخفة و الحجارة الرقاق ، العسب : جمع عسيب وهو جريد النخل .

(٣) المرجع السابق ، ص٥٦ ، الزرقانى مناهل العرفان ، ٢٤٩.

ويمتاز الجمع في عهد أبي بكر ﷺ:

- أنه اقتصر على ما لم تُنْسخ تلاوته.
- لم يقبل فيه إلا ما تواترت روايته بالقطع.
- أنه مرتب الآيات والسور على الوضع الذي نقرؤه اليوم.
- أنه اشتمل على جميع الأحرف السبعة.

## الأحرف السبعة:

اختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة، وأكثر أهل العلم منهم: سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وأبو جعفر محمد بن جرير، أن المراد بها سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو: أَقبِل وتعال وهلم، وروى ابن عباس عن أبي بن كعب، أنه كان يقرأ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ (الحديد: ١٣)، يقرأها: للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أَخّرونا، للذين آمنوا أرقبونا، وكان يقرأ: ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾ (البقرة:٢٠) يقرأها: مَرُّوا فيه، وسَعَوا فيه، وكان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات [١]، وبعينها هنا، أن هذه الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع المشهورة بهذا العدد، وأن هذه الأحرف إنما هي لهجات مختلفة في اللغة العربية، وقد وجدت في القرآن جملة، وكانت ضرورة حيوية اقتضاها الواقع اللغوي للعربية، وقد ارتفعت هذه الضرورة عندما تغير حال المجتمع العربي الإسلامي وانضبط الأمر وتربت الألسن وكثر الناس والكُتَّاب [٢].

## ١) الجمع في عهد عثمان ﷺ:

في عام ٢٥هـ اجتمع أهل الشام وأهل العراق في غزوة أرمنية وأذربيجان، وكان فيهم حذيفة بن اليمان، الذي رأى كثرة اختلاف المسلمين في وجوه القراءة، وسمع ما كانت تنطق ألسنتهم من كلمات التجريح والتأثيم التي يقذف بها بعضهم البعض عند اختلافهم في القرآن، ففزع إلى عثمان، وطلب منه أن يدرك الناس قبل أن يختلفوا في كتاب الله كما اختلف اليهود والنصارى، فجمع عثمان أعلام الصحابة، وأولي الرأي، الذين أجمعوا رأيهم على نسخ مصاحف ترسل إلى الأمصار، وتكون مرجعا للناس عند الاختلاف، وندب لذلك أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وطلب عثمان الصحف التي لدى حفصة، فنسخوها ٦ نسخ

---

([٢]) المرجع السابق ، ص٥٦ ، الزرقاني، مناهل العرفان، ج١، ص٢٤٩.
([١]) أمين الخولي– دائرة المعارف الشعب ١٩٥٩، مجلد ١، ص٢٠.

أرسلت إلى مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام ثم المصحف الإمام، ومع كل نسخة إمام عدل ضابط، لأن القرآن يعتمد في نقله على التلقي من أفواه الحفاظ خلفاً عن سلف وثقةً عن ثقة، وإماماً عن إمام، حتى الوصول إلى الحضرة النبوية [1]. واستجاب الصحابة لنداء عثمان بحرق ما لديهم من مصاحف أو صحف، واجتمعوا على المصحف العثماني. وكان من دستور عثمان في كتابة المصحف، ومما تواضع عليه الصحابة، ألا يكتبوا في المصحف إلا ما تحققوا أنه قرآن وثبت بالتواتر المفيد للقطع، وعلموا أنه استقر في العرضة الأخيرة مع جبريل، مرتب الآيات والسور كما هو عليه الآن. مشتملا على حرف من الأحرف السبعة مثل قوله: ﴿ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الجمعة: ٩)، ففيها حرف (فامضوا) بنفس المعنى، وخلوا من النقط والشكل، فبعض الكلمات تقرأ بأكثر من وجه، مثل كلمة (فتبينوا) في قوله: ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ (الحجرات: ٦) فإنها تصلح أن تقرأ (فتثبتوا)، وكذلك كلمة (ننشزها) في قوله: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ﴾ (البقرة: ٢٥٩) فإنها تصلح أن تقرأ (ننشرها)، ومكتوبا بلغة قريش: فقد ورد أن لجنة المصحف اختلفت مع زيد بن ثابت في كتابة كلمة (التابوت) في قوله تعالى:﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ (البقرة: ٢٤٨)، حيث قال زيد: (التابوه) (بالهاء)، وقال القرشيين: (التابوت) (بالتاء) ولما رُفعِ الأمر إلى عثمان، أمر أن تكتب الكلمة (بالتاء) لأنها كذلك بلغة قريش، وقد نزل القرآن بلغتهم[2].

## ٢) المصاحف بعد عهد الخلفاء الراشدين:

لما أرسلت المصاحف إلى مختلف الآفاق، قوبلت من أهلها بما هي جديرة به من الإقبال والإكبار، فنسخوا على غرارها مصاحف كثيرة، كان لها نفس القدسية والجلال، وكانت كسابقتها خالية من النقط والشكل، وعندما كثرت الفتوح الإسلامية، واختلط اللسان الأعجمي باللسان العربي، وفشا اللحن على الألسنة، وكادت العجمة تقضي على الفصحى، عندئذ خيف أن يُفْضِي ذلك إلى اللحن في كتاب الله تعالى، وتحريفه عن مواضعه، فأحدثوا النقط والشكل صيانة من اللحن، وحفظا من التصحيف.

## والنقط له معنيان:

---

(١) أمين الخولي– دائرة المعارف الشعب ١٩٥٩، مجلد ١،ص٢٠.
(٢) ابن كثير– فضائل القرآن– ص٢٢.
الزرقاني – مناهل العرفان، ج١، ص٢٥٨.
عبد الفتاح القاضي : المصحف الشريف في تاريخه وأحكامه، ص٦٨.

- ما يدل على ما يعرض للحرف من حركة أو سكون أو شد أو مد (نقط الإعراب).
- ما يدل على ذوات الحروف، ويميز بين معجمها ومهملها، كالموضع على حروف الباء والتاء والثاء والجيم والخاء والذين والزاي وهلم جرا (نقط الإعجام ).

وأما الشكل فمعناه ما يدل على ما يعرض للحرف من حركة أو سكون أو شد أو مد، ويرادفه الضبط، وعلى هذا يكون المعنى الأول للنقط مساويا لمعنى الشكل والضبط. والمحقق أن أول ما أحدث في المصحف هو نقط الإعراب، وقد وضعه العالم النحوي أبو الأسود الدؤلي بعد أن طلب منه زياد بن أبيه والي البصرة لمعاوية بن أبي سفيان، أن يضع شيئا يصلح الناس به كلامهم ويعربون به كلام الله تعالى لأن الأعاجم أفسدوا لغة العرب، ولكن أبا الأسود أبى ذلك لأمر ما، فأمر زياد رجلا بالجلوس في طريق أبي الأسود، ويتعمد قراءة قول الله ﷻ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة:٣)، بجر اللام من لفظ رسوله، فاستعظم ذلك أبو الأسود، وقال: عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله، ثم رجع إلى زياد يجيبه إلى طلبه، ووضع قواعد الإعراب، وكانت الفتحة نقطة واحدة فوق الحرف، والضمة نقطة إلى جانب الحرف أي أمامه، والكسرة نقطة أسفله، والتنوين نقطتين، وكان النقط بلون مخالف.

أما نقط الإعجام فقد كان على عهد عبد الملك بن مروان الذي أمر الحجاج بن يوسف الثقفي– والي العراق– أن يعمل على إبعاد التحريف عن ساحة القرآن، فندب الحجاج عالمي اللغة العربية: نصر بن عاصم ويحي بن يعمر، فوضعا النقط لتمييز الحروف عن بعضها البعض، بنفس لون مداد المصحف ليميزه عن نقط أبي الأسود الدؤلي.

وفي عصر الدولة العباسية ظهر النحوي البصري الخليل بن أحمد الذي طور وحوَّر نقط أبي الأسود، وجعله على الخط المستعمل الآن؛ فجعل الضمة واوا صغيرة فوق الحرف، والفتحة ألفا صغيرة مبطوحة، والكسرة ياء ثم وضع علامة الشدة شين صغيرة، وعلامة السكون رأس خاء، ثم دخل على هذه العلامات شيء من الاختزال والتحسين حتى آلت إلى ما هي عليه الآن[1].

(1) عبد الفتاح القاضي– المصحف الشريف– أبحاث في تاريخه وأحكامه ، ص٨٦.

# * * ترتيب القرآن * *

## أ) ترتيب الآيات والسور:

الإجماع والنصوص المترادفة تدل على أن ترتيب الآيات في سورها ت وقيفي، أي بـ أمر الرسول ﷺ، حيث كان ﷺ يقول: " ضعوا هذه الآية بين الآية التي تقول كذا، والآية التي تق ول كذا " وكان أمين الوحي جبريل يدارس الرسول ﷺ بالقرآن في كل رمضان مرة، ويرشده إل ى مكان كل آية من سورها، وقد دارسه في شهر رمضان السابق على وفاته ﷺ مرتين[1].

### * أما ترتيب السور في المصحف، فقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال:

١. قول بأن الترتيب باجتهاد الصحابة، ودليله وجود مصاحف لأعلام الصحابة تختلف في ترتيبها، فمصحف أُبي بن كعب، كان يبدأ بالفاتحة ثم البق رة والنس اء وآل عم ران والأنعام، أما مصحف علي بن أبي طالب، فكان على ترتيب النزول: اقرأ والمدثر وق والمزمل.

٢. قول ثان بأن ترتيب السور توقيفي، تَلَقَّاهُ الصحابة عن الرسول ﷺ الذي تلقاه من أمين الوحي جبريل عليه السلام، ثم تلقته الأمة بالقبول خلفا عن سلف ودليله إجماع الصحابة على المصحف العثماني، وإجماعهم متضمن للإجماع على التوقيف.

٣. وقول ثالث بأن ترتيب بعض السور كان توقيفيا، وترتيب البعض الآخر كان باجتهـ اد الصحابة وقد ذهب إلى هذا الرأي فطاحل العلماء ولعله أمثل الآراء. وأياً كان الترتيب توقيفيا أم اجتهاديا، فينبغي احترامه، خصوصا في كتابة المصحف، لأنه كتب بإجماع الصحابة، والإجماع حجة، وخلافه يجر إلى الفتنة، ودرء الفتنة وسد الذرائع واج ب، وأما الترتيب في التلاوة فليس بواجب، إنما مندوب، وقد كره جماع ة م ن العلم اء مخالفة ترتيب المصحف، أما قراءة السور من آخرها إلى أولها فممنوع منعا متأك دا، لأنه يذهب بعض ضروب الإعجاز، ويزيل حكمة ترتيب الآيات، أم ا عند تعل يم الصبيان من آخر المصحف إلى أوله فحسن، على ما في ذلك من تسهيل الحفظ للسور القصار أولا [2].

---

([2]) السيوطي- الاتقان، جـ ١، ص٨٠.

([1]) د. عبد الله شحاتة : علوم الدين الإسلامي ، هيئة الكتاب ١٩٧٦، ص٢٣.

## ب) أقسام السور:

قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام: الطُّول أو الطوال، والمئين، والمثاني، والمفصل.

فالطول هي السبع سور الطوال المتواليات بعد الفاتحة: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف واختلف في السابعة أهي الأنفال والتوبة معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة؟ أم يونس؟.

والمئون هي السور التي تزيد آياتها عن مائة آية، وهن إحدى عشرة سورة متقاربات غير متواليات: (يونس، هود، يوسف، النحل، الإسراء، الكهف، طه، الأنبياء، المؤمنون، الشعراء، الصافات).

والمثاني هي السور التي تلي المئين في عدد الآيات، وتثنى أى تكرر أكثر مما تُثَنَّى الطول والمثاني وهي ٣٠ سورة.

والمفصل هي أواخر السور في المصحف، وسمي كذلك لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، أو لقلة المنسوخ فيه ولهذا يسمى أيضا المحكم، ويبدأ بسورة (ق)، وعدد سوره ٦٥سورة.

ويقسم المفصل إلى ثلاث أقسام: طوال، من ق إلى البروج، وأوساط من الطارق إلى البيِّنة، وقصار من الزلزلة إلى آخر المصحف. وسئل أصحاب الرسول ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من (ق) حتى نختم [1].

## ج) عدد السور والآيات والحروف:

عدد سور القرآن ١١٤ مائة أربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به، وعدد الآيات حسبما اتفق العادون ستة آلاف ومائتي آية وكسر، واختلف في هذا الكسر، بالنسبة للعدد المدني أو المكي أو البصري أو الكوفي، ووفقا للعدد الكوفي المروي عن حمزة الزيات فعدد الآيات ٦٢٣٦ آية. وذكر بعضهم أن كلمات القرآن ٧٧٩٣٤ كلمة، وذكر غير ذلك، وسبب الاختلاف أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم.

والقرآن الكريم له أنصاف باعتبار الحروف والكلمات والآيات والسور: فنصفه بالحروف حرف النون من: نُكرا (الكهف ٧٤)، وقيل الكاف من نفس الكلمة، وقيل حرف الفاء من: وليتلطف (الكهف١٩) ونصفه بالكلمات كلمة والجلود (الحج٢٠)، ونصفه بالآيات ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (الشعراء:٤٥) ونصفه بالسور (آخر السورة رقم٥٧) (سورة

(1) السيوطي- الاتقان- جـ ١، ص٨٤.

الحديد)[1].

## د) تجزئة المصحف:

قسم القرآن ثلاثين قسماً، وأُطلق على كل قسم جزء، وقسم الجزء إلى حزبين، وقسم الحزب إلى أربعة أرباع.

وكان بعض كتاب المصحف في الصدر الأول يضع ثلاث نقط عند آخر كل فاصلة من فواصل الآيات، إعلاما بانقضاء الآية، ويكتب لفظ خمس عند انقضاء خمس آيات من السورة، ولفظ عشر عند انقضاء عشر آيات منها، فإذا انقضت خمس أخرى أعيد كتابة لفظ خمس، فإذا صارت عشرا أعيد كتابة لفظ عشر، وبعضهم كان يضع مكان لفظ خمس (رأس الخاء)، ومكان لفظ عشر (رأس العين) اختصار[2].

## هـ) المكي والمدني:

اصطلح العلماء على أن ما نزل من القرآن قبل الهجرة سمي (مكيا)، وما نزل بعد الهجرة يسمى (مدنيا) بصرف النظر عن مكان النزول، وإن كان في بعض السور المكية آيات مدنية، وفي بعض السور المدنية آيات مكية، ومكي القرآن يقدر بنحو $\frac{19}{30}$ منه، ومدنيه يقدر بنحو $\frac{11}{30}$، ومن بين سور القرآن الأربعة عشر ومائة (١١٤) إثنان وثمانون سورة (٨٢) متفق على أنها مكية، وعشرون سورة (٢٠) متفق على أنها مدنية، وإثنتا عشرة سورة (١٢) يتردد الترجيح بين أنها مكية أو مدنية.

والعشرون سورة المدنية هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والجمعة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والنصر.

والسور الإثنتا عشرة المختلف في مكيتها ومدنيتها هي: الفاتحة، والرعد، والرحمن، والصف، والتغابن، والمطففين، والقدر، والبينة، والزلزلة، الإخلاص، والمعوذتين.

وما بقي من السور: مكي باتفاق وعدده اثنتا وثمانون سورة.

والسورة الإثنتا عشرة المختلف عليها: (سورة الرعد) حديث مجاهد عن ابن عباس على أنها مكية، (سورة الصف) المختار أنها مكية، (سورة التغابن) فيها قولان مكية ومدنية، (سورة المطففين) قيل أنها مكية لذكر الأساطير فيها، وقيل أنها مدنية لأن أهل المدينة كانوا أشد الناس

---

([2]) السيوطي– نفس المرجع. جـ ١، ص٨٦، ٩٣.

([1]) الزرقاني– مناهل العرفان ، جـ ١، ص٤٠٩.

فسادا في الكيل، (سورة القدر) فيها قولان والأكثر أنها مكية، (سورة البينة) الأشهر أنها مكية، وابن كثير يعتبرها مدنية، (سورة الزلزلة) فيها قولان، (سورة الإخلاص) فيها قولان، (المعوذتان) المختار أنها مدنيتان لنزولهما في قصة سحر لبيد بن الأعصم للرسول ﷺ[1].

وفي مجال التفرقة والتمييز بين خواص كل من القرآن المكي والمدني، فإن القرآن المكي:

١. حمل حملة شعراء على الشرك والوثنية، وفتح عيون أهل مكة على ما في أنفسهم من شواهد الحق، وعلى ما في الكون من أعلام الرشد، وتحدث عن عاداتهم القبيحة كالقتل وسفك الدماء، ووأد البنات، واستباحة الأعراض، وأكل مال اليتيم.
٢. شرح أصول الأخلاق، وحقوق الاجتماع، وقص عليهم أنباء الرسل وأممهم السابقة مما فيه أبلغ المواعظ والعبر.

## أما القرآن المدني فنجد أنه:

١. تحدث عن دقائق التشريع وتفصيل الأحكام.
٢. دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإسلام، وناقش عقائدهم الباطلة.

وهناك بعض الضوابط والمعايير التي يعتمد عليها عند التمييز وهي أغلبية:

| المكي | المدني |
|---|---|
| موضوعات القرآن المكي هي أصول الإيمان والعقيدة مثل: التوحيد والوحي والرسالة والبعث والحساب.<br>(أمور كلية ومقاصد إجمالية) | موضوعات القرآن المدني بالإضافة إلى العقائد، هي: التشريع المدني، والأحكام التفصيلية التي تنظم المجتمع<br>(فرائض وعبادات وحدود ومعاملات). |
| مجال القول: جدل وإقناع ومناقشة ورد | مجال القول: تلقين وتوجيه وترغيب وتفصيل |
| الخطاب: يأيها الناس، يا بني آدم.. | الخطاب: يأيها الذين آمنوا، يا أيها الناس١١ مرة |
| تبدأ بالحروف المقطعة في ٢٩سورة | لا تبدأ بالحروف المقطعة، عدا (البقرة وآل عمران والرعد) |
| تستهل بالقسم بالأزمنة والأمكنة والأشياء في ١٥ سورة | لا تستهل بالقسم |

(1) السيوطي: الاتفاق، جـ ١، ص١٥ وما بعدها.

| المكي | المدني |
|---|---|
| ورد فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة | لم يُذكر فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة، عدا (البقرة) |
| ورد بها لفظا (كلا) ٣٣ مرة، و(ما أدراك) ١٢ مرة | لم يرد بها لفظنا (كلا) و(ما أدارك). |
| ورد بها سجدات تلاوة ١٢سجدة. | لم يرد بها سجدات تلاوة، عدا (الحج والرعد) |
| لم يرد بها ذكر الجهاد حيث لم يشرع فيها | ورد بها ذكر الجهاد |
| لم يرد بها ذكر النفاق والمنافقين، عدا (العنكبوت١٣) | ورد بها ذكر النفاق والمنافقين |
| يصعب فيها تحديد تاريخ نزول الآيات | يسهل فيها تحديد تاريخ نزول الآيات |
| ٨٦ سورة =٤٦١٣ آية | ٢٨سورة=١٦٢٣آية |
| الآيات قصيرة: وبأسلوب الإيجاز والإشارة: | الآيات طويلة، وبأسلوب البسط والشرح: |
| أقصر سورة الكوثر = ٣ آيات | أطول سورة (البقرة=٢٨٦ آية) |
| أقصر آية (طه) | أطول آية (التداين) سورة البقرة ٢٨٢ |
| سورة الشعراء (نصف جزء) = ٢٢٧ آية | سورة الأنفال (نصف جزء) = ٧٥ آية |
| الجزء الثلاثون (جزء عم) = ٣٧سورة = ٥٦٤ آية، منها ٣سور مدنية (البينة والزلزلة والعصر) ١٩آية | الجزء الثامن والعشرون (قد سمع) = ٩ سور يساوى ١٣٧ آية. |

## و) أول ما نزل وآخر ما نزل:

نرجع أهمية وفوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل إلى:

١. تمييز الناسخ والمنسوخ، وورود آيات ذات موضوع واحد، وحكم في إحداها مغاير للأخرى.

٢. معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، والوصول إلى حكمة الإسلام في التدرج والرفق، في هدم ما مَرَدُوا عليه من باطل، وبناء ما لم يحيطوا به من حق.

وقد بلغ من العناية التي أحيط بها القرآن الكريم، أن اهتم العلماء بخلاف ذلك على معرفة: المكي والمدني، والسفري والحضري، والصيفي، والشتائي والفراش والنومي، والأرضي والسمائي.

## - أول ما نزل:

ورد في تحديد ذلك أربعة أقوال وأصحها الآيات من صدر سورة العلق، ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق:١).

## - آخر ما نزل:

ورد في ذلك أقوال عشرة، ولكن أرجحها على الإطلاق هو قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٨١) وقد عاش الرسول ﷺ بعد نزول هذه الآية، تسع ليال، ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول[١].

## ز) الحروف المقطعة في أوائل السور:

### استهلت بها ٢٩ سورة، وفي معانيها أقوال منها:

أنها أسماء للقرآن الكريم، وأن كلا منها مفتاح لاسم من أسماء الله ﷻ، والمختار أنها سر هذا الكتاب المعجز والله أعلم بها.

- وقد وردت على شكل حرف واحد (٣مرات): ن، ق، ص.
- وعلى شكل حرفين (٩مرات): يس، طه، طس، حم (٦مرات).
- وعلى شكل ثلاث أحرف (١٣مرة): ألم (٦مرات)، الر (٥مرات)، طسم (مرتين).
- وعلى شكل أربعة أحرف (مرتين): ألمر، ألمص.
- وعلى خمسة أحرف (مرتين): كهيعص، حم عسق.

وإذا جمعت هذه الحروف، واستبعدت منها المكرر، وجدت أن الباقي هو ١٤ حرفا: (الكاف، والهاء، والعين، والياء، والصاد، والسين، والقاف، والألف، واللام، والميم، والطاء، والواو، والنون، والحاء).

وإذا رُتِّبَتْ هذه الحروف تُقْرَأ: "نص قاطع حكيم له سر". وقد اشتملت هذه الحروف على نصف جميع أجناس الحروف: المهموسة والشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة [٢].

---

(١) السيوطي- الاتقان، جـ ١، ص٣١، ٣٥.

(٢) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم- جـ ١، ص٣٧. السيوطي- الإتقان- جـ ٢، ص١١، ابن منظور- لسان العرب- جـ ١-، ص١٤.

# * * تلاوة القرآن * *

## أ) فضل القرآن:

القرآن كلام الله العزيز وحديثه إلى الخلق، وقراءته سنة وقربى إلى الله ﷻ، وعبادة يُثَ اب عليها فاعلها خير الجزاء، والإكثار منها مستحب، حتى يكون المسلم حي القلب، مستنير الف ؤاد، يقول الإمام أحمد بن حنبل: إذا أَرَدْتُ أن يكلمني ربي قَرأتُ القرآن، وإذا أردت أن أُكَلّ م رب ي دخلت في الصلاة فهي مناجاة الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَ ةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر٢٩، ٣٠) وليس المراد بالتلاوة مجرد المرور بالكلمات، وترديدها على الأفواه من غير فك ر ولا رويـ ة، وإنما المراد التلاوة التي يصحبها التمعن والتدبر الذي ينشأ عنه الإدراك والتـ أثر، ولا شـ ك أن التأثير يفضي بالقاريء لا محالة إلى العمل.

## وقد وردت في فضل القراءة أحاديث شريفة كثيرة:

- عن أبي أمامه الباهلي ﷺ عن الرسول ﷺ: " اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامـ ة شـ فيعا لأصحابه" رواه مسلم.
- عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن الرسول ﷺ:" من قرأ حرفا من كتاب الله فله بـ ه حسـ نة، والحسنة بعشر أمثالها. أما إني لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ".
- عن عبد الله بن عمر ﷺ عن الرسول ﷺ: " يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كمـ ا كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها " رواه أبو داود والترمذي.
- عن عثمان بن عفان ﷺ عن النبي ﷺ: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخاري.
- وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكـ رهم الله فيمن عنده" رواه مسلم.
- وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: " لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتـ اب، فهـ و يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل أعطاه الله مالا، فهو يتصدق به آناء الليل وآنـ اء النهار" رواه البخاري.

وقد حذر الرسول ﷺ من هجر القرآن ونسيانه فقال فيما رواه البخاري ومسلم: " تعاهـ دوا

القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها " [1].

## ب) خواص القرآن:

القرآن الكريم كله كلام الله تعالى، وعلى درجة واحدة من البلاغة والفصاحة والإعجاز، لا تفاضل بين آية وأخرى، أو سورة وأخرى، ولكن وردت أحاديث شريفة عن النبي ﷺ تنص على شأن بعض الآيات والسور، وثواب قارئها.

**ورد في شأن الفاتحة:** أنها أم الكتاب، وأعظم سورة في القرآن، وتعدل ثلثي القرآن.

**وفي شأن سورة البقرة:** أنها سنام القرآن، وأن الشيطان يخرج من البيت الذي تقرأ فيه، وأنها مع سورة آل عمران، الزهراوان، تظلان صاحبهما يوم القيام كأنهما غمامتان، ومن قرأهما في ليلة كتب من القانتين، وفيها أعظم آية في كتاب الله: آية الكرسي، ومن قرأ الآيتين في آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه.

**سورة آل عمران:** هي الزهراء، ومن قرأ الآيات من آخر السورة في ليلة كتب له قيام ليلة.

**سورة الكهف:** من قرأها يوم الجمعة أضاء له نور إلي الجمعة التالية، ومن حفظ عشر آيات من أولها عصم من فتنة الدجال.

**سورة يس:** هي قلب القرآن، ولا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، اقرؤوها علي موتاكم.

**الحواميم:** وهى السور السبع المتتاليات في ترتيب المصحف التي تبدأ بـ (حم) وهى سور مكية متتاليات كذلك في النزول، وهى لباب القرآن، وديباج القرآن.

**الرحمن:** هي عروس القرآن.

**المسبحات:** وهى السور التي تبدأ بألفاظ التسبيح (سبح، يسبح، سبح، سبحان)، وفيهن آية خير من ألف آية، وسورة الأعلى هي أفضل المسبحات.

**الحشر:** من قرأ خواتيمها في ليل أو نهار ثم مات في يومه أو ليلته وجبت له الجنة.

**الملك:** مانعة منجية من عذاب القبر، شفعت لرجل حتى غُفِر له.

وهناك سور تعدل نصف القرآن: الزلزلة، العاديات.

وسور تعدل ربع القرآن: الكافرون والنصر، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، ومن

---

([1]) د.شعبان محمد إسماعيل– مع القرآن الكريم في تاريخه وخصائصه وأحكامه وأسراره وقراءاته ، ص ١٨.

قرأها كل يوم مائتي مرة مُحِيِ عنه ذنوب خمسين سنة وفى فضل تكرار قراءتها الكثير من الخير.

**المعوذّتين:** الفلق والناس أفضل ماَ تَعوَّذ به المتعوذون، ومن قرأهما مع سورة الإخلاص حين يمسى، وحين يصبح ثلاث مرات كفته من كل شئ.[1]

## ج) آداب التلاوة: يجب علي قارئ القرآن أن يتحلى ببعض الآداب مثل:

١- الإخلاص في النية وحسن القصد.

٢- طهارة الجسم والثوب ومكان الجلوس، ويستحب الوضوء، وَيْحرُم علي الجنب والحائض القراءة أو مس المصحف.

٣- استقبال القبلة والتعوذ قبل التلاوة.

٤- الإسرار في التلاوة أفضل من الجهر، وأحياناً يفضل الجهر إذا أمن الرياء، وعدم التشويش علي المصلين أو الشعور بغلبة النوم.

٥- القراءة في المصحف أفضل من القراءة غيبا عن ظهر قلب، فالنظر إلى المصحف عبادة.

٦- السكينة والوقار، والخشوع والتدبر، والحزن والبكاء أو التباكي.

٧- القراءة وفق ترتيب المصحف، إلا ما نصت عليه السنة استثناء، كقراءة سورة السجدة صباح الجمعة في الركعة الأولى، وسورة الدهر(الجاثية) في الركعة الثانية.

٨- التعقيب علي بعض الآيات، مثل: ختام سورة التين ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (التين:٨) فيقول: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، وإذا استهل سورة الأعلى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ (الأعلى:١) تقول: سبحان ربى الأعلى، بصوت منخفض ثلاثا.

٩- إذا بدأ القراءة من وسط السورة، فالأفضل أن يبدأ في أول القصة أو بداية الكلام المرتبط ببعضه، وإذا أراد الوقف علي غير آخر السورة، فالأفضل أن يقف مع نهاية القصة أو نهاية الكلام المرتبط ببعضه، دون أن يتقيد بالأجزاء أو الأحزاب أو الأرباع.

١٠- مراعاة حق الآيات، فإذا مر بآية عذاب، استعاذ بالله واستجار، وإذا مر بآية رحمة، استبشر، وإذا مر بآية دعاء أو استغفار، دعا واستغفر، وإذا مر بآية فيها ذكر الرسول ﷺ، صلى عليه، وإذا مر بآية سجدة، سجد سجدة واحدة، ويقول وهو ساجد: سجد وجهي للذي خلقه وصَوَّره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين.

## ومواضع السجود في القرآن ١٥ خمسة عشر موضعا كالآتي:

---

(1) السيوطي- الاتقان- جـ ٢ ، ص١٩٤.

١) الآية ٢٠٦ سورة الأعراف
٢) الآية ١٥ سورة الرعد
٣) الآية ٤٩ سورة النحل
٤) الآية١٠٩ سورة الإسراء
٥) الآية ٥٨ سورة مريم
٦) الآية ١٨ سورة الحج
٧) الآية ٧٧ سورة الحج
٨) الآية ٦٠ سورة الفرقان
٩) الآية ٢٦ سورة النمل
١٠) الآية ١٥ سورة السجدة
١١) الآية ٢٤ سورة ص
١٢) الآية ٣٨ سورة فصلت
١٣) الآية ٦٢ سورة النجم
١٤) الآية ٢١ سورة الإنشقاق
١٥) الآية ١٩ سورة العلق

## د) ختم القرآن:

### تختلف عادات القراء في مقدار القراءة بين الاستكثار والاقتصار:

فمنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة، وبعضهم مرتين، وانتهى بعضهم إلي ثلاث، ومنهم من يختم القرآن في الشهر مرة.

وأول ما يُرْجَع إليه في التقديرات، حديث السيدة عائشة أن الرسول ﷺ: " كان لا يقرأ في أقل من ثلاث "، وأمْرُه ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص أن يختمه في كل سبع. رواه الشيخان وأبو داود[١].

وكان جماعة من الصحابة (رضوان الله عليهم) يختمون في كل جمعة: كعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب، ويرى الإمام الغزالي في الختم أربع درجات:

١. الختم في يوم وليلة، وقد كرهه جماعة لأنه مبالغة في الاستكثار.

---

(١) المناوى- مختصر شرح الجامع الصغير للسيوطى-جـ ٢.، ص١٩٠، جـ ١.، ٨٦.

٢. الختم في شهر، وذلك مبالغة في الاقتصار.

**وبينهما درجتان معتدلتان:**

٣. في الأسبوع ختمة.

٤. في الأسبوع ختمتين.[١]

(١) ابن كثير– كتاب فضائل القرآن، ص ٤٨. ، الغزالي – إحياء علوم الدين، طبعة الشعب ، ج ٣. ، ص ٤٩٩.

# الفصل الثاني

# مع السنة النبوية الشريفة

## * * السنة والحديث * *

### أ) تعريف:

السنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بعد القرآن الكريم، قالﷺ: " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنتي ".

**وهى لغة:** الطريقة أو المنهج، وتطلق علي كل ما أثر عن الرسولﷺ من: أقوال أو أفعال أو تقرير.

### ب) النسبة بين السنة والحديث والخبر والأثر:

السنة والحديث والخبر والأثر ألفاظ مترادفة لمعنى واحد، وهو ما أضيف إلي النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة (سيرة أو خلق أو شمائل أو أخبار)، أو إلي الصحابي أو التابعي. وقد جعل الحديث عاماً يشمل قول الرسول ﷺ وفعله، وقيل إن الخبر هو ما أضيف إلي غير النبي، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة مُحَدِّث، وبالتواريخ ونحوها إخباري، وقد يسمى المحدثون المرفوع والموقوف من الأخبار أثراً، إلا أن بعض الفقهاء يسمون الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر.

### ج) الحديث القدسي والحديث النبوي:

الحديث القدسي ويسمى الحديث الرباني أو الإلهي، وهو ما يحكيه الرسول ﷺ، ويسنده إلي رب العزة فهو كلام الله، ويضاف إليه ﷻ، ونسبته إلي الله نسبة إنشاء وإلي الرسول ﷺ نسبه إخبار، وهو مقطوع بنزول معناه من عند الله تعالى، لما ورد فيه من النص الشرعي على نسبته إلى الله تعالى، يقول الرسول ﷺ: " قال الله تعالى..... كذا " فلذا سمي قدسيا، ورواية الأحاديث القدسية عن الله تعالى، وإضافتها إليه، واشتمالها علي ضمائر المتكلم الخاصة به ﷻ، فهذا على معنى: أن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام، أن يقول لرسول الله ﷺ: افعل كذا، ومُرْ

بكذا..... فيبلغ الرسول ذلك بألفاظ من عنده، وصدق الله العظيم ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَ وَى = ٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى = ٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى = ٥ ﴾ (النجم ٣ . ٥).

أما الحديث النبوي، فلم ترد فيه هذه الإضافة إلي الله تعالى[١]

## * الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي.

القرآن هو اللفظ العربي المنزل علي سيدنا محمد ﷺ، المنقول إلينا تواتراً، المتعبد بتلاوته، المُتَحدَّى بأقصر سورة منه، وللتمييز بين القرآن والحديث القدسي بعض الخصائص، نلخصها فيما يلي:

١- القرآن لفظه ومعناه بوحي جلي عن طريق الروح الأمين جبريل، والحديث إما بوحي جلي أو خفي.

٢- القرآن نُقِلَ إلينا متواتراً جمعا عن جمع عن النبي ﷺ، والحديث قد يكون نقله بطريق آحاد.

٣- القرآن معجز للإنس والجن، ومُتَحَّدى بأقصر سورة منه، والحديث غير ذلك.

٤- القرآن متعبد بتلاوته بفهم وبغير فهم، يثاب قارؤه بكل حرف عشر حسنات، والحديث غير ذلك.

٥- القرآن تحرم روايته بالمعنى، والحديث غير ذلك.

٦- القرآن جاحده كافر، والحديث غير ذلك.

٧- القرآن تصح به الصلاة ومتعين بها، والحديث غير ذلك.

٨- القرآن يحرم مسه علي المحدث، ويحرم علي الجنب والحائض تلاوته أو مسه، والحديث غير ذلك.

٩- القرآن بعضه يسمى آية أو سورة، والحديث غير ذلك.[٢]

---

(١) د.أحمد عمر هاشم- معالم علي طريق السنة، ص ١٢.

(٢) د. عبد الله شحاتة- علوم الدين الإسلامي، ص ٢١٧.

# * * حجية السنة * *

## أ) وجوب العمل بالسنة:

السنة من أصول الدين وحجة على المسلمين، وقد بين ذلك الكتاب والسنة.

١. **أما الكتاب:** فإن الله سبحانه أمر بطاعة رسوله، وقرنها بطاعته، وجعلها كطاعة الله، قال تعالى:

- ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧).
- ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (النساء ٦٥).
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (النساء:٥٩)
- ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء:٨٠)

٢. ومن أحاديث الرسول ﷺ الخاصة بالسنة، ما رواه معاذ بن جبل عندما وفد إلى اليمن ليقضى بكتاب الله وبسنته ﷺ.

وحديث أنس وزيد بن ثابت عندما خطبهم الرسول ﷺ في مسجد الخيف:

- " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ ".

وقوله ﷺ: " نَضَّر الله امرؤا سمع مقالتي فحفظها ووعاها، وبلغها من لم يسمعها، ألا رُبّ حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلي من هو أفقه منه" [١]

## ب) بيان السنة والقرآن:

١- بيان التقرير أي تكون السنة موافقة تماما لما جاء بالقرآن، فيكون الغرض منها تأكيد المعنى وتثبيته في نفوس السامعين أو القارئين، من ذلك حديث ابن عمر، قال الرسول ﷺ: " بُنِيَ الإسلام علي خمس...."، فإنه يوافق أوامر الله تعالى في القرآن بالصلاة والزكاة والصوم والحج.

٢- بيان التفسير لما جاء بالقرآن، وهو أغلب الأقسام، وأكثرها وروداً، مثل:

- **بيان المجمل:** مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾، نزلت الأحاديث تبين كيفية الصلوات وأوقاتها وعدد الركعات.

---

(١) د.على حسب الله- أصول التشريع الإسلامي ، دار المعارف، ط .٥، ١٩٧٦، ص ٤٤.

- تقييد المطلق: مثل قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة: ٣٨)، فقد حددت السنة اليد التي تُقْطَع وهى اليمنى، وأن يكون القطع من الكوع لا من المرفق.
- تخصيص العام: مثل قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ.. ﴾ (النساء ٩ . . . .١١)، وخصصت الأحاديث الوارث والمُوَرِّث، فالمورث غير الأنبياء والوارث غير القاتل، قال ﷺ: " نحن معاشر الأنبياء لا نُورَثْ، ما تركناه صدقة"، " لا يرِثُ القاتل شيئاً".(١)

وما صدر عنه ﷺ من قول بمقتضى طبيعته الإنسانية، من قيام وقعود ومشى، ونوم وأكل ليس تشريعا، وكذلك خبرته الإنسانية وتجاربه الدنيوية من تجارة وزراعة وتنظيم وحرب، مثل رأيه في تأبير (تلقيح) النخل، حيث قال " أنتم أعرف بشؤون دنياكم"، وكذلك ما دل عليه الدليل الشرعي أنه خاصٌ به ﷺ مثل: تزوجه بأكثر من أربع، واكتفائه بشهادة خزيمة بن ثابت وحده.(٢)

(١) د. أحمد عمر هاشم–معالم علي طريق السنة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٦. ص ٢٣.
(٢) د. عبد الله شحاتة– علوم الدين الإسلامي، ص ١٨٦.

# * * تدوين السنة * *

## أ) بين يدي تدوين السنة:

أفرخت الفتنة الكبرى بسبب مقتل عثمان أسوأ الآثار على المجتمع الإسلامي، من خصومات سياسية، وخلافات مذهبية، مما أثر علي السنة النبوية عن طريق نفث الآراء الدخيلة، والأفكار الزائفة في الفكر الإسلامي، وانقسم المسلمون بعد موقعة صفين بين علي ومعاوية إلي ثلاثة أقسام: خوارج وشيعة وجمهور.

١- فأما الخوارج فهم من خرجوا على عليٍّ بعد قبوله التحكيم، وحكموا بكفره وكفر أصحابه.

٢- وأما الشيعة فهم من شايعوا علياً بعد قبوله التحكيم، وقد انقسموا بدورهم إلي:

- شيعة معتدلين يفضلون علياً على غيره، مثل: الإمامية الإثنى عشرية الذين كانوا يسكنون إيران والعراق وسوريا ولبنان، والزيدية الذين كانوا يقيمون في اليمن.
- شيعة غُلاة متطرفين انقادوا للأوهام وانحرفوا بآرائهم عن مبادئ الإسلام الحنيف.

٣- والجمهور هم من وقفوا علي الحياد، ولم يؤمنوا برأي الخوارج والشيعة.

### * أثر الخوارج في الحديث النبوى:

كان الخوارج من أنصار علي وشيعته المقربين، جاهدوا معه وأبلوا بلاء حسنا في القتال، ولكنهم خرجوا عليه بعد قبوله التحكيم، وقد كفروا عليا ومعاوية واعتبروهم ولاة ظالمين، وفوق ذلك كان من أرائهم المتطرفة: تكفير مرتكب الكبيرة من المسلمين وخلوده في النار، ورغم ذلك فإنهم تعمدوا الكذب علي الرسول ﷺ، فوضعوا الأحاديث لتأييد أفكارهم، مع عدم الاعتراف بأية أحاديث تتعارض مع أهوائهم، مما كان له أبلغ الخطورة علي الحديث النبوى.

### * أثر غلاة الشيعة في الحديث النبوي:

قامت فكرة التشيع لعلى بن أبى طالب بأنه أفضل وأولى بالخلافة من غيره، وقد آمن بها عدد من الصحابة (رضوان الله عليهم) منهم: سليمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وحسان بن ثابت، وأبو ذر الغفاري، وجابر بن عبد الله، وإلى جوار هؤلاء المعتدلين، تظاهر أناس بالتشيع لأهل البيت، وهم بعيدون عن روح الإسلام، وأضمروا الحقد له، وإدخال المبادئ التي درجوا عليها من اليهودية أو النصرانية أو الزرادشتية، دساً وإفساداً، حيث أنهم كانوا يرون أن جبريل أخطأ بالنزول بالرسالة على محمد وقد كانت لعلى، وأشنع من ذلك، قول طائفة أخرى وهم أصحاب عبد الله بن سبأ، بألوهية علي! وكانت وسيلتهم إلي هذا الإفساد وضع الأحاديث مثل:

خلق الله الملائكة من شعر ذراعه وصدره، إن الله لما أراد أن يخلق نفسه، خلق الخيل وأجراها فعرقت فخلق نفسه منها، إن الله لما خلق الحروف سجدت الباء ووقفت الألف، ينزل ربنا عشـ ية عرفة علي جبل أورق يعانق المشاة ويصافح الركبان، إلي غير ذلك من الأكاذيب والضلال.

وإزاء هذه الحملة الشرسة من الوَضَّاعِين، وقف علماء المسلمين، وعبـ أوا جهـ ودهم فـ ي القضاء علي كل هذه الخرافات والأباطيل، متأملين متثبتين من صحة ما يُسند إلي الرسـ ول ﷺ من أحاديث، وقبول ما قامت عليه الأدلة والشواهد فقط، ومعرفة أحوال الرواة.

وكان من عناية الله بالأمة الإسلامية، وحفاظاً علي السنة النبوية، أن مد في أعمار عدد من أجلاء الصحابة، فكانوا المرجع لمن أراد التثبت والاستزادة، فكثرت الرحلات في سـ بيل العلـ م والتنقل من بلد إلي بلد، من أجل توثيق صحة الحديث وثبوتها:

١- روى أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه رحل شهرا كاملاً، حتى تقابل مع عبد الله بـ ن أُنَـ يْس الأنصاري ليسمع حديثاً سمعه ابن أنيس عن الرسول ﷺ عن المظالم.

٢- وروى أن أبا أيوب الأنصاري رحل من المدينة إلى عقبة بن عامر في مصر، يسـ أله عن حديث سمعه من الرسول ﷺ.

٣- ويقول التابعي سعيد بن المسبب: كنت أسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد.

وفي مختلف الأمصار الإسلامية، كانت تعقد حلقات العلم والدرس في المساجد، كمـ دارس للحديث، حيث يجلس الصحابي، يتحلقه التلاميذ يسمعون ويحفظون ويسألون.

**ففي المدينة اشتهر**: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخُدرِى، وزيد بن ثابـ ت، وتَخَرّج علي أيديهم من التابعين: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وابن شهاب الزهري.

**وفي مكة:** عبد الله بن عباس، وقد تخرج علي يديه من التابعين مجاهد بن جبر، وعكرمـ ة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبى رباح.

**وفي الكوفة:** عبد الله بن مسعود، وتابعيه الأسود بن يزيد النخعي، وشريح ابـ ن الحـ ارث الكندي.

**وفي البصرة:** أنس بن مالك، وتابعيه الحسن البصري، ومحمد بن سيرين.

**وفي الشام:** معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وشرحبيل بن حسنة، ومن تـ ابعيهم: أبـ و إدريس الخولاني، ومكحول بن أبى سلم، ورجاء بن حيوه.

**وفي مصر**: عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد عاونه أكثر من مائة وأربعـ ين صـ حابياً، تخرج علي أيديهم من التابعين، مرثد بن عبد الله، ويزيد بن أبى حبيب.

وهكذا انتشر الصحابة في أقطار العالم الإسلامي، نجوما هادية يتجمع إليها الناس، ثم يسيرون في ضوئها إلي جنات الإيمان واليقين[1]

وقد قابل الوضاعون والكذابون، ذلك الجهد العظيم الذي بذله جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين، بالروايات الكاذبة والخرافات التي نسبوها إلي الرسول ﷺ وراجت لدى العوام.

## ب) مراحل تدوين السنة:

حرص الرسول ﷺ علي العناية بحفظ وكتابة القرآن الكريم، ولم يُجِزْ كتابة أي شئ غيره، حتى لا تختلط أقواله وأحاديثه ﷺ بنصوص الكتاب العزيز، وخشي أن يضيف الناس بعض كلامه إلي القرآن، فلا يستبين الفرق بين الأسلوب الإلهي والأسلوب النبوي، أو يتردى المسلمون إلي ما سقط فيه غيرهم من الأمم السابقة من خلط وتحريف لكتبهم.

ولما كان القرآن في العهد المكي، آياته وموضوعاته تشرح توحيد الله في الذات والصفات، وتهدم أركان الشرك وتدك حصونه، وتتحدث عن البعث بعد الموت ثم الحساب، وتوضح أن الرسول ﷺ أرسل مبشرا ونذيرا، وأنزل عليه هذا القرآن رحمة، فيه الترغيب والتبشير، والتخويف والترهيب، ومعظم هذه الموضوعات غيبية دقيقة، يصعب على المخاطبين الوثنيين في مكة، وحديثي العهد بالإسلام، استيعابهما، من أجل ذلك كان نهيه ﷺ عن كتابة السنة حتى لا تختلط بالقرآن.

ولكن في العهد المدني تغير الوضع، فقد انتشرت رقعة الإسلام، وعم نوره الآفاق، ونزل الوحي بالتشريع أرسالا أرسالاً [*]، في جميع الموضوعات: التشريع الدولي والجنائي والمدني والعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية، ثم تطرق إلي أدق التفصيلات في حياة المسلم: معاشه ومعاده، وحينئذ بعد إلف المسلمين هذا الجو الإيماني، وتعرفهم على الأسلوب القرآني، لم يعد هناك خوف علي خلط أسلوب القرآن بغيره، ومن هنا بدأ الرسول ﷺ إباحة كتابة الأحاديث والشروح والتفسيرات لأقواله بعد النهى[2].

فالسنة النبوية كانت تكتب في عهد الرسول ﷺ، وإن وجدت بعض الأخبار بالنهى على كتابتها، فإن الإباحة كانت جائزة للبعض منها: كتابة كتاب ابن شاة خاص بالقتل في مكة،

---

(1) محمد الطيب النجار– تدوين السنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٤، ص ٢١ وما بعدها.

(*) أرسالا جمع رَسَل وهو القطيع من كل شئ. ( لسان العرب – جـ ٣ ، ص ١٦٤٣) .

(2) د. عبد الحليم محمود– السنة الشريفة ومكانتها في الإسلام– مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٧٨، ص ٣٤.

وإقراره ﷺ صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التي كانت تسمى الصادقة، وأمره ﷺ بكتابة كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمر بن حزم، وكانت آخر ما ترك الرسول ﷺ أصحابه عليه، فلم يلحق بالرفيق الأعلى إلا وكتابة الحديث مأذون فيها، وقد حفظت في الصحف بجانب حفظها في الصدور، ولم تبق مهملة طيلة القرن الأول إلي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز[1] الذي أصدر أمره إلي عماله في مختلف الأمصار الإسلامية أن يجمعوا السنة، وكتب إلي أبى بكر بن حزم عامله علي المدينة ١١٧هـ ،، عن خشيته دروس العلم وذهاب العلماء، وطلبه تدوين أحاديث الرسول ﷺ: ونهض لذلك الأمر العالم الجليل أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ .) فكان سابق الحلبة في هذا المضمار، وقد ظهرت مواهبه منذ صغره، إذ يروى أنه أتم حفظ القرآن الكريم في ثمانين ليلة واتجه إلي العلماء ورواه الحديث فأخذ عنهم، ومنهم أنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب وسهل بن سعد، وجماعة من كبار التابعين، ومن أخصهم سعيد بن المسيب رضي الله عنه فقد لزمه ثمانية أعوام متواصلة، وظل ينتقل بين الأقطار الإسلامية [2]. وقد روى عنه خلق كثير أشهرهم الإمام مالك، والإمام أبو حنيفة، وعطاء بن رباح، والليث بن سعد، وعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وخرج له الشيخان البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة.

وكان عمل الزهري في السنة مجرد تدوين، من غير تبويب ولا ترتيب، أما الجمع علي الأبواب، فقد وقع في نصف القرن الثاني، وقام به: ابن جريج (ت١٥٠هـ .) في مكة، مالك (ت ١٧٩هـ .)، ابن اسحق (ت ١٥١هـ .) في المدينة، وهشيم في واسط، ومعمر (ت١٥٣هـ .) باليمن، وابن المبارك (ت ١٨١هـ .) بخراسان، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ .) بالكوفة، والأوزاعي (ت ١٥٧هـ .) بالشام، وجرير بن عبد الحميد بالرِّى.

## ب) كتب الحديث ومؤلفوها:

وفي القرن الثالث نشطت حركة جمع الحديث، فألف البخاري جامعه الصحيح، وكذا مسلم، وألفت كتب السنن، وقد تلقاها المسلمون بالقبول وكان التأليف في هذا العصر علي أوضاع مختلفة:

١- جمع أحاديث كل راو على حدة، وإن اختلفت الموضوعات، مثل (المسند) للإمام أحمد.
٢- ما ألف مع ترتيب الأبواب والمسائل، مثل (الموطأ) للإمام مالك.

---

(١) د. أحمد عمر هاشم- معالم على طريق السنة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٦، ص ٥٦.
(٢) محمد الطيب النجار- تدوين السنة ، ص ٣٣.

٣- ما كان عاما شاملا لأحاديث العبادات والأحكام والحكم والتواريخ وغير ذلك وهو المسمي (بالجامع)، ومنه (الجامع الصحيح) للإمام البخاري.

٤- ومنه ما يقتصر على السنن والأحكام كسنن أبي داود.

٥- ومنه ما يختص موضوعا بعينه أو مسألة واحدة كشعب البيهقي، والقراءة في الصلاة للبخاري[١].

٦- واشتهر صحيحا البخاري ومسلم، وكتب السنن الأربعة، بالكتب الستة.

## ولكل كتاب من هذه الكتب الستة ميزة:

- فمن أراد التفقه فعليه بصحيح مسلم.
- ومن أراد قلة التعليقات فعليه بصحيح مسلم.
- ومن رغب في زيادة معلوماته في فن الحديث فعليه بسنن الترمذي.
- ومن قصد حصر أحاديث الأحكام فبغيته في سنن أبي داود.
- ومن كان يعنيه حسن التبويب في الفقه يجده في سنن ابن ماجه.
- وقد توافرت أكثر المزايا في سنن النسائي.

وقد حرص جميع المؤلفين، برغم اختلاف مناهجهم على ألا يسجلوا أي حديث إلا ومعه إسناده الذي تلقوه به، مسلسلا متصل الحلقات إلى الرسول ﷺ، وقد أسهمت هذه الظاهرة بنصيب كبير في حفظ السنة النبوية، وأعانت على التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف، ويمكن القول: إن الإسناد من خصائص هذه الأمة، عن طريق تتبع رواة الحديث واحدا فواحداً، والبحث عن حالهم من الحفظ والضبط والعدالة [٢].

---

(١) د. عبد الله شحاتة- علوم الدين الإسلامي. ص ١٧٢.

(٢) د. عبد الله شحاتة – علوم الدين الإسلامي. ص ١٧٣.

## * * أقسام السنة * *

تقسم السنة باعتبار السند إلى ثلاثة أقسام: سنة متواترة، سنة مشهورة، سنة أحاد، والسند هو سلسة الرواة عن الرسول ﷺ، أما المتن فهو أصل الحديث ونصه اللفظي.

### أ) السنة المتواترة:

هي ما رواها، عن النبي ﷺ جمع عن جمع حتى وصلت إلينا بسند كل طبقة من رواتها، جمع لا يتفقون على كذب، من مبدأ تلقيهم من الرسول ﷺ حتى نهاية الوصول إلينا، ومن أمثلة ذلك السنن العملية في العبادات: الصلاة والصوم، والحج.

### ب) السنة المشهورة:

هي ما رواها، صحابي أو أكثر، عن جمع لم يبلغ حد التواتر، ورواها عن هذا الجمع جمع مثله، حتى وصلت إلينا بسند أول طبقة فيه سمعوا عن الرسول ﷺ، أو شاهدوا فعله فرد أو أكثر لم يصلوا إلى جمع التواتر.

مثل الأحاديث التي رواها أبو بكر وعمر وعبد الله بن مسعود ومنها " إنما الأعمال بالنيات " وحديث " بني الإسلام على خمس". والفرق بين الاثنين، أن السنة المتواترة. كل حلقة في سلسلة الرواة (السند) جمع التواتر من مبدأ التلقي من الرسول ﷺ حتى الوصول إلينا، أما السنة المشهورة، فالحلقة الأولى في سندها ليست جمعاً من جموع التواتر، بل تلقاها عن الرسول ﷺ واحداً واثنان أو جمع لم يبلغ التواتر، وسائر الحلقات جموع التواتر.

### ج) سنة الأحاد:

هي ما رواها عن الرسول ﷺ واحد أو اثنان أو جمع لم يبلغ حد التواتر، ثم رواها عن هذا الراوي مثله، حتى وصلت إلينا بسند طبقاته آحاد لا جمع التواتر وتسمى (خبر الواحد) [1].

ومن جهة الورود تقسم السنة إلى قطعية وظنية.

فالسنة المتواترة قطعية الورود عن الرسول ﷺ، لأن تواتر النقل يفيد الجزم والقطع بصحة الخبر، والسنة المشهورة قطعية الورود عن الصحابي أو الصحابة الذين تلقوها عن الرسول لتواتر النقل عنهم، ولكنها ليست قطعية الورود عن الرسول، لأن أول من تلقي عنه ﷺ ليس جمع التواتر، وقد جعلها فقهاء الحنفية في حكم السنة المتواترة، فيخصص بها عام القرآن، ويقيد بها مطلقه، لأنها مقطوع بورودها عن الصحابي، والصحابي حجة ثقة في نقله عن الرسول،

---

([1]) د. عبد الله شحاتة – علوم الدين الإسلامي، ص ١٨٣.

ولهذا كانت مرتبة السنة المشهورة– في مذهبهم– بين المتواتر وخبر الواحد.

وسنة الآحاد ظنية الورود عن الرسول ﷺ، لأن سندها لا يفيد القطع وكل سنة من أقسام السنن الثلاثة حجة، واجب اتباعها والعمل بها [1].

(1) د. عبد الله شحاتة – علوم الدين الإسلامي، ص ١٨٢.

# * * صحة الحديث * *

## أ) شروط الحديث الصحيح:

يعرف الحديث الصحيح بأنه ما اتصل إسناده بالعدول الضابطين – من الرواة – من غير شذوذ ولا علة. ومنه يشترط لصحة الحديث شروطا خمسة:

١) اتصال الإسناد، وبذلك يخرج المنقطع، والمفصل، والمعلق، والمدلس وغيرها.

٢) عدل الرواة: بمعنى استقامة دين الراوي، وحسن خلقه، وسلامته من الفسق وخوارم المروءة.

٣) ضبط الرواة: بمعنى تيقظ الراوي، وحفظه، وفهمه لما يرويه.

٤) عدم شذوذ المروى: بمعنى مخالفة الثقة من هو أرجح منه.

٥) السلامة من العلة القادحة: كإرسال موصول، أو وصل منقطع، أو رفع موقوف [١].

## ب) أقسام الصحيح:

ينقسم الحديث الصحيح قسمين: صحيح لذاته، وصحيح لغيره

**فالصحيح لذاته:** هو الحديث الذي اشتمل على أعلي صفات القبول السابق ذكرها.

**أما الصحيح لغيره:** فهو الحديث الذي لم يتوافر فيه شرط مما سبق، كأن يكون راويه عدل ولكن غير تام الضبط فلو عضد هذا الحديث بطريق آخر يكون صحيحا لغيره، فالصحيح لغيره ما صححه أمر أجنبي، كالحديث إذا روى من عدة طرق، فإنه يرتقي بما عضده من درجة الحسن إلى درجة الصحة [٢].

## ج) أصح الأسانيد:

اجتهد العلماء في المقارنة بين الرواة المقبولين، ومعرفة الأسانيد التي تضم أعلى الأسانيد، من الرواة المشهورين بالعلم والضبط والعدالة، ورأوا أن بعض الأسانيد أصح من غيرها، لتوافر أعلى درجات القبول، وأكمل صفات الرواة، فأطلقوا عليها (أصح الأسانيد)، ولهم في ذلك ثلاثة أقوال:

١) ما رواه ابن شهاب الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر.

---

([٢]) المرجع نفسه ، ص ١٩١.

([١]) د. عبد الله شحاتة– علوم الدين الإسلامي، ص ١٩٢.

٢) ما رواه سليمان الأعمش، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس، عن عبد الله بن مسعود.

٣) وقال الإمام البخاري وغيره، ما رواه الإمام مالك بن أنس، عن نافع مولى ابن عمر، عن عبد الله بن عمر.

ولما كان الإمام الشافعي أجل من روى عن الإمام مالك، والإمام أحمد ابن حنبل أجل من روى عن الشافعي، فقد ذهب بعض المتأخرين إلى أن أجل الأسانيد هي: ما رواه الإمام أحمد، عن الإمام الشافعي، عن الإمام مالك، عن نافع، عن ابن عمر ﷺ ويسمى هذا الإسناد (سلسلة الذهب) [١].

## د) أنواع الحديث:

ينقسم الحديث صحة وضعفا إلى أنواع كثيرة وتتعدد المصطلحات الحديثية وفرة، ونعرض فيما يلي لإيضاح الفروق بينها:

**فالصحيح:** هو المتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، وسلم من الشذوذ والعلة.

**والحسن:** هو المتصل إسناده بنقل عدل خفيف الضبط، وسلم من الشذوذ والعلة.

**الحسن الصحيح:** هو الذي جمع في وصفه بين الصحة والحسن، لوجود إسنادين، أو إسناد واحد بوصفين.

**الحسن والصحيح:** هو الذي جمع في وصفه بين الصحة والحسن، لوجود إسنادين، أو إسناد واحد بوصفين.

**الضعيف:** هو الذي لم تجتمع فيه صفات الصحيح أو الحسن، ويتفاوت ضعفه على أنواع: كالموضوع والشاذ، ويجوز العمل به في المواعظ و القصص وفضائل الأعمال، لا في صفات الله، ولا في أحكام الحلال والحرام.

**المرفوع:** هو ما أضيف إلى النبي خاصة، أو ما أخبر به الصحابي عن فعل النبي أو قوله.

**الموقوف:** هو ما روى عن الصحابة قولا أو فعلا لهم، سواء اتصل سنده أم انقطع.

**المرسل:** هو ما روى عن التابعي، وسقط منه الصحابي، مثل قول التابعي، قال رسول الله ﷺ:كذا أو فعل كذا.

---

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩٣.

**المتصل:** هو ما اتصل إسناده بسماع كل راو عمن فوقه إلى منتهاه، ويسمى (الموصول) وينفي الإرسال أو الانقطاع، ويشمل المرفوع والموقوف.

**الغريب:** هو ما أنفرد راو واحد بروايته، أو بزيادة متنه، أو إسناده: فيكون غريبا متناً، أو غريباً إسناداً.

**الموضوع:** هو المختلق على النبي ﷺ، والمكذوب عليه، وهو شر أنواع الحديث الضعيف، وتحرم روايته إلا ببيان وضعه.

**المقطوع:** هو الموقوف عن التابعين قولا أو فعلا، وهو غير المنقطع.

**المنقطع:** هو كل مالا يتصل إسناده، فسقط من سنده راو واحد في موضع أو أكثر، أو ذكر فيه رجل مبهم.

**المُعْضِل:** هو ما سقط من إسناده راويان متتاليان أو أكثر، ومنه ما يرسله تابع التابعي.

**المعلق:** هو ما سقط من مبدأ سنده راو واحد أو أكثر على التوالي، ويعزى الحديث إلى من فوق المحذوف من رواته.

**الشاذ:** هو ما ليس له إلا إسناد واحد، يشذ به ثقة أو غير ثقة، ويخالف ما روى الناس.

**المنكر:** وهو كالشاذ، إن خالف راويه الثقات، أو لم يكن عدلا ضابطا وإن لم يخالف.

**المدلس:** والتدليس على نوعين، تدليس في الإسناد؛ فيروى الراوي عمن عاصره، ولم يَلْقَه على وجه يوهم سماعه، وتدليس الشيوخ: وهو تسمية الراوي بصفة أو بكنية لا يُعرف بها.

**المعلل:** هو ما كان مشمولا بعلة خفية في السند أو المتن؛ في السند: التفرد أو الإرسال أو الانقطاع كما قد وصله راويه، أو وقف لما رفعه، وفي المتن: إدراج متن في متن.

**المضرب:** هو ما روي مختلفا عن راو واحد، بأن رَوَاهُ رَاوٍ واحد أو جماعة على وجه، ثم مرة أخري على وجه مخالف، في متن أو سند.

**الجرح:** هو وصف الراوي بما يقتضى عدم قبول روايته.

**التعديل:** هو وصف الراوي بما يقتضى قبول راويته، أو وصفه بالعدالة والضبط في الأداء[1]

---

([1]) عبد الله بن على العجمي الشنشورى الشافعي- تحقيق المختصر من مصطلح الأثر- مجلة الأزهر ١٤٠٥هـ ، ص ١٤ وما بعدها.

# * * المحدثون * *

## أ) رواة الحديث:

كان صحابة الرسول ﷺ، (رضوان الله عليهم) هم مصدر الحديث ورواته ثم أتى من بعدهم تابعوهم، وتابعو تابعيهم، والصحابي- على رأى الجمهور- هو من رأى الرسول ﷺ أو رآه الرسول في حال إسلامه، وإن لم تطل صحبته، وإن لم يرو عن الرسول ﷺ شيئا، والتابعي هو من أدرك الصحابي، وقد أُلِّفَتْ كتب كثيرة في تراجم الصحابة، أكثرها فائدة، وأوسعها هو كتاب (أُسْد الغابة في معرفة الصحابة) ومؤلفه عز الدين ابن الأثير الجزرى (٦٣٠هـ .)، وقد تضمن تراجم ٧٥٥٤ صحابيا، وأفضل الصحابة على الإطلاق: الخلفاء الراشدون الأربعة، ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة وهم:

طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن ابن عوف، وأبو عبيده ابن الجراح، ثم أهل بدر وكان عددهم ٣١٣ صحابي، وأهل أُحُد، وأهل بيعة الرضوان وممن لهم مزية على غيرهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار[1].

وقد اشتهر سبعة من الصحابة، أكثروا رواية الحديث أكثر من غيرهم فسموا (مكثرون) وقد اصطلح العلماء، على أن من روى أكثر من ألف حديث عد مُكْثِرا، وهؤلاء السبعة:

١- أبو هريرة: ت (٥٧هـ .). ذكر ابن الجوزي عدد أحاديثه ٥٣٧٤، وفي مسند أحمد بن حنبل عددها ٣٨٤٨.
٢- عبد الله بن عمر ابن الخطاب: ت (٧٤هـ .). ذكر ابن الجوزي عدد أحاديثه ٢٦٣٠، وفي مسند أحمد بن حنبل عددها ٢٠١٩.
٣- أنس ابن مالك: ت (٩٣هـ .). ذكر ابن الجوزي عدد أحاديثه ٢٢٨٦، وفي مسند أحمد بن حنبل ٢١٧٨.
٤- السيدة عائشة: ت (٥٨هـ .). ذكر ابن الجوزي عدد أحاديثها ٢٢١٠.
٥- عبد الله بن العباس: ت (٦٨هـ .). ذكر ابن الجوزي عدد أحاديثه ١٦٦٠، وفي مسند أحمد بن حنبل عددها ١٦٩٦.

---

- أحمد محمد شاكر – الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير- دار التراث ١٩٧٩.
- د. عبد الله شحاتة- علوم الدين الإسلامي ، ص ١٩٢، ٢١٢.

(1) د. الحسيني عبد المجيد هاشم- أئمة الحديث النبوي. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٧٨، ص ٣٥.

٦- جابر بن عبد الله: ت (٧٧هـ .). ذكر ابن الجوزي عدد أحاديثه ١٥٤٠، وفي مسند أحمد بن حنبل عددها ١٢٠٦.

٧- أبو سعيد الخدري: ت (٧٤هـ .) ذكر ابن الجوزي في أحاديثه. ١١٧٠، وفي مسند أحمد بن حنبل عددها ٩٥٨ [١]

## كما يذكر من أئمة الحديث النبوي من التابعين:

١- الإمام مالك بن أنس ت (١٧٩هـ .): إمام دار الهجرة (المدينة المنورة)، أخذ عن الزهري ونافع، وكثير من التابعين، وروى عنه أبو حنيفة والشافعي، ترك أكثر من ٢٠ مؤلفا، أهمها (الموطأ)، كان يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف غير صحيح، وبلغت أحاديث الموطأ، ١٧٢٠ حديثا، وقيل عنه: أصح وأكثر صوابا وأنفع كتاب بعد القرآن.

٢- الإمام أحمد بن حنبل ت (٢٤١هـ .): أخذ عن سفيان بن عيينة والشافعي، وحفظ ٧٥٠٠٠٠ حديث، وقد ضم كتابه (المسند) أحاديث كل صحابي على حدة، دون الموضوع، وعدد أحاديثه ٤٠٠٠٠ حديث، وهو أجمع كتب السنة والحديث.

٣- الإمام البخاري ت (٢٥٦هـ .. .): درس الحديث في الحاديـة عشرة من عمره، وطاف الدنيا في طلبه، انتقى كتابة (الصحيح) من بين ٦٠٠٠٠٠ حديث خلال ستة عشر عاما، وانتقى الرواة، واشترط المعاصرة واللقاء، وله مؤلفات شتى في مجال الحديث، وسبب تأليفه للصحيح أنه رأى نفسه في المنام، واقفا بين يدي الرسول ﷺ يذب عنه بمروحة في يده، وفسرت بأنه يَذُبُّ الكذب عنه ﷺ.

٤- الإمام مسلم ت (٢٦١هـ .): اتسمت شخصيته بالبحث العلمي، وخلص للحديث دون غيره، ورحل إلى بلاد كثيرة في طلبه، وجمع كتابه الصحيح من بين ٣٠٠٠٠٠ حديث في ١٥ سنة، وعدد أحاديثه ٤٠٠٠ حديث، واشترط المعاصرة فقط دون اللقاء.

٥- الأمام أبو داود ت (٢٧٥هـ .): صنف سننه على أبواب الفقه، واقتصر فيها على الأحكام فقط، دون القصص و المواعظ والأخبار، وكان قد كتب أربعمائة ألف حديث، انتخب منها في كتابه ٤٨٠٠ حديث.

٦- الإمام الترمذي ت (٢٧٩هـ .): كان من أئمة الحفاظ، ولقي كبار أئمة الحديث: البخاري ومسلم وأبا داود، وأشهر كتبه (جامع الترمذي)، وقال عن كتابه هذا: من كان في بيته، فكأنما فيه نبي يتكلم.

---

(١) د. عبد الله شحاتة- علوم الدين الإسلامي، ص ١٩٧.

٧- الإمام النسائي ت (٣٠٣هـ .): رحل في طلب الحديث وسنه خمسة عشر عاما، صنف كتابه (السنن الكبرى)، ثم استخلص منه الصغرى أو ما يعرف بـ (المجتبى) من السنن، وهو أقل كتب السنن حديثا ضعيفاً، وعدد أحاديثه ٥٧٦١ حديث.

٨- الإمام ابن ماجه ت (٢٧٣هـ .): كان على درجة رفيعة من العلم، صنف في التفسير والحديث، وأشهر كتبه (السنن) على أبواب الفقه، ولم يلتزم إخراج الصحيح فقط[١].

## ب) ألقاب المحدثين:

لم يكن علماء الحديث في مرتبة واحدة، بل تفاوتت ألقابهم حسب التمكن والفهم والنبوغ.

**فالطالب:** يطلق على من يروى الحديث بإسناده، دون علم أسانيد المتون ومعرفة رجالهم ولا يعلل المتون ولا معانيها، فهو مجرد حافظ يحفظ أسماء الرواة، ويحفظ الأحاديث وأسانيدها.

**والمحدث:** هو من توسع في الرواية والمعرفة، فاشتغل بالحديث رواية ودراية، وتميز حتى عرف حفظه واشتهر ضبطه وقيل هو من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال وحفظ جملة من المتون، وسمع الكتب الستة، ومسند أحمد، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، فحصل على معرفة تجعله ذا ذوق في الحديث.

**والحافظ:** من الحفظ، وهو من عرف شيوخه، وشيوخ شيوخه، طبقة بعد طبقة، وللدلالة على مكانة الحفاظ يروى أن الإمام أحمد كان يحفظ ٧٥٠٠٠٠ حديث، والبخاري ٣٠٠٠٠٠ حديث، ومثله مسلم، وأبو داود ٥٠٠٠٠٠ حديث، ويحيى بن معين ١٣٠٠٠٠ حديث، والحاكم النيسابوري ٥٠٠٠٠٠ حديث من شتي أنواعه صحيح وغيره.

**والحجة:** هو الحافظ الذي بلغ في الحفظ والإتقان مبلغا، يصح أن يكون حجة عند العام والخاص.

**والحاكم:** هو من عرف أغلب الأحاديث متنا وسندا وجرحا وتعديلا وتاريخا، وكل ما يتعلق بذلك الفن. وممن لُقِّب بالحاكم: أبو داود، والترمذي، والنسائي، والنيسابوري.

وأعلى درجات المحدثين هو (أمير المؤمنين في الحديث) أي أعلم عصره به، وأجمعهم له وممن لقب بأمير المؤمنين في الحديث: الإمام مالك، والإمام أحمد، والبخاري والدارقطني وغيرهم[٢].

---

(١) د. الحسيني عبد المجيد هاشم، أئمة الحديث النبوي، ص ٩٠ وما بعدها.

(٢) د. الحسيني هاشم – أئمة الحديث النبوي ، ص ٢٥.

## ج) مصطلحات المحدثين:

- متفق عليه، رواه الشيخان: رواه البخاري ومسلم.
- أصحاب السنن: أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه (بالترتيب).
- رواه الستة: رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.
- رواه الخمسة: رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.
- رواه الأربعة: رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي.
- رواه الثلاثة: رواه البخاري ومسلم، وأبو داود [1].

---

([1]) د. عبد الله شحاتة –علوم الدين الإسلامي، ص ٢٢٣.

# الفصل الثالث

# العدد في القرآن الكريم

﴿ ١ ﴾

القرآن الكريم هو حبل الله المتين، والنور المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، والشفاء النافع، والعصمة للمتمسك، والنجاة للمتعلق، هو الشافع المشفع، والماحل المصدق، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا يخلق على كثرة الرد، من قال به صدق، ومن عمل به سبق، ومن تلاه أُجِر، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار.

والقرآن مأدبة الله ويقبل على هذه المأدبة كل من شرح الله له صدرا، تلاوة وذكرا، وترتيلا وبحثا، وتجويدا ودرسا، وزخرفة ورسما، ونحن مأمورون بأن ننهل من رِيْ القرآن ونَعُب من خيره، ونلتمس للقلوب الشفاء والراحة والأمن، ونملأ الصدور بأنوار الإعجاز التي تشع من الآيات والألفاظ والكلمات والحروف.

## والقرآن يشتمل على موضوعات:-

العقائد، والغيبيات، والعبادات، والأحكام، والمعاملات، والحدود، والقصص.

وهذه الدراسة تتناول تحديد مناسبات ومواضع ذكر العدد في القرآن الكريم، وبادئ ذي بدء أذكر أن القرآن كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يقدس أعدادا مثلما كانت عليه ملل الأمم الغابرة.

فالعدد (٢) مثلا كان له شأن كبير في عقيدة زرادشت التي سادت بلاد فارس والهند وكانت تقوم على فكرة " الثنائية " بوجود إلهين (أهورا مازدا) إله الخير، و(أهريمان) إله الشر، يمثلان قوتي النور والظلام في الكون وتقوم بهما الحياة [١].

والعدد (٣) له شأن عظيم أيضاً في عقيدة النصرانية التي تقوم على فكرة" التثليث " بوجود إله مركب من ثلاثة أصول أو أقانيم: الأب والابن والروح القدس[٢].

---

([١]) ول ديورانت – قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران وآخرين – نشر الإدارة الثقافة بجامعة الدول العربية، جـ ٢. المجلد ١، ص ٤٢٧.

([١]) محمد عزت إسماعيل الطهطاوي – النصرانية والإسلام، ص ٢٨.

والعدد (١٩) أساس العقيدة البابية التي ظهرت في إيران في القرن التاسع عشر كأخلاط ملفقة لبعض قواعد الأديان وآراء الفلاسفة، وقد جعلت العدد ١٩ محورا مقدسا تدور عليه وحوله شؤون العقيدة، وعلق " البيان" وهو كتابهم المقدس الذي يتكون من ١٩ سورة أهمية بالغة على المقابلات العددية للحروف [١].

كما فعل من قبل يهودي خبيث في عصر المبعث هو حيي بن أخطب في محاجته لرسول الله ﷺ باستخدام حساب الجُمَّل الذي تستبدل فيه حروف (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) بالأرقام المقابلة (من ١حتى ١٠، ٢٠، ٣٠، ٤٠،..... حتى ١٠٠، ٢٠٠، ٣٠٠، ٤٠٠،..... حتى ١٠٠٠) وذلك لاستنباط مدة بقاء الأمة الإسلامية، بحساب ما يقابل الحروف المقطعة (الم، ألر، ألمص) التي تفتتح بها بعض سور القرآن الكريم[٢].

..... هكذا..... حقا أنه خبث يهود

..... ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون

## لقد نزل القرآن الكريم بعقيدة التوحيد:-

- ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ = ١ اللَّهُ الصَّمَدُ = ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ = ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: ١ . . .٤)
- ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

والعدد كما جاء في لسان العرب هو مقدار ما يُعَد، وهو مفهوم مجرد لا يعطى دلالة محددة أو صورة ذهنية واضحة إلا إذا أضيف إليه معدود يميزه.

ويتخذ العدد في القرآن الكريم صورتين: إما أن يَرِد على سبيل الحصر ليفيد التحديد والتعيين، وإما أن يرد على سبيل المثال ليفيد التكثير والتضعيف.

١. **فالصورة الأولى للعدد:** التي تفيد التحديد والتعيين، كتحديد مدة أو أجل أو عدة، أو تعيين وبيان معدود.

**والأمثلة قوله ﷻ:**

- ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ (الكهف:٢٥)
- ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ (التوبة: ٢)
- ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)

---

(٢) دائرة المعارف الإسلامية – طبعة دار الشعب– مادة باب – جـ ٥ – ص ٤٩٩؟
(٣) تفسير القرآن العظيم – طبعة عيسى الحلبي . جـ ١، ص ٣٨.

- ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ﴾ (يوسف:٤)
- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ (الإسراء: ١٠١)

٢. **والصورة الثانية للعدد:** وهى التي تفيد التضعيف والتكثير جريا على عادة العرب في استخدامهم السبعة والسبعين والسبعمائة لا من باب حصر العدد ولا إفادة التحديد ولكن للتكثير. وكذلك استخدام الألف ومضاعفاتها للإخبار عن الزمن الطويل جدا [١].

والأمثلة قوله ﷻ.

- ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ (البقرة:٢٦١).
- ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ (لقمان: ٢٧)
- ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (التوبة:٨٠)
- ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (البقرة: ٩٦ ).
- ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (القدر:٣)

وعندما نستعرض آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر العدد بمختلف أشكاله مفردا (من ثلاثة إلى عشرة)، ومركبا (من أحد عشر إلى تسعة عشر)، ومعطوفا (من واحد وعشرين إلى تسعة وتسعين) وألفاظ العقود (مضاعفات العشرة حتى التسعين) ثم المائة والألف. بالإضافة إلى الكسور.

يمكن تصنيف الآيات التي ورد فيها العدد إلى ثلاث مجموعات:

**(١) الغيبيات (٢) القصص القرآنى (٣) التشريع**

## أولا: أعداد ورد ذكرها في مجال الحديث من الغيبيات:

ويقصد بها الموضوعات التي حجبت عن الخلق، واحتفظ الله ﷻ بسرها وكنهها وقد عجز إدراك البشر وقَصُر عن تصورها وتعقلها فلا علم لنا بها، ولم نكلف من علمها إلا ما قُصّ في التنزيل الحكيم أو في أحاديث البشير النذير. والأمثلة عليها: الملائكة، واليوم الآخر، والجنة والنار.

مدة الملائكة بدر:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (لأنفال:٩)

---

(١) عبد القادر الرازي– من غرائب آى التنزيل– تحقيق إبراهيم عطوة عواض– مكتبة مصطفى الحلبي، ص ١٢١.

٢. حملة العرش: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ = ١٣ . وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً = ١٤ . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ = ١٥ . وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ = ١٦ . وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ = ١٧﴾ (الحاقة ١٣-١٧)

٣. خزنة سقر: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ = ٢٦ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ = ٢٧ . لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ = ٢٨ . لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ = ٢٩ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ = ٣٠﴾ (المدثر ٢٦-٣٠).

٤. أبواب جهنم: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ = ٤٢ . وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ = ٤٣ . لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ = ٤٤﴾ (الحجر ٤٢- ٤٤)

٥. ظل للمكذبين: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ = ٢٨ . انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ = ٢٩ . انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ = ٣٠ . لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ =٣١ ﴾ (المرسلات ٢٨-٣١).

٦. يوم عند ربك: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ = ١ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ = ٢ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ = ٣ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ = ٤ ﴾ (المعارج: ١-٤).

٧. خلق السموات والأرض: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٩).

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف:٥٤)

وهذه الآيات وأمثالها يوصد بشأنها باب الاجتهاد والتأويل، ويرد العلم فيها إلى العلى الجليل ﷻ، ولا يطلب منا الجري وراء المفاهيم التي ترمي الأعداد، ولا نفعل كما فعل مشركوا مكة عندما نزلت آيات سورة المدثر في عدة خزنة سقر التسعة عشر، ودار الجدل بين أبي جهل رأس الشرك في قريش يدعوهم أن يبطش كل عشرة منهم بواحد من الخزنة، حتى قال أبو الأشد بن أسيد الجمحي وكان مشهورا بالقوة والبطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فأكفوني أنتم اثنين فقط [1]، إنهم فتنوا وضلوا بدلا من أن يعتبروا، فما جاء لفظ العدد في هذه الآيات أو الموضوعات إلا من قبيل الرموز والأسرار التي يقف علمنا دون إدراكنا وتعقلها والله أعلم بها.

(١) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم- جـ ٤، ص٤٤٤.

ثانيا: أعداد ورد ذكرها في القصص القرآني.

يعتبر القصص القرآني وسيلة من وسائل إبلاغ الدعوة، يشتمل على فصول في الأخلاق تهذب النفوس وتجمل الطباع، وطرق في التربية تساق للاعتبار والإنذار، ويحوي تاريخ الرسل مع أقوامهم والشعوب مع حكامهم، ويروى أخبار حكام قوم هّدوا فَمُكنّ لهم في الأرض، وآخرين ضلوا فساءت أحوالهم وخربت بيوتهم وحاق بهم العذاب والنكال. كل هذا بقول بَيّن وأسلوب حكيم معجز ولفظ رائع.

## * والأمثلة على الأعداد التي وردت في ثنايا القصص القرآني:

(١) عدة أصحاب الكهف ومدة لبثهم: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ (الكهف:٢٢)

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ (الكهف:٢٥)

(٢) هلاك عاد بالريح: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ = ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ = ٧ ﴾ (الحاقة ٦-٧)

(٣) رؤيا يوسف ورؤيا الملك: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف:٤)

(٤) الآيات المرشدة لموسى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ (النمل:١٢)

(٥) ميقات موسى مع ربه: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (لأعراف:١٤٢)

(٦) مدة لبث نوح: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت:١٤)

(٧) نعاج المتخاصمين عند داود: ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (ص:٢٣)

(٨) صداق ابنة شعيب: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القصص:٢٧)

ويتضح من الآيات السابقة كيف ورد العدد في ثنايا القصص القرآني واضحا جليا يميز معدودا ويحدد أجلا أو مدة في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى سكت التنزيل عن بيان العدد في بعض القصص لوجود أسرار يرد العلم بها إلى الله ﷻ.

## ثانياً: أعداد ورد ذكرها في مجال التشريع:

وذلك بصدد أحكام بعض العبادات وأحكام الأسرة والمجتمع (كالزواج والطلاق والحمل والرضاع) والمعاملات (كالتداين والإرث والوصية) والحدود (كحد الزنا وحد القذف والملاعنة) والكفارات (كفارة الايمان والإيلاء والظهار). وقد وردت الأعداد في هذا المجال التشريعي لكل الأحكام محددة وصريحة (عددا، وعددا، ومددا).

(١) عدد الزوجات: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (النساء:٣)

(٢) عدة الشهور: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (التوبة: ٣٦)

(٣) شهود القذف وحده:﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:٤)

(٤) شهود الكتابة عند التداين :﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ (البقرة:٢٨٢)

(٥) بدل الهدى في الحج للمتمتع: ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة: ١٩٦)

### عِدد:

(١) عدة المطلقة: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)

(٢) عدة المتوفى عنها زوجها: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾(البقرة:٢٣٤)

### مُدد:

(١) مدة الحمل والفصام (الرضاع): ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾(البقرة: ٢٣٣)..

﴿ وَوَصَّيْنَا الأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُ ونَ شَهْراً ﴾ (الأحقاف: ١٥)

(٢) مدة الأيلاء (الحلف): ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَ إِنَّ اللَّ هَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٢٦)

## الكفارات:

(١) كفارة الأيمان: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَ ا عَقَّ دْتُمُ الأَيْمَ انَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ (المائدة:٨٩)

(٢) كفارة العودة في الظهار: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ = فَمَنْ لَمْ يَجِ دْ فَصِ يَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ﴾ (المجادلة: ٣، ٤)

## كسور العدد:

* وردت كسور الأعداد في القرآن الكريم في مناسبتين:

١- بيان الفروض أي الأنصبة المستحقة عند الأرث.

٢- بيان توزيع الغنائم والأنفال في الحرب.

**أولاً:** التوريث:﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَ اءً فَ وْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُ لِّ وَاحِ دٍ مِنْهُمَ ا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَ دْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً = ١١ . وَلَكُمْ نِصْ فُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّ هُ عَلِ يمٌ حَلِ يمٌ = ١٢﴾

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
(النساء ١١، ١٢، ١٧٦)

وقد اتخذ فقهاء الإسلام هذه الآيات مصدرا لعلم جليل أفردوه بالتأليف، وبينوا فيه الحقائق المتصلة بالإرث أسباباً وشروطا وموانعا، وأنواعا للوارثين والوارثات وأنصبتهم وأحوالهم، وهذا ما يسمى بعلم الفرائض، الذي يتضمن مسائل قسمة المواريث ومعرفة ما يجب لكل صاحب حق في التركة والوقوف علي نصيب الوارث.

**ثانياً:** الأنفال:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنفال:٤١)

وقد وردت الأعداد في الآيات السابقة واضحة بجلاء، تحدد بدقة أحكام التشريع القرآني المعجز.

ومن كل ما تقدم نجد أن القرآن الكريم قد تضمن العدد وكسوره وصوره: مفردا ومركبا ومعطوفا مع العقود والمائة والألف. في كل موضوعاته من توحيد وعقائد وعبادات ومعاملات وأحكام للأسرة وحدود وكفارات.

# الفصل الرابع

# العدد في التشريع

في الدراسة السابقة عن " العدد في القرآن الكريم " تناولت تحديد مناسبات ومواضع ذكر العدد حيثما ورد في كتاب الله العزيز، وقد اتخذ صورتين:

الأولى: علي سبيل الحصر لإفادة التحديد والتعيين.

والثانية: علي سبيل المثال لإفادة التكثير والتضعيف جريا علي عادة العرب في استخدامهم السبعة والسبعين والسبعمائة من باب المبالغة وليس حصرا وتعيينا للعدد وإفادة التحديد، وكذلك استخدامهم للألف ومضاعفاتها للإخبار عن الزمن الطويل، ولقد ضربنا الأمثلة لذلك من القرآن الكريم.

## وعند استعراض الآيات التي ورد فيها العدد بمختلف أشكاله:

مفردا (من ثلاثة إلي عشرة)، ومركبا (من احد عشر إلى تسعة عشر)، ومعطوفا (من واحد وعشرين إلي تسعة وتسعين)، وألفاظ العقود (من العشرين... حتى التسعين) ثم المائة والألف، أمكن تصنيف هذه الآيات إلي ثلاث مجموعات:

**(١) الغيبيات (٢) القصص القرآنى (٣) التشريع**

وقلنا أن الغيبيات يوصد بشأنها باب الاجتهاد والتأويل، ويجب أن يرد العلم بها إلي الله العليم الخبير، ولا يطلب منا الجري وراء المرامي التي تهدف إليها الأعداد، حيث ترد علي سبيل الرموز والأسرار التي يحتفظ بها عالم السر والنجوى، وهى بالنسبة لنا من باب العلم الذي لا ينفع والجهل الذي لا يضر.

وفي القصص القرآنى دار العد علي محورين: التحديد والتبيين من ناحية، والسر والرمز من ناحية أخري، فجاء العدد في ثنايا القصص القرآنى أحياناً يميز معدودا أو يحدد أجلا أو مُدَدَا، وفي أحيان أخرى سكت التنزيل عن التحديد، وأبهم الغرض، وكان الغيب.

أما في التشريع فقد جاء العدد محددا واضحا صريحا، ويميز معدودا، ويميز عددا أو مددا، وهنا لزم الاجتهاد فيما لم يغيبه الله.

ولقد أكدت من قبل وأكرر أن القرآن الكريم لم يقدس أعدادا، كما كانت عليه نحـ ـل الأمـ م السابقة تثنية أم تثليثا، أو أخلاطا ملفقة من قواعد الأديان مثل البابية أو البهائية، ولكـ ن عقيـ دة القرآن الكريم هي: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، هي عقيد التوحيد، توحيد الإلـ ـه الواحـ د الأحد المتفرد بالوحدانية والتوحد. نوحده ﷻ (ربا) متفردا بالفعل خلقا ورزقا وإحيـ اء وإماتـ ـة، ونوحده جل جلاله (إلها) فنفرده بالعبادة والطاعة، دعاء ورجاء وخوفا ورغبة وإنابة وتوكلا.

يقول محي الدين بن عربي في الفتوحات المكية " مهما نظرت إلي الوجود جملة وتفصـ يلا وجدت التوحيد لا يفارقه ألبتة صحبة الواحد للأعداد، فإن الاثنين لا توجد ما لـ م تضـ ف إلـ ـي الواحد مثله ولا تصح الثلاثة ما لم تزد واحدا علي الاثنين وهكذا إلي مالا يتناهى، فالواحد لـ يس العدد، بل هو عين العدد، به ظهر العدد، العدد كله واحد، ولو نقص من الألف واحد لا نعدم اسم الألف وحقيقته، فمتى انعدم الواحد من شئ عُدِم، ومتى ثبت الواحد وُجِد ذلك الشئ، هكذا التوحيد إن حققته.[1] ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (الحديد:٤).

وهذه الدراسة عن صور العدد في التشريع توضح بعض الأحكام من القرآن والسنة التـ ـي جاء بها العدد: عبادات ومعاملات، حدود وشهادات، كفارات وديات، فرائض وزكوات، فتبـ ـين عدد الصلوات أو الركعات، وعدد الشهود والشهادات (في الحدود والجنايات)، وعدد أيام الصيام وعدد المساكين الذين يُطْعَمونُ (في الكفارات) ومقادير ونسب من عناصر المال المختلفة (فـ ـي الزكاة والفرائض والغنائم والجزية والديات)، وعدد (بكسر العين) أو مدد تحسب بالأيام والشهور والسنين في أحكام الأسرة أو الأحوال الشخصية وغيرها.

(1) محي الدين بن عربي– الفتوحات المكية– الهيئة المصرية العامة للكتاب– السفر الأول– ف ٥١٢.

# * * العبادات * *

## أركان الإسلام:

قال الرسول ﷺ: " بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لم ن اس تطاع إلي ه س بيلاً " رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر.[١]

الصلاة عماد الدين، فهي آية الإيمان وصلة الإنسان بالرحمن، ودعاء ومناجأة ب ين العب د وربه تتكرر خمس مرات في اليوم والليلة لتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يقول الرسول ﷺ: " خمس صلوات كتبهن الله علي العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن ش اء أدخله الجنة " رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عبادة بن الصامت.[٢]

وقال أيضاً يحث علي فضل صلاة الجماعة التي تصح باثنين: إمام ومُقْتَ د ويس تحب أن تكون في المسجد:

" صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة " رواه أحمد والترمذي والنس ائي عن ابن عمر[٣]

وفي عدد الصلوات والركعات، نختار من الأخبار الواردة في عدد الرواتب أنها سبع عشرة ركعة كعدد المكتوبة: ركعتان قبل الصبح، وأربع قبل الظهر وركعت ان بع دها، وأرب ع قب ل العصر، وركعتان قبل المغرب، وثلاث بعد العشاء وهى الوتر[٤]. ومهما يك ن فالص لاة خي ر موضوع من شاء أكثر ومن شاء أقلل. وفي ختم الصلاة يروى مسلم أن الرسول ﷺ قال: " م ن سبح الله دُبُر كل صلاة ثلاثة وثلاثين، وحمده ثلاثة وثلاثين، وكَبّرَهُ ثلاثة وثلاثين، فتكون تس عة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علي ك ل شئ قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" رواه النسائي عن أبى هريرة.[٥]

وفي فضل الصلاة على النبي ﷺ: " من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشر ص لوات،

---

(١) المناوي- المختصر شرح الجامع الصغير للسيوطى- تحقيق مصطفى عمارة ، مطيعة عيسى البابي الحلبي- ١٩٥٤، جـ .١، ص ٢١٧.

(٢) المناوى- المصدر السابق، جـ .٢، ص٧.

(٣) المناوى – المصدر السابق- جـ .٢، ص ٧٦.

(٤) الغزالي – إحياء علوم الدين- دار الشعب، جـ .٢، ص ٣٥٢.

(١) المناوى – المصدر السابق- جـ .٢، ص ٢٩٩.

وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات" رواه أحمد والبخاري في الأدب والنسائي عن أنس.[١]

وفي تفضيل بعض الأماكن وخصوصية الصلاة فيها " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه " رواه أحمد وابن ماجه عن جابر.[٢]

وفي توجيه الآباء للأبناء بالصلاة " مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عنها لعشر سنين" رواه أحمد وأبو داود عن ابن عمرو.[٣]

والوضوء طهارة واجبة قبل الصلاة وهو سلاح المؤمن ومدار الأمر فيه على الاتباع فيروى أحمد وابن ماجه والنسائي: " جاء أعرابى إلي الرسول ﷺ يسأله عن الوضوء فأراه ثلاثا ثلاثا، وقال له هذا الوضوء فمن زاد علي هذا فقد أساء وتعدى وظلم ".

---

(٢) نفس المصدر – جـ ٢، ص ٢٠٣.
(٣) نفس لمصدر – جـ ٠، ص ٧٨.
(٤) نفس المصدر– جـ ٢، ص ٢٦٣.

# * * الحـ ـدود * *

الحدود جمع حد، وهو لغة ما يحجز بين شيئين لمنع اختلاطهم، وشرعا هي عقوبات الجرائم المحددة والمقدرة بنص الكتاب أو السنة، وحدود الله محارمه ونواهيه ومن تسميتها أنها تمنع من الإقدام علي الفعل، وكما يقال هي موانع قبل الفعل زواجر بعده.[١]

أما التعزير وهو التأديب مطلقا، ويكون عن ذنب لا حد فيه ولا كفارة، وأمره متروك للإمام يقدر حالة كل مجرم وكل جريمة، ويكون بالضرب أو الحبس أو النفي أو الزجر أو بغير ذلك.[٢]

والحدود المقررة في التشريع هي: الزنا والقذف وشرب الخمر والسرقة وقطع الطريق (الحرابة) ويضيف البعض إليها البغي والردة، وإقامة الحدود ضرورة لحماية المجتمع وتحقيق أمنه، وقد يغفل المرء عن الجناية الواقعة وينظر إلي العقوبة فيرق قلبه عطفا علي الجاني وهذا يتنافى مع الإيمان ﴿ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾ (النور ٢)، فالرحمة بالمجتمع أهم بكثير من الرحمة بالفرد، وعن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال: " حدٌ يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض أن يمطروا أربعين صباحا " رواه النسائي وابن ماجه.[٣]

## * وتتميز الحدود ببعض الخصائص منها:

- الحد حق الله، ولا يختص بأحد وينسب إلي الله ﷻ لعظيم خطره وشمول نفعه.
- الحدود محددة بنص القرآن أو السنة لا تزيد ولا تنقص.
- يفوض أمر إقامة الحدود للإمام لما له من القوة والمنعة، والبعد عن مظنة الخوف والمحاباة.
- الحدود تتداخل، فلا يقام علي المتهم الواحد مهما تعددت جرائمه إلا حد واحد.

## * تتصنف الحدود بالرق بالنسبة للعبد أو الأمة.

- الحدود عقوبة شخصية فلا تتعدى الجاني إلي غيره ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (فاطر ١٨).
- لا يقبل في الحدود عفو ولا شفاعة ولا يجوز عليها صلح.
- الحدود لا تقام في المساجد صيانة لها من التلوث، ولا في أرض العدو حتى يعود

---

(٥) د. أحمد فتحي بهنسي – الحد والتعزير– مكتبة الوعي العربي ، ص٩.
(٦) نفس المرجع – ص ١٢.
(١) المناوى– المصدر السابق– جـ ١.، ص ٢٥٢.

الجيش.

- ما يحدث في الحدود من تلف هدر لا ضمان له.
- جواز الصلاة علي المحدود بعد موته.
- الحدود تدرأ بالشبهات، فخطأ الإمام في العفو خير من خطئه في العقوبة.
- لا يقبل في الحدود إلا شهادة الرجال العدول حسب النصاب.[١]

حد الزنا: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ **(النور:٢)**.

الزنا هو الوطء المحرم، ويسمى الفاحشة لتناهى قبحه وهو أكبر الكبائر وأعظم الذنوب بعد الشرك بالله وقتل النفس، وحكمه تحريمه صيانة الأعراض وسلامة الأنساب وطهارة المجتمع.

ولما كانت هذه الجريمة البشعة تقع في أشد الخفاء، شَدَّدَ الشارع الحكيم عقوبتها كي ينزجر مرتكبها ويمتنع من تسول له نفسه فعلها، ويختلف الحد حسب الإحصان أي الزواج، فالزانية والزاني غير المحصن يجلد كل منهما مائة جلدة ويُغَرّب عاماً عن بلده، وأما المُحْصِن فيُرجم بالحجارة حتى الموت والدليل: ما كان يتلى ثم نُسِخ تلاوة وبقى حكما " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله" [٢] وكذلك رجم رسول الله ﷺ الغامدية وماعز، واليهوديين، والحد علي العبد أو الأمة نصف ما على الحر فيجلد خمسين جلدة ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (النساء:٢٥).

(أ) **حد القذف:**﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:٤)، والقذف هو رمى المحصنات العفيفات بالفاحشة، وينصرف الحكم أيضاً علي الرجل، وهو جناية علي الأعراض وهي الأَوْلَى بالرعاية عند ذوى المروءات، والحفاظ علي الشرف والطهارة. وحد القاذف بلا بينة هو أن يجلد ثمانين جلدة، وترد شهادته أبدا ويكون فاسقا ليس بعدل، وقد جلد الرسول ﷺ أهل الإفك الذين رموا السيدة الطاهرة العفيفة عائشة أم المؤمنين بالبهتان ثمانين جلدة.[٣]

(ب) **حد شرب الخمر:**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ = ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ

---

[٢] د. أحمد فتحي بهنسي– الحد والتعزير، ص ١٦.

(١) محمد أبو زهرة– العقوبة في الإسلام– بحوث مؤتمرات المجمع– ١٩٧١، جـ ٤، ص ٨٢، ٨٨.

(٢) نفس المرجع – جـ ٤، ص٩٤.

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ = ٩١ ﴾ (المائدة ٩٠، ٩١)

بهذا النص القاطع حُرِّم شرب الخمر بعد تدرج، فهي أم الكبائر تضر بالجسم والعقل والضمير، والخمر من الستر لغة، فشربها يُوجِد ستارا بين العقل والإدراك، فلا يدرى شاربها ولا يعي، ويتخدر وجدانه فيهتك حمى الحياء، وتسهل المعصية وتضعف مقاومة الشر، وتوجد الاستهانة بالواجبات، وتفقد الإحساس بالمسئولية، ويجب حد شارب الخمر باعترافه أو بشاهدي عدل، ويجلد ثمانين جلدة [١]

(١) أبو زهرة – المرجع السابق – جـ ٤، ص ١٢٤.

# * * نصاب الشهادة * *

الشهادة خبر قاطع بما رؤى أو سمع، وهى فرض عين على من تحملها متى دُعِى اليه ا، وتجب متى خيف ضياع الحق ولو لم يدع إليها، لقوله تعالى: ﴿ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ (البقرة ٢٨٣)، ويشترط في الشاهد أن يكون: مسلما عاقلا بالغا عادلا غير متهم، فلا تقبل شهادة عمودي النسب (الأصل والفرع) لبعضهم، وأحد الزوجين لصاحبه، وشهادة م ن يُجرِى لنفسه نفعا أو يدفع عنها ضرا، وشهادة العدو علي عدوه.

وشهادة الزور من أكبر الكبائر وقد حذر منها الرسول ﷺ حيث أنها س هلة عل ي اللس ان صعبة عند الميزان، تنصر الظالم وتضيع حق المظلوم، ولها م ن الـ دوافع الكثي رة كالحق د والبغضاء، والشهادة إما أن تكون في الحقوق المالية أو في الحدود، ولكل حالة عدد من الشهداء، أي نصاب لابد منه في إثبات الدعوى: أربع شهداء، أو رجلين، أو رجل وامرأت ان، أو ثلاث ة رجال وهكذا.. وتحديد العدد من الشهود، أو الذكورة والأنوثة لم يأت لغوا بغير فائ دة أو عل ي سبيل الندب، إنما فُرِضَ لعلة الاطمئنان والتثبت، فأخبار العدد أظهر من أخبار الواح د، وف ي العدد معنى التوكيد، وفيه صيانة للحقوق من الضياع.[١]

## أ) شهادة الأربعة:

١) في الزنا والقذف: ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَ ةً مِ نْكُمْ ﴾ (النساء: ١٥)، ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾

٢) (النور: ٤)، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ = ١١ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ = ١٢ لَ وْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّ هِ هُ مُ الْكَ اذِبُونَ = ١٣ ﴾ (النور ١١ . .١٣)

شدد الشارع العظيم في إثبات جريمة الزنا ضرورة وجود أربعة شهداء رجال، حتى يس د السبيل أمام من يتهم الأبرياء جزافا بعار الدهر وفضيحة الأبد، ويشهدون شهادة معاينة كالمرود في المكحلة أو كالرشاء[*] " في البئر، ثم أوجب الحد جلدا ثم رجما، وكل رجم في القرآن معناه القتل، وذلك لبشاعة الجرم وسوء أثره علي المجتمع فكان لابد من التشديد، يقول الفاروق عم ر

---

(١) جميل بسيوني- أصول الإثبات شرعا ووضعا- مجمع البحوث الإسلامية - ١٩٨٠، ص ٢٥- ٦٠.

(*) الرشاء: هو حبل الدلو، لسان العرب، جـ .٣، ص ١٦٥٣،

بن الخطاب " إنما جعل الله الأربعة سترا ستركم به من فواحشكم " [١]، وضرورة الأربعة إسبال لستر الكرم الإلهي على إجرام العباد، لأنه يتعذر إقامة الشهود علي الوجـ ـه المطلـ وب لإثبـ ات الحالة، والعدد الذي ميز الشهداء في الآيات هو أربعة تمييز للمذكر وليس للمؤنث ولـ ذا انعقـ د الاجتماع علي ضرورة اشتراط الذكورة في الحدود. [٢]

ولكن ابن حزم الظاهري أجاز قبول شهادة امرأتين مكان كل رجل، فيكون الشهود ثلاثـ ة رجال وامرأتين، أو رجلين وأربع نسوة، أو رجلا واحدا وست نسوة، أو ثمان نسـ وة لا رجـ ال معهم. [٣]

٣) في الملاعنة:﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ = ٦ . وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَـ اذِبِينَ = ٧ . وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ = ٨ . وَالْخَامِسَـ ةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ = ٩﴾ (النور٦- ٩)

واللّعان مشتق من اللَّعن وهو الإبعاد وسمي كذلك لأن أحد المتلاعنين يكذب فيكون ملعونا، ولأن كل منهما يَبْعُدُ عن الآخر بتأبيد التحريم، ولقد نزلت هذه الآيات في هلال بن أمية عنـ دما قذف زوجته في شريك بن سحماء، فقال له رسول الله ﷺ: " البينة أو حد ظهـ رك ". أي إذا لـ م تُقَدِّم البينة سوف تجلد، فقال هلال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحق، فنزلت هذه الآية، والملاعنة مخرج للأزواج، عبارة عن شهادات بالله ﷻ من الزوج أربع مرات أنه صادق فـ ي قوله علي زوجته، ثم دعائه علي نفسه في الخامسة إن كان من الكاذبين، فإذا اعترفت الزوجـ ة بعد ذلك بالزنا أقيم عليها الحد، وإذا لم تعترف وشهدت هي الأخرى أربع شهادات بـ الله ﷻ أن زوجها كاذب في قوله، وتدعو على نفسها في الخامسة إن كان من الصادقين ثم يفرق بينهم إلي الأبد، والملعون والمغضوب عليه في هذه الحالة هو من يعلم الحق ثم يحيد عنه خشية الفضيحة والعار، دون أن يعلم أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة. [٤]

فتبارك الله الذي يحكم ويُشَرِّع لينظم حياة الإنسان المغرور الذي لا يدرى من حكمة العلـ ى القدير كيف تسير.

---

(١) نفس المرجع – ص ٢٥، ٥٨.
(٢) نفس المرجع – ص ٢٥.
(٣) السيد سابق – فقه السنة – جـ .٣، ص ٣٥٥.
(١) السيد سابق– نفس المرجع– جـ .٢، ص ٢٧٢.

## ب) شهادة الثلاثة:

ويشترط في الشهادة علي الإعسار أو الإفلاس لشخص عرف غناه ثم ادعى الفقر ليأخذ من الزكاة ضرورة شهادة ثلاثة رجال علي إعساره، كما في حديث الغارم: وهو الذي لزمه الـ دين في الحمالة (الدية أو الغرامة) [1]، في رواية مسلم عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحمل ت حمالة فأتيت الرسول ﷺ أسأله فيها، فقال: " أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها، ثم ق ال: يـ ا قبيصة أن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل الحمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ث م يمسك، ورجل أصابته جائحة (آفة) اجتاحت ما له، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما أو سدادا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه (ذوى العقل والفطنة): لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما أو سدادا من عيش، فما سـ واهن مـ ن المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا " [2]

## ج) شهادة الرجلين أو الرجل والمرأتين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّـهُ بِالْعَـدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّـهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْـأَمُوا أَنْ تَكْتُبُـوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَـى أَلاَّ تَرْتَـابُوا إِلاَّ أَنْ تَكُـونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُـمُ اللَّـهُ وَاللَّـهُ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عَلِـيمٌ ﴾ (البقرة:٢٨٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ (المائدة:١٠٦)

ويراعى في الحقوق المالية أو المقصود منها مال مثل: التداين والبيع والشـ راء والإجـ ارة والرهن قبول شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، ولقد كثر الله أسباب توثيق الأموال لكثرة جهات تحصيلها فجعل التوثيق تارة بالكتابة وتارة بالإشهاد وتارة بالرهن وتارة بالضمان، وأدخل فـ ي

---

([1]) نفس المرجع – جـ ٣.، ص ٣٣٩.

([1]) صحيح مسلم – طبعة عيسى البابي الحلبي– جـ ١.، ص ٤١٦.

ذلك كله النساء مع الرجال.[1]، أما في الحقوق غير المالية مثل النسب والزواج والطلاق والرجعة والوكالة والوصية وقتل العمد (القصاص) والبلوغ وانقضاء العدة والإيلاء والظهار والخلع من جانب المرأة، وكل حقوق الأبدان، فنصاب الشهادة فيها علي قولين: قول علي ألا يقبل فيها إلا شهادة رجلين، قول آخر علي أن يقبل فيها شهادة رجل وامرأتين.[2]

شهادة النساء: وتقبل شهادتهن منفردات فيما لا يطلع عليه الرجال ويخص النساء مثل الولادة والبكارة والثيوبة وعيوب المرأة واستهلال المولود والرضاع، وقد اختلف في النصاب المطلوب كما يلي:

الشافعية: يقبلون في ذلك شهادة أربع نسوة، ومالك: يقبل شهادة امرأتين، وابن عباس وأحمد قالوا: بقبول شهادة امرأة واحدة، أما أبو حنيفة: فيقبل شهادة امرأتين مع رجل وخاصة في الرضاع لأن الحرمة متى ثبتت لهذا السبب ترتب علي ذلك زوال ملك النكاح، ولكن إبطال الملك لا يثبت إلا بشهادة الرجال، لأنه مما يمكن للرجال الاطلاع عليه.[3]

## د) شهادة الواحد:

تقبل شهادة الرجل الواحد العدل في العبادات كالأذان والصلاة والصيام، ولقد أجاز الرسول ﷺ شهادة الأعرابي وحده علي رؤية الهلال، كما قبل شهادة المرأة الواحدة إذا كانت ثقة فيما لا يطلع عليه إلا النساء، وجعل شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاري بشهادة رجلين، وليست هذه مخصوصة لخزيمة فلو شهد واحد من الخلفاء الأربعة أو المبشرين بالجنة أو الصحابة (رضوان الله عليهم) لكانوا أولى بالحكم فيها منه وحده، كما تجوز شهادة الواحد مثل شهادة المعلم في قضايا الصبيان، وشهادة الخبير في تقييم المتلفات.[4]

---

(٢) القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- وزارة الثقافة- ١٩٦٧، جـ ٣، ص ٣٨٩.
(١) السيد السابق- المرجع السابق – جـ ٣، ص ٣٤٠.
(٢) نفس المرجع- جـ ٣، ص ٣٤٢، جميل بسيوني- أصول الإثبات، ص ٨٠.
(٣) نفس المرجع – جـ ٣، ص ٣٤١، نفس المرجع- ص ٨٦.

# * * الكفارات * *

هي ما يُكَفِّرُ به من صدقة وصوم وسميت كذلك لأنها تكفر الذنوب أي تس ترها، فالكف ارة صيغة مبالغة لأنها تمحو وتستر الخطيئة، ومنها سمي الكافر كذلك لأنه ستر أعظم نعم الله عليه وهى الإيمان، وتجب الكفارة في حالات: الحلف ثم الحنث،الظهار م ن الزوج ة ث م الع ودة، التقصير في أحد مناسك الحج، الإفطار عمدا نهار رمضان، وغيرها من الحالات، وتتخذ الصور التالية:

- عتق رقبة مؤمنة.
- صيام أيام.
- إطعام مساكين.
- كسوة مساكين.

ولقد جعل الشارع هذه الكفارات وأوجبها درءاً للتقصيرات، حيث تُعتبر ديونا تتعلق بذم ة من تجب عليه حتى يؤديها، والحكمة من الكفارة هي صون الشريعة من التلاعب بها وانتهـ اك حرمتها، وأصلها قوله ﷻ ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِ ﴾ (هـ ود: ١١٤)، وحديث الرسول ﷺ " اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة تمحها، وخالق الناس بخلق حس ن" رواه أحمد الترمذي عن أنس.(١)

(أ) كفارة الأيمان:﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِ دْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة:٨٩)

## الأيمان ثلاثة:

١) لغو: وصورته ما يجرى علي اللسان دون قصد مثل: لا و الله، بلى والله، ولا شـ ئ فـ ي ذلك.

١) ويمين منعقدة: أي متعمدة وصورتها أن تحلف وتؤكد علي فعل أو عدم فعل شئ ثم يكـ ون بعد ذلك حنث فحينئذ تلزم الكفارة، أما إذا قدمت المشيئة واستثنيت سـ قط الإثـ م وزال ولا كفارة،

(١) المناوى– المصدر السابق– جـ ١٠، ص١٠.

٢) ويمين غموس: أو كاذبة تهضم الحقوق، وتغمس صاحبها في النار، وأعظم من أن نكفر فتجب التوبة فيها مع رد الحقوق إلي أصحابها.

وكفارة اليمين المنعقدة ثلاثة أشياء علي التخيير مرتبة تصاعديا علي تواليها ذكرها في الآية:

١- إطعام عشرة مساكين لكل منهم مُدّاً (*) من بر.
٢- كسوة عشرة مساكين ثوبا يجزئ عن الصلاة.
٣- تحرير رقبة مؤمنة.

فمن لم يجد واحدة من هذه الأشياء عليه أن يصوم ثلاثة أيام متتابعة أو متفرقة.(١)

(ب) كفارة الظهار: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ = ٣ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ = ٤ ﴾ (المجادلة:٣،٤)

كان الظهار طلاقا في الجاهلية فيقول الزوج لزوجته أنت على كظهر أمي. ورُوِى أن خولة بنت ثعلبة ظاهر منها زوجها أوس بين الصامت، فذهبت تستفتى رسول الله ﷺ فقال لها: حَرُمْتِ عليه، فقالت له: ما طلقني، فقال لها: حرمت عليه، فاغتمت المرأة واشتكت إلى الله ﷻ، ونزلت الآيات تشرع حكم العودة في الظهار بعد أن استمع الله لقولها(٢).

## وكفارة الظهار قبل الاستمتاع والعودة:

١) عتق رقبة مؤمنة أو
٢) صيام شهرين متتابعين أو
٣) إطعام ستين مسكينا لكل مدا من بر أو مدين من تمر أو شعير.

(ج) كفارة التقصير في مناسك الحج: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (البقرة:١٩٦)

---

(*) المد مكيال يعادل ١,٣٠ رطل
(١) السيد السابق- فقه السنة، جـ ٣، ص ١١٢.
(٢) النيسابوري – أساب النزول – طبعة مصطفى الحلبي – ١٩٦٨، ص ٢٣٢.

الحج هو قصد بيت الله الحرام وأحد الفروض الخمسة، والعمرة كـ الحج وأعمالها نفس الأعمال غير الوقوف بعرفة. وللحج أركان وواجبات وسنن ومحظورات [1].

الأركان: وهى الإحرام أي نية الدخول في النسك، الطواف، السعي، الوقوف بعرفة، وترك ركن من هذه الأركان يبطل الحج أو العمرة،

الواجبات: الإحرام من الميقات، التجرد من المخيط، التلبية، وترك واجب منها يلزم هديا أو صوما.

السنن: الاغتسال، الإحرام في رداء أبيض نظيف، الإحرام عقب صلاة فريضة أو نافلة، تقليم الأظافر وقص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة، تكرار التلبية، الدعاء والصلاة على النبي ﷺ، ومن ترك سنة من هذه السنن لا يلزمه شئ ولكن يفوته أجر.

المحظورات: تغطية الرأس، حلق الشعر أو قصه، قلم الأظافر، مس الطيب، لبس المخيط، ومن فعل واحدة من هذه المحظورات صام ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين، كما يحظر قتل الصيد أثناء الإحرام وجزاء ذلك مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل أو كفارة إطعام مساكين أو صيام.

وتحظر مقدمات الجماع من قبلة ونحوها أثناء الإحرام، وعلى فاعلها ذبح شاة.

وعقد النكاح أو الخطبة وسائر الذنوب كالغيبة والنميمة وكل ما يدخل الفسوق ففيه التوبة والاستغفار، أما الجماع فإنه يفسد الحج بالمرة إذا تم خلال الإحرام، غير أنه يجب الاستمرار في المنسك حتى يتم وعلى صاحبه بدنة أي بعير أو صيام عشرة أيام على أن يقضى الحج في عام قابل إن شاء الله، لما روى مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وأبا هريرة سُئِلوا عن رجل أصاب أهله وهو محرم بالحج فقالوا: ينفذان يمضيان لوجههما حتى يقضيا حجهما، ثم عليهما حج قابل والهدى[2].

وعند العجز عن ذبح الهدى في الحالات التي تجب فيه كما بينا سواء لعدم المال أو عدم الحيوان يجوز حسب الترتيب أو التخيير إطعام مساكين أو عدل ذلك صيام، فيصوم الحاج ثلاثة أيام من المناسك، والأَولى أن تكون قبل يوم عرفة ثم يكملها عشرة أيام إذا رجع إلى أهله ووطنه، وذلك لغير أهل مكة.

(د) كفارة الإفطار نهار رمضان:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ =١٨٣ . أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

(١) أبو بكر الجزائري – منهاج المسلم ٢م وما بعدها.
(١) مالك بن أنس– الموطأ – طبعة دار الشعب– تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي. ص ٢٤٨.

مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْ رٌ لَ هُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ =١٨٤ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُ رْآنُ هُ دىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ =١٨٥﴾ (البقرة ١٨٣– ١٨٥).

يروى عن الرسول ﷺ أنه لما جاء رمضان قال: " قد جاءكم شهر مب ارك، افت رض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار وتغل الشياطين، فيه ليلة خير م ن ألف شهر، من حرم خيرها حرم " [1] رواه أحمد، ومبطلات الصوم من أكل أو شرب أو قئ أو استمناء أو نية فطر تلزم القضاء بصيام اليوم وبدون كفارة، بينما تجب الكفارة م ع ١) الأك ل والشرب عمدا بلا عذر. ٢) الجماع عمدا نهار رمضان، والكفارة في هذه الحالة عتق رقب ة أو صيام شهريين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا.

(هـ) كفارة النذر: النذر أن تلزم نفسك طاعة لا تلزم بدونه، كأن تقول: عَلَيّ صـ يام يـ وم أو أيام، أو صلاة ركعات أو صدقة كذا أو كذا، والنذر مشروع بالكت اب والسـ نة﴿ يُوفُ ونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ (الإنسان:٧)، ورواية البخاري ومسـ لم عـ ن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: " من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصـ يه فـ لا يعصه"[2] فالنذر يصح في الطاعات فإذا حنث الناذر أو رجع عن نذره لزمته كفارة يمين لحديث الرسول ﷺ برواية مسلم قال: " كفارة النذر كفارة يمين" عن عقبة بن عامر[3].

(و) كفارة القتل الخطأ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُ ؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِي رُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً = ٩٢ . وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً = ٩٣ ﴾ (النساء:٩٢،٩٣).

الإنسان صناعة الرحمن ﷻ، خلقه وكَرّمَه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وسخر له ما في السموات والأرض واستخلفه فيها لعمارتها وعبادته، وحقوق الإنسان التي ضمنها الإسلام منذ أربعة عشر عاما هي: حق الحياة والتملك وصيانة العرض والحري ة والمسـ اواة والـ تعلم

(٢) المناوى – المصدر السابق– جـ ٢ ، ص ٣٩.
(١) نفس المصدر – جـ ٢، ص ٣١٨.
(٢) نفس المصدر – جـ ٢، ص ١٥١.

وأقدسها حق الحياة لا يحل انتهاك حرمته واستباحة حماه [1].

## * والقتل على ثلاثة أنواع:

**١- العمد ٢- شبه العمد ٣- الخطأ**

١- القتل عمدا: وهو أن يقصد الجاني القتل بأي طريقة بالضرب أو الطع ن أو الإح راق أو الإغراق.. الخ وحكم القتل العمد هو القود بمعنى القصاص أو المماثلة ودليل ه ﴿ وَكَتَبْنَ ا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّ نَّ بِالسِّ نِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّ هُ فَأُولَئِ كَ هُ مُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة:٤٥). وكذلك قول الرسول ﷺ " من قُتِل له قتيل فهو يخير النظي رين أما أن يودى، وأما أن يُقَاد "، وتجب الدية في مال القاتل على تفصيل في مقدارها يبين فيما بعد.

٢- القتل شبه العمد: والقصد منه الجرح فقط لا القتل مثل الضرب بعصا خفيف ة أو بحج ر صغير أو لكمة بسيطة، وحكمة وجوب الدية المغلظة تدفعها العاقل ة أي الجماع ة ال ذين يؤدون العقل أو الدية وهم عصبة الرجل من آبائه وأخوته وأبناء أخوته وأعمام ه وأبن اء أعمامه، توزع عليهم كل على حسب حالته وتقسط لمدة ٣ سنوات، وإلى جانب الدية تجب الكفارة تطهيرا لذنب القاتل لتركه الاحتياط والتحفظ حتى هلك على يديه أمرؤ محقون الدم، وهى عتق رقبة مؤمنه، أو صيام شهرين.

٣- القتل الخطأ: وهو أن يفعل المرء مباحا فيصيب إنسانا فيقتله، كأن يرمى صـ يدا فيصـ يب شخصيا، أو يحفر بئرا فيتردى فيها آخر، أو يقود سيارة فيندفع تحـ ت عجلاته ا إنسـ ان فيموت، ويلحق بذلك القتل عمداً غير مكلف كالصبي والمجنون، والدية هنا مخففة تـ دفعها العاقلة على ثلاث سنوات إلى جانب الكفارة عتق رقبة مؤمنة أو صيام شهرين، وإذا عف ا أهل القتيل تسقط الدية فقط من القاتل دون الكفارة [2].

(ز) الديات: الدية هي ما يؤدى من المال لمستحق الدم، وتسمى معقلة وجمعها معاق ل، وه ى تجب على العصبة، والحكمة في شرعيتها وتقديرها هي رفع النزاع في تقدير القيمة إذا ما وكل إلى أولياء القتيل، وحتى لا يدخل في تقديرها عناصر أخرى غير الأدمية، فلم يتـ رك أمرها للحاكم بل قَدَّرها الشارع بالحديث، والدية غير التعويض أو الغرامة التي تتردد في قانون العقوبات الوضعي فتشبه الغرامة في اشتمالها على زجر الجاني بحرمانه من جـ زء

---

(٣) السيد سابق –فقه السنة – جـ ٢ ، ص ٤٢٧.

(١) المرجع السابق– جـ ٢، ص ٤٣٥.

من ماله، وتخالفها في أن الجاني لا يتحملها وحده في أغلب الأحوال، كما لا تؤول إلى الخزانة العامة كالغرامة، وتختلف الدية عن التعويض الذي يدخل فيه مقومات مادية وجسمانية وأدبية بينما جاءت الدية مقدرة شرعا، مقابل النفس التي هلكت بالقتل، أو الأعضاء التي أتلفها الجاني[1].

## * مقدار الدية:

١) دية الحر المسلم مائة بعير أو مائتي بقرة أو ألفى شاه أو ألف مثقال ذهب أو إثنى عشر ألف درهم فضة، ودليل ذلك حديث جابر أن الرسول ﷺ فرض على أهل الابل مائة من الابل، وعلى أهل البقر مائتي من البقر، وعلى أهل الشاة ألفى من الشاة، وكذا قول ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قتل فجعل النبي ﷺ ديته إثنى عشر ألف درهم وكذلك ما جاء في كتاب عمرو بن حزم عندما بعث إلى اليمن " وعلى أهل الذهب ألف دينار"[2]

ولما كان السهل المتداول من هذه الأصول هو المعيار النقدي لأنه أضبط وأنسب، والذهب من أصول الأثمان، فلا خلاف في تقدير الدية به وهى ألف دينار، والدينار يزن ٤,٢٥ جرام، فتكون جملة الدية ٤٢٥٠ جرام من الذهب عيار ٢٣,٥، وتُقَوّم بالسعر السائد وتدفع وقت ثبوت الحق لولى الهدم قضاء أو رضاء[3].

٢) دية المرأة المسلمة على النصف من دية الرجل مثل ميراثها وشهادتها.

٣) دية الذمي نصف دية المسلم، ودية إناث الذميين نصف دية ذكورهم.

٤) دية العبد عبارة عن قيمته حيث أنه مقوم.

٥) دية الجنين- إذا انفصل مَيّتا- هو الغرة أي عُشْر دية أمه، وقد قومها الإمام مالك خمسين دينار أو ستمائة درهم. أما إذا انفصل الجنين حيا فاستهل ثم مات، فإن فيه القود أي الدية كاملة.

هذا فيما يتعلق بدية النفس، ودية الأطراف تجب كاملة في حالة إزالة العقل، أو الأذنين أو العينين أو اللسان أو الشفتين أو الأنف أو الذكر أو الخصيتين أو كسر الظهر على ما جاء في كتاب عمرو بن حزم وكذا قضاء سيدنا عمر، ونصف الدية تكون في عضو واحد مما ذكر، كما حددت دية الشجاج أي جراح الرأس والوجه[4].

---

(٢) دار الإفتاء المصرية- الفتاوى الإسلامية- مجلد ٩، ص ٣٣٩٣.
(١) المرجع السابق- مجلد ٩، ص ٣٣٩٤.
(٢) المرجع السابق- مجلد ٩، ص ٣٣٩٥.
(٣) أبو بكر الجزائري – منهاج المسلم. ص ٥١٩.

(ز) القسامة: يرتبط بالديات القسامة وهى الأيمان في الدماء، من أقسم يقسم قسامة، وصورتها أن يوجد قتيل ولا يعرف قاتله بين قوم بينهم وبين القتيل عداوة ظاهرة، وتجرى القسامة على هؤلاء القوم، فيقسم المُدَعَّون خمسين يمينا على خمسين عدل أو أقل من ذلك العدد، أن رجلا معينا من هؤلاء القوم قتل القتيل للعداوة التي بينهم، فإن حلفوا استحقوا دم المُدَعَّى عليه فيقاد لهم منه أو يعطون الدية فإن لم يحلفوا حلف المدعى عليه خمسين يمينا ببراءته فيبرأ.

وشاهد ذلك حكم الرسول ﷺ في القسامة بالإيمان على المدعين في قتيل خيبر وهو عبد الله بن سهل، قال: أتستحقون دم صاحبكم فليقسم منكم خمسون أن يهود قتلته، فقالوا: كيف نقسم على شئ لم نحضره؟ قال: " فيحلف لكم خمسون من يهود ما قتلوه"، وعقله(*) النبي ﷺ من عنده(١).

(١) المرجع السابق ، ص ٥٢٣.
(*) عقله : أي أدى العقل أو الدية.

# * * الزكـ ـاة * *

الزكاة لغة من النماء والطهر، فالمال ينمو ببركة إخراجها، وهى واجبة بـ القرآن والسـ نة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣) ذُكرت ردف كل أمر بالصـ لاة، وفرضت في السنة الثانية من الهجرة وحكمتها تطهير النفس من الشح والبخل والعطـ ف علـ ى الفقراء والمحرومين، والحد من تضخيم الأموال في يد الأغنياء.

وشروطها: الإسلام والحرية والملك التام (لا مغضوب ولا مجحـ ود)، وبلـ وغ النصـ اب، وحلول الحول وبالنسبة للأنعام السوْم أي الرعي في كلأ مباح، أما المعلوفة فلها شروط.

وأنواعها: زكاة المال من أثمان وأنعام وزروع وثمار وعروض تجارة، وزكاة البـ دن أي زكاة الفطر بعد رمضان.

النصاب: وهو القدر المخصوص والمحدد الذي إذا وصلت إليه أنواع الزكاة السابقة وجبت. وحكمة تقدير نسبة الزكاة في الأثمان وبعض الأنواع الأخرى قد لوحظ فيه نسبة العجز البشرى في الجماعة، وأن هذه النسبة تفي بحاجة العجزة منها، فالجماعة الجادة الكادحة العاملة بمبـ ادئ الإسلام في وجوب السعي والكد، لا يبلغ عجز العجزة فيها بالبطالة والشـ يخوخة والمـ رض إلا نسبة عددية تسد حاجتها هذه النسبة المالية من الزكاة التي قررها الإسلام للفقـ راء فـ ي أمـ وال الأغنياء، فإن زادت هذه النسبة العددية، ففي صدقة التطوع وكفارات الأيمان والصوم ما يواجه هذه الزيادة [١].

نصاب الأثمان: (الذهب والفضة) حدد نصاب الذهب بعشرين مثقال (دينار)، وحدد نصاب الفضة أو الرقة بمائتي درهم، وفى تقدير الدرهم والدينار بـ الجرام: " يـ دل اسـ تقراء النقـ ود الإسلامية وبحوث المؤرخين ومنهم على بن مبارك في الخطط التوفيقية أن الـ دينار أو المثقـ ال الشرعي يزن ٤,٢٥ جرام فيكون نصاب الذهب على هذا النحـ و ٢٠ × ٤,٢٥ = ٨٥ جـ رام. ونصاب الفضة وزنا بالجرام هو ٨٥ جرام ونصاب هو ٥٩٥ جرام، وقد أقـ ر بـ ذلك مجمـ ع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف " ويحسب النصاب بالعملة الورقية كالأتي: وزن النصـ اب بالجرامات ٨٥ جرام ذهب × سعر الجرام من الذهب عير ٢٣,٥ يوم اكتمال النصاب، ثم يحسب مرة أخرى في نهاية العام لانعقاد وجوب الزكاة ونسبتها ربع العشر أي ٢,٥% [٢].

ويراعى في حلى النساء المتخذه للزينة وكذلك الأحجار الكريمة أنه لا زكاة عليها، ويوجبها

---

(١) أبو الوفا مصطفى الرماغي – من قضايا المال في الإسلام ، سلسلة البحوث الإسلامية بـ الأزهر سـ بتمبر ١٩٧٠ ، ص ٨٩ .

(٢) الفتاوى الإسلامية – المجلد – ٨ ، ص ٢٨٥٤

أبو حنيفة على الحلى مطلقا، أما إذا اتخذت مادة للادخار ولم تُلبس ولم ينتفع بها وجبت عليها الزكاة، وكذلك تجب في الآنية والتحف.

نصاب النَّعم (الماشية ): لا زكاة في شئ من الحيوانات غير الأنعام: أي الإبل والحمير والجاموس والغنم (الضأن والمعز) ولا زكاة في الخيل البغال والحمير إذا كانت للتجارة،واشترط جمهور الفقهاء في زكاة الماشية أن تكون سائمة أي ترعى في كلا مباح أكثر العام، ومقصود منها الدر النسل والزيادة والتسمين، ويقابلها المعلوفة التي يتكلف صاحبها قيمة علفها، والحكمة في اشتراط السوم أن الزكاة إنما وجبت فيما يسهل على النفوس إخراجه وهو العفو الزائد كما قال ﷻ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ (الأعراف: ١٩٩) وقوله: ﴿ يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ (البقرة ٢٤٩)، وذلك إنما يكون فيما قلت مؤنته وكثر نماؤه وهذا يتفق ويوجد في السائمة وليس في المعلوفة[١].

**** ويوضح الجدول التالي تفصيل النصاب في كل نوع من النعم ****

| الإبل | | البقر | | الغنم | |
|---|---|---|---|---|---|
| عدد | | | | | |
| أول نصاب ٥ | فيها شاة | أول نصاب ٣٠ | فيها تبيع أو | أول نصاب ٤٠ | فيها شاة جذعة ضأن أو[٧] |
| أول نصاب ١٠ | فيها شاتان | أول نصاب ٤٠ | تبيعة[٥] | | ثنية ماعز[٨] |
| أول نصاب ١٥ | فيها ٣ شياة | أول نصاب ٦٠ | فيها سنة[٦] | أول نصاب | فيها شاتان |
| أول نصاب ٢٠ | فيها ٤ شياة | أول نصاب ٣٠ | فيها تبيعان | ١٢٠ | فيها ٣ شياة |
| أول نصاب ٢٥ | فيها بنت مخاض[١] | أول نصاب٤٠ | فيها تبيع | أول نصاب | شاة |
| أول نصاب ٣٦ | فيها بنت لبون[٢] | | فيها سنة | ٢٠١ | |
| أول نصاب ٤٦ | فيها حقّة[٣] | | | ثم في كل ١٠٠ | |
| أول نصاب ٦١ | فيها جذَعة[٤] | | | | |
| أول نصاب ٧٦ | فيها بنات لبون | | | | |
| أول نصاب ٩١ | فيها حقتان | | | | |
| أول نصاب ٢١ | فيها ٣بنات لبون | | | | |
| ثم في كل ٤٠ | بعدها بنت لبون | | | | |
| ثم في كل ٥٠ | بعدها حقّه | | | | |
| -- | -- | | | | |
| -- | -- | | | | |

١) بنت المخاض هي الفصيل أي ولد الناقة إذا فصل عن أمه، ودخل الثانية من عمره والمخاض هي الحوامل من التوق، واحدتها خلفه ولا واحد لها.

٢) بنت لبون هي ولد الناقة إذا كتمل السنة الثانية ودخل في الثالثة.

٣) الحقّة هي ما أتم من الإبل ثلاث سنين ودخلت في الرابعة، وتستحق الطرق من الفحل.

٤) الجذعة هي ما أتم من الابل أربع سنين ودخل في

(٣) الفتاوى الإسلامية – المجلد ٨، ص ٢٨٧.

| | | |
|---|---|---|
| | | الخامسة.<br>٥) التبيع هي من البقو ما أتم سنة ودخل في الثانية، ويتبع أمه في المرعى.<br>٦) السنة هي من البقر ما له سنتان، وسمي كذلك لتكامل اسنانه.<br>٧) الجذعة من الضأن ما أتم سنة.<br>٨) الثنية ومذكرها ثنى من الماعز ما أتم سنتين (*).<br>* رواه أحمد والاربعة عن ابن عمر<br>المناوى- مختصر شرح الجامع الصغير للسيوطى- جـ .٣، ص ١٣٠ |

نصاب الحبوب والثمار: اتفق العلماء على وجوب الزكاة فيها ولكن اختلفوا في تحديد أصنافها:

١- البعض يرى أنه لا زكاة في المنصوص عليها: القمح والشعير والفول والذرة والحمص واللوبيا والعدس ومن الثمر الزيتون والزبيب والتمر، ويرى أبوحنيفة أنها تجب في كل ما أنبتته الأرض.

٢- النصاب فيها هو خمسة أوسق، والوسق = ستون صاعا، والصاع = أربعة أمداد، والمد = ١,٣ رطل.

٣- يراعى أنه يجب فيما سقى بآلة وبماء مشترى، نصف العشر، وذلك من قيمة الناتج الصافي بعد خصم كافة التكاليف، ودليله " ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة"،" فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا * (يشرب بعروقه من ثرى الأرض) العشر، وفيما سقى بالنضج * نصف العشر" رواه أحمد عن ابن عمرو(١)

عروض التجارة: وتشمل كل الأنشطة التجارية من بيع وشراء، يخرج منها من صافى الربح الناتج من حسابات آخر العام نسبة ٢,٥%.

مصارف الزكاة: وتصرف الزكاة للأصناف الثمانية التي حددتها الآية ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (التوبة:٦٠).

زكاة الفطر: وشرعها الله ﷻ طُهْرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، وكفاية

(١) المناوى- شرح مختصر الجامع الصغير- جـ .٢، ص ٢٣١.
* والعثرى : ما يسقى بالسبيل ، والنضج: هو ماء الآبار.

لهم عن ذل السؤال في يوم العيد، مما يؤلف القلوب، ويذيب الأحقاد.

ويجب إخراجها في أي وقت قبل صلاة عيد الفطر، أما بعدها فتعتبر صدقة.

ومقدارها صاع من قمح أو شعير أو تمر أو زبيب عن كل فرد في غالب قوت البلد، أو ما يقابل ذلك من المال.

# * * الفرائض وحساب المواريث * *

اتخذ فقهاء الإسلام من آيات الصدر ١١، ١٢ من سورة النسـاء، والآيـة الخاتمـة ١٧٦ مصدرا لعلم جليل من الفقه هو علم الفرائض الذي يتضمن مسائل قسـمة المواريـث، وتحديـد الأنصبة والأسهم المقدرة لكل صاحب حق في التركة، والفروض التي قدرت هي: الثلثان والثلث والسدس والنصف والربع والثمن، وأنواع الورثة: أصحاب فروض وعصبات وأولـى أرحـام، ويقوم التوريث علي أساس معرفة أثر وجود الورثة علي بعضهم بفكرة الحجب كليا أو جزئيـا، علي تفصيل أوضحناه في دراسة مستقلة.

# * * مقادير الغنيمة والفئ والجزية والخراج * *

الغنيمة: هي المال الذي يؤخذ من الأعداء بالحرب، وتسمى أنفالا جمع نفل، وتشمل الأموال أو الأسرى أو الأراضي، وفى غزوة بدر نَصَر الله رسوله والمؤمنين، وغنم المجاهدون أم والا كثيرة فنزل التشريع بتقسيمها: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُ ول ولِ ذي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (الأنفال: ٤١) فتقسم الغنيمة أو النفل خمس ة أقس ام يعطى قسم واحد منها لمن ذكروا في الآية، والأربعة أخماس الباقية تقسم علي أف راد الج يش قاتلوا أم لم يقاتلوا، للفارس ثلاثة أسهم وللراجل (بدون فرس) سهم واحد [1]، وحكم ة ذل ك أن يشترك المجاهدون في ثمرة النصر والفوز وتشجيعا لهم علي تقديم الخيل للجهاد، وق د أحل ت الغنائم لهذه الأمة خاصة دون غيرها ففيما يروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال: " أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدا وطه ورا فأي رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأُحِلّت لى الغنائم ولم تحل لنب ي قبل ي، وأعطي ت الشفاعة، وبعثت إلي الناس كافة " [2].

الفئ: هو ما تركه الكفار من أموال بدون قتال، ويتصرف فيها الإمام مثل خمس الغنائم في مصالح المسلمين لقوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُ ول ولِ ذي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (ا لحشر: ٧)

الجزية: هي الفريضة المالية التي تؤخذ من أهل الذمة لإقامتهم بـ دار الإس لام وتم تعهم بالحماية والأمن، فهي موضوعة علي الرؤوس وتنسب إلي الشخص لكونه ذميا. وتجب في ماله ومن ثم اختلفت مقاديرها من زمن إلي آخر ومن مكان إلى آخر بمق دار اليس ار والطاق ة [3]. وسندها قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّ هُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة:٢٩)

وشروطها: الذكورة والبلوغ والحرية والعقل، فلا شئ عل ى المـ رأة والصـ غير والعبيـ د والمجانين.

ومقدارها: كما يروى أصحاب السنن أن الرسول ﷺ بعث معاذا إلى اليمن وأمره أن يأخـ ذ من كل حالم (بالغ) دينارا أو عدله معافر (ثياب يمنية) وثبت أن سيدنا عمر ضرب الجزية علي

(١) أبو بكر الجزائري – منهاج المسلم، ص ٣٦٠.
(٢) المناوي – شرح مختصر الجامع الصغير للسيوطى– جـ ١٠، ص ٧٦.
(٣) د. محمود سيبويه البدوي– الجزية في الشريعة الإسلامية، ص ٥٤.

أهل الذهب أربعة دنانير، وعلي أهل الورق أربعين درهما، كما روى عنه أيضاً أنه بعث عثمان بن حنيف فوضع الجزية علي أهل السواد [*] ٤٨ أو ٢٤ أو ١٢ درهما وليس للجزية مقدار محدد، وإنما الأمر راجع إلى المصلحة واجتهاد الإمام حيث تتفاوت دخول الخاضعين والظروف الاقتصادية لكل إقليم.[١]

الخراج: وهو مقدار من المال أو المحصول يؤخذ من أصحاب الأرض التي فتحها المسلمون عنوة أو صلحا مع بقاء الأرض في حوزة أهلها، وعلى الرغم من تبادل لفظي جزية وخراج لغويا في بعض الأحيان إلا أن القرائن تحدد المعنى المراد مثل إضافة الجزية إلي الأرض والخراج إلي الرأس.

(*) السواد: ما حول الكوفة من قرى- ياقوت الحموي- معجم البلدان – جـ ٣، ص ٢٧٥.
(١) د. محمود سيبويه البدوي- المرجع السابق ، ص ١٨٢.

## * * عدد الحل من الزوجات * *

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً ﴾ (النساء ٣)

الزواج سنة الله في خلقه، ميثاق غليظ بين الرجل والمرأة، يتم فيه تبادل للحقوق في إطـ ـار المودة والرحمة، وبغرض التحصين والإبقاء علي النوع الإنساني، وأركانـ ـه: عقـ ـد، وصـ ـداق، وشاهدين، وولى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَـ ـوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم ٢١:).

رخص الشارع الحكيم أن يتزوج الرجل ما شاء من النساء حتى أربعة، وقد أسلم غيلان بن سلمة الثقفي وتحته عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: " اختر منهن أربعا " [١]، وأوجب علي الزوج أن يقسم بينهن بالعدل في كل شئ، ولا تعارض فيما أوجبه الله في الآية السابقة من العدل بـ ـين النساء، وبين ما نفاه في آية: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُـ ـلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ (النساء ١٢٩)، فإن العدل المطلوب هو العدل الظاهر المقدور عليـ ـه، وليس العدل في المودة والمحبة. فذلك لا يستطيعه أحد فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.[٢]

ولقد كان تعدد الزوجات للرسول ﷺ لأكثر من أربع خصوصية ﷺ، له ولها مـ ـا يبررهـ ـا، إنسانياً أو تشريعياً، وقد كان ذلك قبل نزول آية تحريم التعدد.

---

(٢) ابن كثير– تفسير القرآن العظيم ، جـ ـ.١، ص ٤٥٠.

(١) السيد سابق– فقه السنة ، كـ ـ.٢، ص ٩٩.

## * * عدد الشهور ومنها الحُرُم * *

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (التوبة: ٣٦)، فعدد الشهور أمر ثابت ومحكوم في كتاب الله منذ خلق الأجرام والأزمنة، وهى:

(المحرم) وسمي كذلك تأكيدا لحرمته ومنع القتال فيه لأن العرب كانت تحله عاما وتُحَرِّمه عاما. (صفر) لخلو البيوت من أهلها عندما يخرجون للقتال والأسفار و(ربيع أول وآخر) لارتباعهم أي إقامتهم في عمارة الربع (المحلة ودار الإقامة)، (جمادى الأولى والآخر)، وقد تصادف وجودهما أيام الشتاء وجمود الماء، (رجب) وقد سمي كذلك من الترجيب أي التعظيم فلقد كان له شأن عظيم. (شعبان) وسمي كذلك لتشعب القبائل فيه، (رمضان) لمصادفته شدة الرمضاء أي الحر والقيظ، (شوال) من شالت الإبل أذنابها عند اللقاح في ذلك الوقت، (ذو القعدة) لقعودهم فيه عن القتال. (ذو الحجة) لأنهم كانوا يحجون فيه إلي بيت الله الحرام.

ومن بين هذه الشهور أربعة حرم: ثلاثة سرد متتالية هي: (ذو القعدة) و(ذو الحجة) و (المحرم)، وواحد فرد هو (رجب)، ولهذه الأشهر الأربعة حرمة خاصة، فالطاعات فيها أكثر ثوابا والمعاصي أعظم عقابا، وقد كانت هذه الشهور كذلك في الجاهلية، فكانت العرب تنزع الأسنة عن رماحها وتقعد عن شن الغارات، بل كان الخائف فيها يأمن من أعدائه، حتى أن الرجل إذا لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يكن يتعرض له.[1]

### العِدد:

العدد (بكسر العين) جمع عدة، وهى مأخوذة من العدد (بفتح العين) لاشتمالها عليه، والعدة مدة تنتظر فيها المرأة المفارقة لزوجها بحياته تطليقا أو مفارقته هو بوفاته، أو مدة لا تزيد عن أربعة أشهر تنتظرها الزوجة التي يحلف عليها زوجها ألا يقربها، فأنواع العدد هي:

عدة المطلقة بأنواعها، عدة المتوفى عنها زوجها، عدة الإيلاء.

### أ) عدة المطلقة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ (الطلاق١)، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ (البقرة ٢٢٨).

الطلاق حل لرابطة الزواج الوثيقة، وهو أبغض الحلال عند الله، ويجب في حالة ما إذا

(٢) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم، جـ .٢، ص ٣٥٤.

لحق أحد الزوجين ضرر لا يدفع إلا به، ولقد تعددت مرات الطلاق في الجاهلية دون حـ ـد ولا ضابط، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني، ولا آويك أبدا، قالت: وكيف ذلـ ـك؟ قال: أطلقك وكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة إلي السيدة عائشة (رضي الله عنها) فأخبرتها وأخبرت رسول الله ﷺ فسكت حتى نزل التشريع المحكم يحدد مرات الطلاق.(١) ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة ٢٢٩)

## * والعدة للمطلقة علي ثلاثة أقسام:

١- عدة ذات الأقراء: أي المرأة التي تحيض، فالقرء هو الطهر من الحيض، العدة هي ثلاثـ ـة قروء.

٢- عدة الصغيرة التي لم تحض أو الآيسة (ذات سن ٥٠ أو ٦٠ وقيل ٦٥ سنة) هـ ـي ثلاثـ ـة أشهر: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَـ ـمْ يَحِضْنَ﴾ (الطلاق٤ ).

٣- عدة الحامل هـ ـي وضـ ـع حملهـ ـا ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَـ ـالِ أَجَلُهُـ ـنَّ أَن يَضَـ ـعْنَ حَمْلَهُـ ـنَّ ﴾ (الطلاق ٤). أما المطلقة قبل الدخول بكرا أم ثيبا فلا عدة لها، لقوله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّـ ـذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُـ ـمْ عَلَـ ـيْهِنَّ مِـ ـنْ عِـ ـدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ (الأحزاب ٤٩).

## * وحكمه تشريع العدة:

١- التأكد من براءة الرحم حتى لا تختلط الأنساب.

٢- إتاحة الفرصة أمام الزوجين للنظر في الرجعة وإعادة العلاقة.

٣- لما كان الزواج أمرا عظيما ينتظم أمام جمع من الرجال والشهود فلا ينبغـ ـي أن ينفـ ـك إلا بانتظار طويل.

والطلاق يجب أن يكون والزوجة في طهر لم تمس فيه، وحكمة ذلك أنها لو طلقت وهـ ـى حائض ولم تكن مستقبلة العدة تطول عليها لأن بقية مدة الحيض لا تحسب منها وفيـ ـه إضـ ـرار بها، وإذا طلقت في طهر مسها الزوج فيه فإنه لابد من معرفة هل حملت أم لـ ـم تحمـ ـل، حتـ ـى تعرف بما تعتد بالإقراء أم بوضع الحمل؟ ويعد التطليقة الأولى وانتظار العدة يجوز للـ ـزوج أن يراجعها خلال مدة العدة ﴿ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا ﴾ (البقـ ـرة ٢٨٨). أما إذا انقضت العدة دون مراجعة، بانت الزوجة فلا يحق للزواج أن يراجعها. ويصبح خاطبـ ـا

(١) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم، جـ ١٠، ص ٢٧١.

يمهر وعقد جديد، وإذا طلقت الزوجة ثلاث، بانت بينونة كبرى فلا تحل لمن طلقها حتى تـ نكح زوجا غيره[1] لقوله تعالى ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ (البقـ رة. ٢٣٠).

## ب) عدة المتوفى عنها زوجها:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْـ هُرٍ وَعَشْـ رًا﴾ (البقـ رة ٢٣٤) وحكمة جعل العدة أربعة أشهر وعشرا هي التأكد من براءة الرحم من الحمل إلى جانـ ب براءة النفس من الحزن، وزيادة العدة هنا عن مدة عدة المطلقة أمر يتفق مع الفطرة البشرية لأن كآبة الحزن التي تشمل الزوجة، وما يليق من قيمة الوفاء للزوج المتوفى يحتاج إلى مدة أكبر من مدة التأكد من عدم اشتمال الرحم على حمل والتي يمكن التعرف عليها من تكرار ثلاثة قروء.

ولا يجب على المرأة الإحداد- أي ترك الزينة من الطيب والحلي- على أي متوفى أكثـ ر من ثلاثة أيام إلا في حالة الزوج، فالإحداد هنا هو مدة عدتها أي أربعة أشهر وعشرا وقد كانت في الجاهلية مدة سنة كاملة.

## ج) عـ ـدة الأيـ ـلاء:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٢٦، ٢٢٧).

والإيلاء هو الحلف بامتناع الزوج أن يطأ زوجته إطلاقا أو لمدة محددة، وقد كان الرجـ ل في الجاهلية يحلف ألا يمس امرأته سنة أو سنين، ولكن الشارع الحكيم حدد مدة أقصاها أربعـ ة أشهر، وللزوجة بعدها أن تطالب بالفيئة، أي الرجوع إلى الجماع أو يطلق، فإن جـ امع خـ لال العدة بقيت زوجته، وكفر عن يمينه (بإطعام أو كسوة أو صيام ثلاثة أيـ ام) وإن صـ مم علـ ى الامتناع الْزَمَهُ القاضي بأن يطلق، فإن امتنع أيضا عن الطلاق طلق القاضي بحكمه[2].

## المدد:

### أ) مدة الحمل والرضاع:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة ٢٣٣)، ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان ١٤)، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقـ اف

(١) السيد سابق – فقه السنة . جـ . ٢، ص ٢٢٥، ٢٣٤.
(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ .١ ، ص ٢٨٥، ٢٦٨.

(١٥

أمرنا الله ﷻ بالإحسان إلى الوالدين والبر بهما والعطف عليهما، فطالما كابدت الأم حـ ـال الحمل من مشقة وتعب وثقل وكرب، وقد استدل الإمام على كرم الله وجهه بهذه الآيـ ـات التـ ـي تحدد مدة الحمل والفصام (الرضاعة)، أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر، وهو اسـ تنباط قـ وى وصحيح وافقه عليه الصحابة (رضوان الله عليهم)، وذلك عندما تزوج رجل إحدى النساء مـ ن جهينة فولدت له لتمام الستة أشهر فجحد المولود[١].

## ب) سن اكتمال العقل والحلم:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُ ونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْـ تَ عَلَـ يَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْـ لِمِينَ ﴾ (الأحقاف ١٥).

ويكتمل فهم الإنسان وعقله ويتناهى عقله إذا وصل سن الأربعين، فلا يتغير بعد ذلك عمـ ا يكون عليه، وعندئذ لابد له من طلب المعونة من الله وشكر نعمائه، وقد قيل: إذا بلغت الأربعين فخذ حذرك[٢]. وهو إنذار بوقفة ضرورية مع النفس، والأربعون هي السن التي بُعِث فيها سـ يد الخلق سيدنا محمد ﷺ بالرسالة الخالدة إلى يوم الدين.

... وبعد فقد كانت هذه جولة في بستان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عرضنا فيهـ ا ألوانا من أحكام التشريع المعجز، في بعض فروع الفقه. (عبادات) من صلاة وزكـ اة وصـ يام وحج، (معاملات) من بيع وشراء ورهن وإفلاس و (أحكام الأسرة) من زواج وطلاق وعدد، و (جنايات من حدود وشهود وقصاص وديات وكفارات الـ ذنوب، وأنصـ بة الزكـ اة، وفـ رائض المواريث، ومقادير الغنيمة والجزية.

وقد كان العدد بكل صورة في تلك الأحكام محددا وواضحا، مبينا ومقدرا. يميز معـ دودا، ويوضح أجلا أو عدة أو مدة. وصدق الله العظيم إذا يقول (ما فرطنا في الكتاب من شئ)

**اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا**

**وزدنا علما من عندك يا عليم يا خبير**

---

(٢) المصدر نفسه – جـ ٤. ، ص١٥٧.

(١) المصدر نفسه – نفس الصفحة.

# الفصل الخامس

# الشجر في القرآن الكريم

القرآن هو منهج الله المكتوب في المصاحف، والمحفوظ في الصدور، المتعبد بتلاوته، واللازم تطبيقه، والكون هو القرآن المشاهد والمحس والناطق بآلاء الله، فالقرآن كتاب مسطور ومتلو، والكون كتاب مشاهد ومحس.

ولا تعارض إطلاقا بين القرآن وسنن الكون لأن الخالق عز وجل واحد، فالذي خلق، هو الذي قال، هو الذي أعجز.

والشجر نعمة من أعظم نعم الله على عباده تمتد فوائده في حياة الإنسان والحيوان غذاء وكساء وطاقة وظلا، ولطالما اعتبر الشجر مصدرا غنيا لإلهام الشعراء وأهل النظم، الذين يولعون بالوصف والتشبيه بالأشجار والثمار والأزهار والحدائق والبساتين والرياض، والجنات والزروع، أشكالا وألوانا وطعوما.

## وردت مادة (الشجر) في القرآن الكريم ستا وعشرين مرة:

بلفظ (الشجر) ٦ مرات، (الشجرة) ١٨ مرة، (شجرها) مرة واحدة، و(شجرتها) مرة واحدة [١]، وفي المرات الثمانية عشرة التي وردت بلفظ الشجرة كتبت الكلمة بالهاء إلا في سورة الدخان (الآية ٤٣) كتبت (شجرت) بالتاء المفتوحة.

والأشجار في القرآن مباركة طيبة عدا واحدة ملعونة وأخرى خبيثة.

الأولى هي شجرة الزقوم والأخرى كلمة الكفر والعياذ بالله، والأشجار مباركة في ذاتها كما وصفها القرآن، ولما حباها الله وأودع فيها من منافع وأسرار، ولأنها كانت موقعا يحدد مناسبة جليلة أو حدثا عظيما سجله القرآن. كما استخدمت الأشجار أداة من أدوات التصوير وضرب الأمثال في الأسلوب القرآني لتقريب المعنويات بالمحسوسات.

(١) محمد فؤاد عبد الباقي– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم– دار الشعب، ص ٣٧٥.

*** ويمكن تقسيم مادة الشجر التي وردت في القرآن الكريم على النحو التالي:**

- شجر عام: شجر الحدائق والمراعى وبيوت النحل.
- شجر مُعَيّن: شجر الزيتون، وشجر اليقطين.
- شجر مُغَيبّ: شجرة الخلد.
- شجر يحدد موقعا: شجرة الوادي المقدس، شجرة بيعة الرضوان.
- شجر لضرب الأمثال: شجرة طيبة وشجرة خبيثة، شجرة مباركة زيتونية، شجرة أقلام.
- شجر في النار، ونار في الشجر.

وبادئ ذي بدء نقول إن الشجر من خلق الله يسبح ويسجد له، ﷻ، لينسجم الكون كله إنسانه وحيوانه ونباته وجماده وأفلاكه في صلاة واحدة هي التوحيد، وينتظم الكل في موكب خاشع يسجد لله، ويتجه إليه دون سواه في وحدة واتساق... ويا عجبا في ذلك الإنسان الذي يتفرق وحده غريبا عن هذا الموكب المهيب، فإذا ما سلك فيه بالخشوع والعبادة أكرمه الله وأعزه، وقد ذل من دان لغير الديان.(١)

وكل ما في السموات والأرض من أفلاك وأجرام وجماد وحيوان ونبات مسخرة للإنسان مذللة له بأمر الله، وهو مكرم مفضل عليها جميعا عندما يخضع ويعبد خالقه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج١٨) ﴿ الرَّحْمَنُ = ١ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ = ٢ . خَلَقَ الإِنسَانَ= ٣ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ = ٤ . . . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ = ٥ . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن ١ . . . ٦).

## ﴿ شجر عام ﴾

شجر المراعى: ينزل ماء المطر من السماء بقدرة الله وتدبيره، فتظهر أهم نعم الله في ماء الشرب، والماء أصل الحياة، ثم في إنبات الكلأ وشجيرات المراعى التي تعيش عليها الأنعام، وتربى بها السائمة والدواب فتعطى الإنسان لحما شهيا ولبنا سائغا.

﴿ وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (النحل ١٠).

(١) سيد قطب– في ظلال القرآن – دار الشروق– ط٧– ١٩٧٨– جـ ٤، ص ٢٤١٤.

شجر الحدائق: إن منظر الحدائق والبساتين وخضرة الأشجار ورقة الأزهـ ـار تبعـ ـث فـ ـي القلوب بهجة وسروراً، وسبحان الذي صنع فأبدع هذا الجمال الأخاذ، وتأمل الزهـ ـرة وتنسـ ـيق شكلها وتنظيم ورقاتها إنه شئ معجز حقا تقف أمامه عبقرية الفن بالإجلال والتقدير.

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّـ ـا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (النمل ٦٠)

بيوت النحل: وبإلهام من الفطرة الإلهية يتخذ النحل من جوف الشجر بيوتا، وبها يعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء الخلايا أو تقسيم العمل أو طريقة إفراز العسل المصفى الذي جعل الله فيه شفاء للناس.

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِـ ـي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّـ ـاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل ٦٨، ٦٩).

## ﴿ شجر معين ﴾

شجر الزيتون:

وهي شجرة معمرة دائمة الخضرة، وأقرب منابتها من بلاد العرب طور سـ ـيناء ومنـ ـازل الأنبياء في الأرض المقدسة، وكلها منافع للناس زيتها وخشبها وورقها وثمرها. وأقسم الله بهـ ـا في قوله﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ = وَطُورِ سِينِينَ = وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ (التـ ـين ١-٣). وفي الحديث: " كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة " رواه الترمذي عـ ـن ابـ ـن عمر[1]، وقال الإمام ابن عباس في الزيتون منافع، يسرج بالزيت وهو إدام ودهان ودباغ ويوقد بحطبه وتفله، وليس فيه شئ إلا وفيه منفعة حتى الرماد فيغسل به الإبريسم أي الحرير، ويعتبر زيت الزيتون أنقى الزيوت النباتية، حيث تجتمع فيه صفات الحسن والصفاء والجودة.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾ (المؤمنون ٢٠)

## ﴿ شجرة من يقطين ﴾

اليقطينة هي شجرة الدباء أو القرع ذات الأوراق العريضة، وثمرتها طعام يغذي وشـ ـراب يروى، ويروى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ "كـ ـان يحـ ـب الـ ـدباء" رواه أحمـ ـد

(١) المرجع السابق، جـ ٢.، ص ١٦٠.

والترمذي عن أنس[1].

والمناسبة: أن يونس خرج مغاضبا لقومه أهل نينوى حاضرة بابل بعد أن أبوا دعوته إلى الله ولكنهم جأروا لله طلبا للرحمة فرفع عنهم العذاب، وأوى يونس إلى الفلك، فكان ما كان من اضطرابه، وخرسهم يونس ليلقى به في البحر، والتهمه الحوت وهو من جند الله، ودعا يونس ربه في ظلمات بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فاستجاب له ربه ونجاه فلفظه الحوت على الساحل ولم يأكل له لحما أو يهشم له عظما،

وأنبت الله ﷻ شجرة من يقطين تجمع ليونس بين الطعام والري وفي أوراقها برد الظل، ولا يقربها الذباب الذي لا يحتمله جلده[2].

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ، وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ (الصافات ١٣٩ . . . ١٤٦).

## ﴿ شجر مغيب ﴾

### شجرة الخلد:

وهي الشجرة التي نهى الله آدم وحواء عن الأكل منها دون سائر شجر الجنة ابتلاء وامتحانا، وللمفسرين في تعيينها أقوال كثيرة، وليست العبرة بتعيين نوعها فذلك من قبيل العلم الذي لا ينفع والجهل الذي لا يضر، ولكن العبرة بالانتهاء عند نهى الله بعدم الأكل من الشجرة المحرمة.

والمناسبة: أن إبليس اللعين وسوس لآدم وحواء في الجنة بأن يأكلا من شجرة معينة، وأغواهما بأن من أكل منها خلد ولم يمت ونال الملك الدائم الذي لا يزول، فلما أكلا منها ظهرت لهما عوراتهما وعريا من نور الله.

يقول المرحوم الشهيد سيد قطب في الظلال:

" لقد أبيحت كل ثمار الجنة إلا شجرة واحدة، ربما ترمز للمحظور الذي لابد منه في حياة الأرض، وبغير محظور لا تتبت الإرادة، ولا يتميز الإنسان المريد عن الحيوان المَسُوق، ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقييد بالشرط، فالإرادة هي مفرق الطريق، والذين

---

(١) نفس المصدر–جـ ٢،ص١٩٥.

(٢) عبد الوهاب النجار– قصص الأنبياء– مؤسسة الحلبي، ص٣٦١

يستمتعون بالإرادة هم من عالم البهيمة، ولو بدوا في شكل الآدميين[1] ": ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْ كُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ منْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِ نَ الْظَّ المِينَ ﴾ (البقرة ٣٥)، ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَ ذِهِ الشَّ جَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف ١٩)، ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ﴾ (طه.١٢).

## ﴿ شجر يحدد موقعا ﴾

### شجرة الوادي المقدس:

وهي الشجرة المباركة التي كلم الله ﷻ عندها سيدنا موسى.

والمناسبة: أنه في طريق عودته عليه السلام مع أهله من أرض مدين إلى مصـ ر بعـ د أن قضى أكبر الأجلين وخدم صهره عشر سنوات، ضل موسى الطريق في ليلة بـ اردة، وأراد أن يوقد نارا لتدفئة أهله ولمعرفة الطريق فصلد زنده وضن بالنار، ومن بعيـ د رأى موسـ ى نـ ارا تضطرم في شجرة خضراء، فقصدها فلم يجدها إلا نورا، وتعجب من حسن ذلك النور، وشـ دة خضرة الشجرة وجاء النداء العلوي، واختص موسى دون الأنبياء والرسل بأنه كلـ يم الله وكـ ان بدء نبوته وبعثته برسالته، ونودي أن الذي يخاطبك هو الله العظيم الكبير المنزه عـ ن صـ فات النقص، رب الأنس والجن والخلائق وإنك بالوادي المقدس المبارك الذي يسـ مى طـ وى[2]، ولا جدوى من الجري وراء تحديد هذه الشجرة ونوعها، وإنما يهمنا أن نقف بالاعتبار والتقدير لقدرة الله، ونعرف أن الشجرة كانت موقعا أعلن عنده سيدنا موسى ببدء رسالته﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِ ن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَـ المَينَ ﴾ (القصص٣٠).

### شجرة بيعة الرضوان:

وهي شجرة سَمُرَة كانت بالحديبية، تمت تحتها البيعة.

والمناسبة: أنه لما بلغ سيدنا رسول الله ﷺ الحديبية قرب مكة في أواخـ ر العـ ام السـ ادس الهجري، أوفد سيدنا عثمان بن عفان إلى أهل مكة يخبرهم بأنهم جـ اءوا للعمـ رة ولا يريـ دون حربا، فحبسه الكفار وجاء الخبر بأن عثمان قد قتل، فدعى الرسول ﷺ المسـ لمين إلـ ى البيعـ ة وكانوا ألفا وأربعمائة رجل تقريبا، وحضرها الروح الأمين جبريل عليه السلام وكانت بيعة على

(١) سيد قطب– في ظلال القرآن– جـ .١،ص٨٥.
(٢) عبد الوهاب النجار– قصص الأنبياء– ص١٧٤.

الموت بدخول مكة حربا وسميت بيعة الرضوان حيث قال رسول الله ﷺ للمبايعين " أنتم خير أهل الأرض"، ولما بلغ المشركين أخبار هذه البيعة أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان وطلبوا الصلح مع رسول الله ﷺ على أن يأتي مكة في العام القادم. ولما ولى الفاروق شهيد المحراب عمر بن الخطاب الخلافة، خشي أن يقدس المسلمون هذه الشجرة التي عقدت تحتها البيعة، وبعد أن بلغه أن كثيرا من الناس يقصدونها للتبرك، وأمر أن تقطع فقطعت كيلا يفتن بها الناس وتعبد كما عبدت العزى وكانت شجرة عليها بناء وستور عظمتها قريش بين من مكة والطائف[1].

رحمك الله يا عمر...فقد كان الحق على لسانك.

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح ١٨).

## ﴿ شجر لضرب الأمثال ﴾

التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن عن طريق التخييل والتجسيم، فتضرب الأمثال بصور الأشجار لتقريب المعاني، فيبرز المعقول في حالة مجسمة، ويلبس المعنوى ثوب المحسوس.

### شجرة مباركة زيتونة (تصوير لنور الله)

مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير، فالشجرة ليست شجرة بعينها ولا متحيزة بمكان أو جهة، وزيتها ليس زيتا من هذا المشهود المحدود، إنه نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السماء والأرض، النور الذي لا ندرك كونه ولا مداه، إنما هي محاولة لوصل القلوب به والتطلع إلى رؤياه، إنه نور فائض دائم في السموات والأرض لا ينقطع ولا يحتبس ولا يخبو، فحيثما توجه إليه القلب رآه وحيثما تطلع إليه الحائر هداه، وحيثما اتصل به وجد الله[2]

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور ٣٥ ).

### شجرة طيبة (تصوير لكلمة الإيمان)، وشجرة خبيثة (تصوير لكلمة الكفر).

---

(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ ٤ ، ص ١٩٠ .

(١) سيد قطب– في ظلال القرآن– مجـ ٤، ص٢٥١٩.

إن كلمة الإيمان الطيبة (لا إله إلا الله) يرددها المؤمن ويعمل بها صباح مساء مثل الشجرة الطيبة السامقة الراسخ أصلها في الأرض، والممتدة أغصانها نحو السماء، والمستمرة في عطاء الثمار كل وقت بتيسير الخالق ﷻ، والمؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين.

وكلمة الكفر الخبيثة والعياذ بالله مثل الشجرة الخبيثة وقد اقتلعت من جذورها، ولـ يس لهـ ا أصل ثابت ومستقر في الأرض، والكافر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد له عمل، ولا يتقبل منه شيء.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِـ ي السَّـ مَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ مَثَلُ كَلِمَـ ـةٍ خَبِيثَـ ـةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم٢٤ . . . ٢٦).

## شجرة أقلام (تصوير لكلمة الله):

كلمات الله أبدية خالدة لا تنفد، ولو استخدم كل ما في الأرض من شجرة في صـ نع أقـ لام تكتب كلمات الله ﷻ، من مداد بقدر البحر وسعته، وبحيث يمده، سبعة أبحر غير ه- والسـ بعة والسبعين والسبعمائة تذكر في اللغة على سبيل المبالغة والتكثير جريا على عادة العـ رب- لـ و حدث ذلك لتكسرت الأقلام ونضبت البحار، ولم تنفد كلمات الله الدالة علـ ى عظمتـ ه وجلالـ ه وعجائب خلقه وعلمه.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـ اتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان٢٧).

# ﴿ شجر في النار، ونار في الشجر ﴾

## الشجرة الملعونة:

هي شجرة الزقوم من التزقم أي البلع بجهد، طعام أهل النار، تنبت في قعر جهنم، ومتفرعة فيها ثمارها وحملها كأنه رؤوس شياطين في تناهي القبح والبشاعة-حيث يصور القبيح بصـ ورة الشيطان، والجميل الحسن بصورة الملك- وإذا جاع أصحاب الجحيم أكلوا منها مـ لء البطـ ون وشربوا عليه من الحميم، فغلت في بطونهم غلي النحاس المذاب- وفي الحديث"لو أن قطرة مـ ن الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم"، رواه أحمد وأصحاب السـ نن عن ابن عباس[1]، ولقد حدث الرسول ﷺ بعد رحلة الإسراء والمعراج أنه رأى الجنـ ة والنـ ار

(١) المناوي- مختصر شرح الجامع الصغير- ج٢،ص٢١٧

ورأى شجرة الزقوم، ولكن الكفار كعادتهم في الإنكار والجحود قالوا: كيف يكون (شجرة في النار) ولا يحترق؟

لقد فتن المشركون وأغلقوا عقولهم، وعقلوا أفكارهم. عن الإيمان بطلاقة قدرة الله ﷻ، الواحد الواجد، القادر، القاهر، الخالق، المبديء، المعيد، صانع القوانين والسنن ومعطلها، فالنار جند من جنود الله تحرق أو لا تحرق بإذنه. إن حجارة صغيرة من سجيل منضود، تحملها جنود الله من الطير الأبابيل، ترمي بها أبرهة الأشرم وأفياله ومهاجمي بيت الله الحرام، أحرقتهم وأبادتهم وجعلتهم كعصف مأكول، أما النار التي أُضْرِمَت، وسُعِّرَت أياما حتى احمرت واصفرت وأبيضت في شدتها، وأُلقي فيها خليل الله الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم تحرقه، وأمرها الله أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم.

إن شجرة الزقوم في النار، طعام الأثيم، فتنة واختبار ليكفر من سبق عليه الكفر، ويصدق من سبق له الإيمان.

- ﴿ إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ (الإسراء ٦٠).
- ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ = إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ = إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ = طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (الصافات ٦٢ . . .٦٣).
- ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ = لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ = فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ = فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ = فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ = هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الواقعة ٥١ . . . ٥٦)
- ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ = طَعَامُ الأَثِيمِ = كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ = كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ (الدخان٤٣ . .٤٦)

## نار في الشجر:

أنكر المشركون قدرة الله على الإحياء والبعث، ويروى أن الكافر أبي بن خلف جاء بعظم رميم وفتته أمام رسول ﷺ، وقال ساخرا: أتزعم يا محمد أن الله يبعثنا بعد أن نصبح رفاتا مثل هذا؟ فرد عليه الرسول ﷺ:"نعم يبعثك ويدخلك النار"، والرد على المنكرين يحتاج إلى مثال لطلاقة القدرة أقوى من مجرد لفت نظرهم إلى كيفية الخلق من نطفة، فهم قالوا إن النطفة حارة رطبة بطبع الحياة فخرجت منها الحياة، أما العظم فهو بارد يابس بطبع الموت، فكيف تخرج منه الحياة؟ إن القدرة هنا أن يخرج الضد من الضد، فيحي العظام وهي رميم، ويوجهنا القرآن إلى مثال محسوس في حياتنا. وهو وَرْيِ النار واقتداحها من الشجر الأخضر. فالعرب لها شجرتان

المرخ والعفار، وإذا أُخِذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر شرر النار[1].

يا (سبحان الله نار في الشجر) والعود الأخضر مشتمل على الماء، والماء بارد رطب ضد النار، وهما لا يجتمعان ولكنها طلاقة القدرة الإلهية، وأحسن القائل الذي أشار إلى ظاهرة الرعد والبرق الناجم عن اصطدام السحب ببعضها: جمع النقيضين من أسرار قدرته (هذا السحاب به ماء به نار[2] )

## إن في القرآن لفتتين في هذا الموضوع:

الأولى: ما وردت في خواتيم سورة يس (من الشجر الأخضر نارا) ووصف الشجر محددا بأنه الأخضر ولم يطلقه كي لا يفهم أن القصد هو استخدام خشب الشجر كوقود للنار.

الثانية: في سورة الواقعة وهي ذكر لفظة (شجرتها).

- ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس٧٨-٨٠).
- ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ = أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ﴾ (الواقعة ٧١ . . . . ٧٢).

# فاعتبروا يا أولي الألباب

(١) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم، جـ .٣،ص٥٨٢.
-ابن منظور- لسان العرب- جـ .٥، ص١٢,٣ جـ .٦، ٤١٧١.
(١) محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير- جـ .١٣، ص١١٨٩.

# الباب الثاني

## المواد الشرعية الإسلامية

# الفصل الأول

# عدالة نظام التوريث الإسلامي

الحمد لله الوارث الباقي، الذي يرجع إليه ملك السموات والأرض بعد فناء خلقه، وهو جل جلاله حي لا يموت، يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

المال عصب الحياة، وقوام حركتها، زينة مستحبة، وشهوة مستلذة، وجمعه فطرة بشرية جُبِل الخلق عليها، من أجله لان كل صعب، وهان كل شاق. ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (الفجر ٢٠)، ولم ينه الإسلام عن التمتع بهذه الزينة، وإنما وجهها وضبطها كغيرها من الغرائز في حدود الطيبات والحلال، فألزم أن يكون الكسب مشروعا، والإنفاق بالمعروف، وأداء الحقوق والواجبات دون إضرار بمصلحة الفرد أو الجماعة، وبغير نهب أو قسر أو ربا أو تجارة في محرم، أو إفساد في دين أو عقل أو عرض.

والإنسان مثل شجرة، لها جذور وأغصان، وله أصول وفروع، وتمتد الفروع تغذيها الجذور فتخرج الثمار والبذور، التي تستنبت من جديد، فتضرب جذورها في الأرض، وترتفع فروعها في السماء وتثمر خيرا بإذن الله...وهكذا الحياة. فالوالد يعمل ويكد ويبذل أقصى طاقاته بنفس راضية، لأن ثمرة كفاحه وجهده لن تضيع أو تقف عند حياته القصيرة المحدودة، بل ستمتد لينتفع بها أبناؤه وأحفاده، وهم امتداده الطبيعي وفي ذلك تعادل بين الجهد الذي يعطيه والجزاء الذي يلقاه والأبناء ينتفعون بجهود آبائهم وأمهاتهم، ولا تقتصر الصلة بينهم على الإرث المالي فحسب، بل يرثون منهم صفات واستعدادات جثمانية وعقلية لا يمكن ردها أو تعديلها، تؤثر في مستقبل الأبناء خيرا أو شرا بدون اختيار، ولذا فإنه من العدل الاجتماعي أن يرث الابن أيضا جهود أبويه المادية كي تتعادل المغانم مع المغارم. ولو تصورنا مجتمعنا ينكر على أعضائه توريث بعضهم البعض (ذرية الإنسان وقرابته)، لما جد أحد في تحصيل مال، أو سعى لإنمائه، ولثبطت الهمم، وفترت الجهود، وركد النشاط، وحاقت الخسارة بالمجتمع كله، إن حكمة التوريث تقوم على العدل بين الجهد والغُرْم والغُنْم[١].

(١) سيد قطب- العدالة الاجتماعية في الإسلام- دار الشرق- ط٦- ١٩٧٩ ، ص٧٢.

## علم الفرائض:

اتخذ علماء الإسلام من آيتي الصدر (١١، ١٢) وخاتمة سورة النساء مصدرا لعلم جليل في الفقه أفردوه بالتأليف، وبينوا فيه كل ما اتصل بالإرث أسبابا وأركانا وشروطا وموانع، وأنواعا، كما فصلوا أصناف الورثة، وأنصبتهم وأحوالهم، وسمي ذلك العلم " علم الفرائض " من الفريضة بمعنى القدر، والعامل به فارضا أو فرضيا، ويتضمن مسائل قسمة المواريث، ومعرفة نصيب كل صاحب حق في التركة، وقد حث الرسول ﷺ على تعلمه " تعلموا الفرائض وعلموه الناس فإن نصف العلم وهو يُنسى وهو أول شيء ينزع من أمتي " رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة [١]

ويروى عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ " العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة " رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم[٢]، والفرائض نصف العلم على ما رواه أبو هريرة، لتعلقها بإحدى حالتي الإنسان وهي الوفاة، وباقي الأحكام الشرعية تتعلق بالحياة، واشتهر من الصحابة رضوان الله عليهم في هذا الميدان: الإمام علي بن أبي طالب (باب مدينة العلم)، وعبد الله بن العباس (حبر الأمة)، وعبد الله بن مسعود (ترجمان القرآن)، وزيد بن ثابت (كاتب الوحي وأفرض الصحابة).

وبلغ الاهتمام بالفرائض حدا كبيرا، فلا تخلو كتب الفقه منه كواحد من أهم

أبوابه وأدق مباحثه، بخلاف إفراده بالدراسة والبحث المستقل، كما خصه بعض العلماء بالتأليف نظما، لسهولة حفظه واستيعاب قواعده وحالاته في المنظومات الشعرية.

وجدير بالملاحظة أننا نجد من تعلم الفرائض من غير علم بها من القرآن ما أسرع ما ينساها فاللهم فقهنا القرآن، واشرح به صدورنا، ونور به قلوبنا، وعلمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا.

## خصائص نظم التوريث قبل الإسلام:

وبإطلالة سريعة على خصائص نظم التوريث عند الرومان واليونان أو اليهود نجد الآتي:

١- حرمان أصول المتوفي من الميراث إذا وُجِد الفروع.

٢- إيثار كبير للذكور، وإهمال شنيع للإناث.

٣- يتميز الابن الأكبر بضعف نصيب اثنين من إخوته.

---

(١) المناوي- مختصر شرح الجامع الصغير للسيوطي- جـ ١ ، ص٢٢٦.

(٢) نفس المصدر-جـ ٢ ، ص١١٥.

٤- حرمان الزوجة من تركة زوجها، بينما للزوج أن يرث زوجته.
٥- حرمان الأم من تركة ابنها أو ابنتها، ولكن يرثها ابنها أو ابنتها أو أبيها أو جدها.
٦-الولد المتبني له نفس حقوق الإبن الشرعي، وحتى الإبن من زنا مثل الولد ثابت النسب [١].

ولا يمكن القول بأنه كان هناك نظام إرث متكامل ومتناسق في أي حضارة من الحضارات السابقة على الإسلام ولا عند اليهود، فكلها نتف متفرقة، ورقع متجمعة بغيرما انسجام، ويتعذر أن تخرج منها بأحكام واضحة وبسيطة، وإذا كان فلا تخلو من الضعف والعسف والإجحاف، والخروج عن الفطرة البشرية السليمة بأن تكون الرذيلة كالفضيلة سببا في الوصول إلى الخير ونعمة النسب.

## التوريث في الجاهلية:

ساد المجتمع الجاهلي بعض المظاهر والعادات كان لها أثرها في عوامل وأسباب التوريث:

- كان العرب أهل كر وفر وغارات من أجل المغانم، وكان أساس التوريث عندهم الرجولة والفحولة والقوة، فَورّثُوا الأقوى والأقدر من الرجال على الزود عن الديار، وحماية الذمار [٢]، وحرم الضعيفان: النساء والأطفال، وكان الضعف مانعا من التوريث، رغم وجوب كونه داعيا له، ومفضيا إليه، فقلبت الأوضاع المنطقية.
- وُضِعَت المرأة في أخس وأحقر مكان في المجتمع، فكانت تُوأَد طفلة، وتورث امرأة كما يورث المتاع، وتحبس وتعضل إهمالا وامتهانا، وبسبب ضعة شأن المرأة في هذا المجتمع اضطربت أركان الأسرة، باعتبارها اللبنة الأولى فيه، وراج السفاح والمخادنة.
- ضاعت حقوق اليتامى الضعاف، وأهدر الولي أموال اليتيم بدلا من أن يحدب عليها حفظا وأمانة.
- شاعت عادات التبني للجلدة الأشداء من الفتيان، والتحالف من أجل النصرة والمعاونة، والوصية للحليف أو لغيره حتى على سبيل الفخر والتباهي[٣].

وكل هذه العوامل كانت رهنا بمشيئة صاحب المال وإرادته، ورغبته في التبني والتحالف والوصية، ولم يكن للقرابة والنسب فعالية أو أثر كبير.

---

(١) د. شوقي عبده الساهي- عدالة الإسلام في أحكام المواريث- ١٩٨٠ ، ص١٠ وما بعدها.
(٢) الذمار:هو كل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفاع عنه ، مثل الأهل والحرم. لسان العرب- ج ٢. ، ص١٥١.
(٣) د. الساهي – المرجع السابق- ص٢٥.

## التوريث في الإسلام:

سطع نور الإسلام من الله بكتاب مبين على رسول أمين ﷺ فواكب طبيعة الفطرة البشرية، وتمشي مع ما جبل الله الناس عليه، فتدرج إلى الأمثل شيئا فشيئا، ولم يشأ أن يفجأ بنظام التوريث مرة واحدة:

أولا: بدأ بالدعوة إلى التراحم والتعاطف والبر بالوالدين والإحسان إلى الأقارب بصفة عامة ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢١٥)، فأقر التشريع ما أَلِفَهُ العرب وجاراهم في فطرتهم وميولهم، وأوجب أن يكون الوالدان والأقربين ممن لهم حق في النفقة، وكذلك في الوصية عند الموت﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة ١٨٠)

ثانيا: عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، عقد المؤاخاة بين بعض المهاجرين والأنصار، ليقوى الأواصر بينهم، فقد كانوا قلة بين كثرة من الأعداء، وصارت هذه الأخوة في مجتمع الإيمان أصدق وأقوى من أخوة النسب، وأنشأت حق التوارث فكان الأنصاري يرث المهاجري دون ذوي رحمه، ولا ميراث لمن لم يهاجر﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال ٧٢).

ثالثا: أبطل التشريع عادة التبني، ورد علاقة النسب إلى أسبابها الحقيقية علاقات الدم والأبوة والبنوة، لأن الكلام لا ينشيء نسبا، ولا يغير واقعا، ولكن المشاعر الطبيعية تتشأ من كون الولد بُضعةُ من أبيه ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ، ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب٤، ٥)

رابعا: بعد أن استقرت الأحوال في المدينة المنورة شيئا ما بعد غزوة بدر، وتوفر قدر من الكفاية للمسلمين على إثر السرايا التي لحقت الغزوة، والغنائم التي حصلوا عليها، أعيدت الجماعة الإسلامية إلى فطرتها فرد الإرث والتكافل في الديات إلى قرابة الدم والنسب، ونسخت كل أسباب التوارث بالحلف والموالاة والتبني والمؤاخاة، وقُرِّرَت الولاية العامة للرسول ﷺ التي تتقدم على قرابة الدم بل على النفس، كما قررت الأمومة الشعورية لأزواجه بالنسبة لجميع

المؤمنين ثم ولاية أولي الأرحام ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ (الأحزاب ٦).

خامسا: لما كان النظام الإسلامي يقوم على أساس التكافل الاجتماعي في الحقوق والواجبات، وفق الميول الفطرية الثابتة في النفس البشرية، فالقريب مكلف بإعالة قريبه إذا احتاج، والتضامن معه ونصرته في الديات والتعويضات، ومن العدل أن يرثه إن ترك مالا، ومن أجل ذلك شرع الله الإرث وقرره[1] ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا، وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ (النساء ٧، ٨)، وبهذا المبدأ أعطى الإسلام للنساء منذ أربعة عشر قرنا حق الإرث كالرجال، أعطاهم نصيبا مفروضا لم يُحَّدد، والإسلام ينظر إلى الفرد حسب قيمته الإنسانية وليس حسب قيمته العملية في الحرب والإنتاج.

سادسا: بعد ذلك نزل التشريع التفصيلي المحكم، محددا الأنصبة والفروض لكل مستحق وبطريقة لم تفصل مع أي من أحكام العبادات والمعاملات تأكيدا للعدالة وتحقيقا للإنصاف وحكما من الله العليم الحكيم، خاصة وان المال مال الله، يوجهه حيث شاء، ويورثه من يشاء ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيمًا، وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُواْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء١١، ١٢).

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء١٧٦).

(١) سيد قطب- في ظلال القرآن- مج ١٠، ص٥٨٧.

## * ملاحظات على الآيات:

١-(يوصيكم الله) هذا تأكيد بأن رحمته سبحانه وتعالى وسعت العباد أكثر من أنفسهم يقول الرسول ﷺ: " لله أرحم من الأم بولدها".

٢-(أولادكم) لفظ الولد يشمل الابن والبنت، وابن الابن وإن نزل عند فقد الابن ولفظ الوالد يشمل الأب والجد الصحيح عند فقد الأب، و(أبويه) لفظ يشمل الأب والأم وقد ضمن الشارع الحكيم حقوق الأولاد باعتبارهم امتدادا للميت وهي الحالة الشائعة والطبيعية في الإرث وذلك بفكرة الحجب الكلي والجزئي والتي تعتمد على قاعدة توريث الأقرب يحجب الأبعد.

٣-حدد التشريع إرث الأنثى بقدر معروف، وأخبر أنه للذكر مثله مرتين- تمشيا مع طبيعة الفطرة الإنسانية- فجعل إرث الأنثى هو الأصل، وإرث الذكر محمول عليه، يعرف بالإضافة إليه، واختيار التعبير القرآني (للذكر مثل حظ الأنثيين) ليشعر بإبطال ما كانت عليه الجاهلية من منع توريث النساء [١]، ولقد سكت التنزيل عن حكم إرث البنتين، وذكر نصيب فوق الأثنين، وبينت السنة النبوية استحقاق البنتين للثلثين قياسا على الأختين الذي تحدد نصيبهم في الآية الأخيرة في سورة النساء، واتفق جمهور الفقهاء على انصراف وإفادة الجمع على الاثنتين، مثل صلاة الجماعة تصح باثنين إمام ومقتد.

٤-كرمت الأمومة واعترف بفضلها ومبالغة في صلتها، ورثت قرابتها وهم الأخوة والأخوات لأم بفرض محدد، يسبق نصيب الأخوة الأشقاء الذين يرثون بالتعصيب إذا اجتمعا.

٥-تحدد نصيب الزوجة أو الزوجات مهما تعددن لأربع، بقدر ثابت هو الربع أو الثمن، بما يرشدنا إلى أن الأصل يجب أن يكون للرجل امرأة واحدة[٢].

٦-الكلالة من معانيها الإعياء والتعب، واستعمل للقرابة البعيدة لضعفها بالنسبة لقرابة الأصول والفروع، وأيضا من معانيها الإحاطة بالشيء مثل إحاطة الإكليل بالرأس، واستعمل لقرابة الميت المحيطين به من جوانبه لا من أعلى ولا من أسفل أي الوالد أو الولد الذين يكونان عمود النسب، فالكلالة هو من لا والد له ولا ولد.

٧-الدَّيْن يجب أن يُقَدّم على الوصية على الرغم من ظاهر الآية (من بعد وصية يوصي بها أو دين) وقد قضي الرسول ﷺ بتقديم الدين على الوصية، وحكمة ذلك أن الدين ثابت في ذمة المدين، والدائن مطالب للمدين قبل وفاته ولورثته بعد وفاته، بخلاف الوصية التي تعتبر

---

(١) الأمام محمد رشيد رضا- تفسير المنار- جـ ٤ ، ص٣٣٢ وما بعدها.
(٢) المرجع نفسه ، جـ ٤ ، ص٣٤٥.

تبرعا، وقد قدمها الله سبحانه وتعالى تنبيها على أهميتها حتى لا يتهاون الناس في أمرها وتشح نفوسهم عن أدائها[1].

# مبادئ وأسس التوريث

## * التوريث شرع الله:

إن الذي خلق هو الذي فرض هو الذي شرع، " فريضة من الله " قسم حيث توجد المصلحة وتتوفر المنفعة، ولم يترك الأمر لإرادة البشر، حتى لا يُحَكّموا الهوى. ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك١٤)، فهو العالم بصنعته، ومع ذلك لم تهمل إرادة المورث، فكان له أن يوصى لغير ورثته في حدود الثلث، مداركة لتقصير ديني كزكوات لم تؤد أو إعانة لبعض ذوي الحاجة من الأقارب غير مستخفي الإرث.

## * مراعاة طبيعة الفطرة الإنسانية وحاجة الوارثين:

جاء ترتيب الوارثين بحكمة، فالفرع مقدم على الأصل لأنه امتداد طبيعي لمورثه، ولقد تقرر للجميع من الأقارب حقه، ولم يفرق بين أحد منهم في أصل الميراث، فالأسرة البشرية كلها من نفس واحدة، وفاوت بين الذكر والأنثى تمشيا مع الفطرة الإنسانية التي تجعل المرأة قوامة على بيتها وأسرتها، وتجعل الرجل يكد ويكدح لتقديم المال، وليس ذلك انحيازا لجانب الرجل، فنظرة الإسلام ليست للفرد ذكرا أو أنثى، ولكن من حيث كونه عضوا في الأسرة الصغيرة والتي تعتبر بدورها عضوا في المجتمع الإسلامي كله.

## * اتجاه التشريع إلى تفتيت الثروة:

في سبيل عدم تجميع وتركيز الثروات لم يقتصر التوريث على الولد البكر مثل تشريعات وضعية أخرى بل لم يحرم من هم ليسوا من عمود النسب كأولي الأرحام فأعطى الأقرب فالأقرب.

إن هذا النظام في التوريث هو أعدل نظام عرفه العالم كله كما اعترف بذلك كل الفقهاء، لأنه يتنافس مع الفطرة، ومع الواقع الإنساني، وقد أرساه الله قرآنا نتعبد به ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: من الآية٨٢)، ولم يوجد له مثيل في حضارة من حضارات الأمم السابقة، ولن يوجد، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين[2].

---

(١) الإمام محمد رشيد رضا- تفسير المنار- جـ ٤ ، ص٣٤٦.
(٢) المنتخب في تفسير القرآن- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- ط٨- ١٩٨١ ، ص١٠٩.

# الفصل الثاني

# حساب المواريث

اتسم موضوع المواريث بصعوبة كبيرة، إذ عز على الفهم، ونأى عن الاستيعاب لكل قارئ متعجل أو دارس بغير تركيز أو تمحيص، بسبب دقة حساباته، ومشاكله مسائله، وتجلت الصعوبة فيه الآثار المختلفة للوارثين على بعضهم البعض، واختلاف الآراء فيما ليس فيه نص قرآني أو حديث نبوي، فلزم اجتهاد الفقهاء في موضوعاته وبحوثه، حتى أن الجد لم يرد له فرض محدد في آية، فوقف الصحابة في أمره، وخافوا من توريثه، وتعددت حالاته، وخاصة مع الإخوة، على تفصيل سنعرض له في موضعه، هذا إلى جانب خصوصية موضوعات الحجب والتعصيب والعول والتصحيح وجدرانها بالاهتمام.

غير أن الأمر– بعد عون الله وتوفيقه– يبدوا سهلا وميسورا عندما نتناوله بالتبسيط الشديد، والشرح المستفيض، دون أن نلج في متاهة الخلافات بين الفقهاء فمكانها المطولات من كتب الأحكام، ويجب أن ننبه في البداية إلى أن المدخل إلى فهم المواريث هو حفظ واستيعاب آيات الصدر والخاتمة ١١، ١٢، ١٧٦من سورة النساء وملاحظات المفسرين عليها، وسوف يكون الموضوع– إن شاء الله– قريبا إلى الأذهان.

## * كيف تقسم التركة؟

لما كان الهدف من علم الفرائض أو حساب المواريث هو معرفة نصيب كل ذي حق في التركة، وللوصول إلى حقوق الورثة يجب بيان وتحديد الأمور التالية:

١) من هم الورثة؟

٢) ما هو موقفهم من حيث الحجب؟ أي بيان أثر وجود كل منهم على الآخر حرمانا أو نقصانا.

٣) ما هي طريقة إرثهم؟ بالفرض بالتعصيب أم بهما معا؟

والفرض هو السهم أو النصيب المقدر في التنزيل، وهو عبارة عن كسر $\frac{1}{2}$ أو $\frac{1}{3}$ مثلا، والعصبات هم أقارب الميت من الذكور ومن ينزل منزلتهم من الإناث، مستحقوا

ما يبقى من التركة بعد أصحاب الفروض حسب القاعدة (للذكر مثل حظ الأنثيين).

٤) تُحَدّدْ التركة في مسألة حسابية من جمع عدة كسور أي فروض، وما بق ى لهـ ا- متممـ ا للواحد الصحيح- هو نصيب العصبات.

٥) توحد مقامات الكسور أو الفروض، باستخدام المضاعف المشترك، وهذه العملية هي تحديد أصل المسألة أو مخرج الفروض بلغة الفرضيين.

٦) مسائل التركات لابد أن تكون عادلة أي مجموع كسورها دائما واحد صحيح.

٧) فإذا زاد مجموع أنصبة أصحاب الفروض على الواحد الصحيح، كان ذلك هو العول ولزم إنقاص الأنصبة بنسبة هذه الزيادة أو العول حتى تتعادل المسألة.

مثال: الـ . ورثة: زوج- أختين شقيقتين $\frac{1}{2}$ + $\frac{2}{3}$ وحد المقامـ ات $\frac{3}{6}$ +$\frac{4}{6}$ =$\frac{7}{6}$ والمسـ ألة عائلة أي زادت على الواحد الصحيح، فنجعل البسط الجديد لمجموع الأنصبة مقامـ ا أي $\frac{3}{7}$ +$\frac{4}{7}$ = $\frac{7}{7}$ وكما سنفصل القول في العول.

٨) وإن قل مجموع أنصبة أصحاب الفروض عن واحد صحيح، كان ذلك هو الرد ولزم إعادة توزيع الباقي على من يرد عليهم من الفروض- حسب أقوال الفقهاء بنفس نسبة أنصبتهم.

٩) قد يحدث عند قسمة الأنصبة أو الفروض على عدد الرؤوس المستحقين وجود تباين بينهما بحيث لا يقبلان القسمة على بعضها. عندئذ يلزم التصحيح فنعيد توحيد المقامات بضـ رب أصل المسألة أي المضاعف المشترك أو العول × عدد الرؤوس.

١٠) يتحدد نصيب كل وارث بجزء من التركة حيث يسهل التعامل به.....

وبعد فإنه يلزمنا الآن أن نعرض بإيجاز غير مخـ لـ بعض اصـ طلاحات الفرضـ ين وتعريفاتهم دون أن نُقْحِم أنفسنا فيما اختلف عليه الفقهاء من آراء فمكان ذلك كتب المطـ ولات والشروح في فقه وأحكام المواريث.

التـ . ركة:هي كل ما تركه الميت من أموال وحقوق،ويتعلق بالتركة حقوق أربعة:

١. تجهيز الميت بغسله وتكفينه ونفقات الجنازة من غير إسراف ولا تقتير.

٢. أداء الديون وقضاء الحقوق التي في ذمة الميت.

٣. تنفيذ الوصايا في حدود الثلث.

٤. تقسيم ما يبقى بعد ذلك بين المستحقين من الورثة حسب ترتيبهم ومراتبهم[١].

(١) السيد سابق- فقه السنة- ج٣ ، ص٤٢٥.

## أسباب الميراث ثلاثة وهي القرابة والزوجية والإعتاق:

١) الأصل في التوريث القرابة ويشمل أصحاب الفروض والعصبات وأولي الأرحام.

٢) الزوجية وهي السبب الناشئ عن عقد صحيح وقائم حقيقة، وإن لم يحدث وطء أو دخول، أو حكما مثل المعتدة من طلاق رجعي لا ينهى الزوجية، أي قبل انقضاء العدة، أو طلاق البائن في مرض الموت بغير رضاها أي طلاق الفار من التوريث وهو عن الحنفية وأخذ به القانون المصري.

٣)الإعتاق أو الولاء وهي عُصْبَةُ سببية تختلف عن العصبة النَسبِيْة من جهة وقرابة الدم، وسببها نعمة المعتق على رقيق بالحرية، وحكمة هذا السبب أن يشجع على العتق وتحرير الرقاب [١]

## أركان الميراث:

وركن الشيء جانبه الأقوى، كالركوع في الصلاة جزء أساسي فيها، ولا تتصور عملية التوريث من غير: وارث، ومورث، وموروث.

فالوارث: هو شخص يربطه بالميت سبب من أسباب الميراث السابقة.

والمورث: هو الميت حقيقة بمفارقته للحياة، أو حُكْماً بموته كالمفقود والأسير والمرتد.

والموروث: هو ما يتركه الميت من أموال وحقوق أي التركة[٢].

شروط الميراث: والشرط هو العلامة اللازمة، كالوضوء شرط لصحة الصلاة على الرغم من خروجه عن حقيقتها وأركانها، والشروط:

١- تحقق موت المورث حقيقة أو حكما أو تقديرا.

٢- تحقق حياة الوارث عند موت المورث.

٣- ألا يوجد مانع من موانع الميراث[٣]

## موانع الميراث:

وهي الأوصاف التي تقضي بعدم الإرث مع قيام سببه، فلو قَتَلَ إبن أباه عمدا لم يرث -رغم توافر سبب الميراث وهو القرابة- لأن القتل أفقده أهلية الميراث فمنعه.

---

(١) السيد سابق- فقه السنة- جـ ٣ ، ص٤٢٦.
(٢) نفس المرجع والصفحة.
(٣) نفس المرجع والصفحة.

١. الرق: وهو مانع من الجانبين، فلا توارث بين حر ورقيق، ولما كان المملوك لا يملك فكل ما يصل إلى يده ملك سيده.
٢. القتل: ودليله" ليس لقاتل أحد أبويه من الميراث شيء" الحديث، ومتفق على العمد، مختلف على القتل الخطأ.
٣. اختلاف الدين: فلا يرث المسلم الكافر أو العكس، فالإرث يقوم على الموالاة[١]

## المستحقون للتركة ومراتبهم:

تتعدد درجات وطبقات الورثة لا يجوز الانتقال من درجة إلى أخرى إلا بعد استيفاء ورثة الدرجة السابقة، ويرتَّب الورثة حسب قانون المواريث المصري كالآتي:

| | |
|---|---|
| ١- أصحاب الفروض | ٢- العصبة النسبية |
| ٣- الرد على ذوي الفروض | ٤- ذوي الأرحام |
| ٥-الرد على أحد الزوجين | ٦- العصبة السببية(مولى العتاقة) |
| ٧-العصبة الذكور لمولي العتاقة | ٨- المقر له بنسب على الغير. |
| ٩-الموصى له بجميع المال | ١٠- بيت المال. |

١- أصحاب الفروض: والفرض هو السهم شرعا للوارث، لا ينقص إلا بالعول، ولا يزيد إلا بالرد، وهم إثنا عشر وارثا: إثنان بسبب الزوجية: الزوج والزوجة وهما أصحاب الفروض السببية، وعشرة بسبب القرابة والنسب، وهم أصحاب الفروض النسبية، ثلاثة رجال: أب، جد، أخ لأم، وسبعة نساء: أم، جدة، بنت، بنت ابن، أخت شقيقة، أخت لأب، أخت لأم.
٢- العصبات النَسَبِيّة: وتشمل كل ذكر لا يتوسط بينه وبين الميت أنثى، وهم عدد من الأقارب الذكور لم تحدد لهم أنصبة، ويرثون الباقي بعد أصحاب الفروض، أو يأخذ التركة من ينفرد منهم، وهم: الفروع أي الابن وابن الابن وإن نزل، والأصول أي الأب والجد الصحيح وإن علا، والحواشي وهم الأخوة الأشقاء أو لأب وأبناؤهم وإن نزلوا، والأعمام الأشقاء أو لأب وأبناؤهم وإن نزلوا، وكذلك عدد من الإناث ينزلن منزلة الذكور عصبة اعتبارية، وهذه العصبات على ثلاثة أنواع: عصبة بالنفس أو بالغير، أو مع الغير.
٣- الرد على أصحاب الفروض غير الزوجين: إذا بقي شيء بعد أصحاب الفروض ولا يوجد عصبات، فيرد الباقي على من يوجد من أصحاب الفروض بنسبة أنصبائهم عدا الزوجين.

(١) د. شوقي الساهي- أحكام التوريث- ص٨٧.

٤-ذوي الأرحام: وهم بقية أقارب الميت غير أصحاب الفروض والعصبات، كالعمة والخالة والخال والجد غير الصحيح، وابن البنت وابن الأخت، وبنت الأخ.

٥-الرد على أحد الزوجين: إذا انفرد بالتركة بلا صاحب فرض ولا عاصب ولا ذي رحم، فإنه يأخذها كلها فرضا وردا، وفقا لرأي عثمان بن عفان ﷺ الذي أجاز الرد على أحد الزوجين.

٦- العصبة السببية: وهو السيد المعتق (رجلا أو امرأة) إذا لم يوجد للعتيق وارث من أي جهة قرابة أو زوجية، ولم يعد الرق موجودا في هذه الأيام.

٧- عصبة المعتق: وهم أقرباء المعتق من الذكور كأبنائه الذين يحلون محل أبيهم في إرث العتيق.

..وإذا لم يوجد أحد من هؤلاء المذكورين، فإن التركة يستحقها بغير إرث.

٨- المقر له بنسب على الغير بشروط منها: ألا يكون المقر له معروف النسب، ويصدقه المقر.

٩- الموصى له: بما زاد على الثلث أو جميع المال.

١٠- بيت المال: (الخزانة العامة للدولة).[١]

(١) حسنين مخلوف- المواريث- ص٣٦.

## ** ورثة كل نصيب من أصحاب الفروض وشروط الاستحقاق **

| الفرض | عدد الأحوال | بيان الوراثة |
|---|---|---|
| النصف | ٥ | الزوج (مع عدم الفرع الوارث) . البنت . . بنت الابن . . الأخت الشقيقة، الأخت لأب(منفردات بلا معصب). |
| الربع | ٢ | الزوج (مع الفرع الوارث) . . . الزوجة فأكثر لأربع (مع عدم الفرع الوارث) |
| الثمن | ١ | الزوجة فأكثر لأربع (مع الفرع الوارث). |
| الثلثان | ٤ | البنتان . . بنتا الابن . . الأختان الشقيقتان . . الأختان لأب (فأكثر بلا معصب ولا حاجب). |
| الثلث | ٢ | الأم (مع عدم الفرع الوارث، والاثنين فأكثر من الأخوة)– العدد من الإخوة والأخوات لأم. |
| السدس | ٧ | الأب . . الأم . . الجد . . الجدة الصحيحة (مع الفرع الوارث) . . بنت الابن فأكثر مع البنت المنفردة . . الأخت لأب فأكثر مع الشقيقة المنفردة– الواحدة من الأخوة لأم. |

### التعصيب:

عصبة الرجل هم أبوه وبنوه وقرابته لأبيه، وهو مأخوذ من قولهم عصب القوم بف لان، إذا أحاطوا به لحمايته، ودليل إرثهم حديث الرسولﷺ "ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبق ت فلأول ى عصبة ذكر" الحديث والعصبة ثلاثة أنواع:

- العصبة بالنفس: وتشمل كل ذكر لا يدخل في نسبته إلى الميت أنثى، وجهاتها أربع جهات ترتب أولويات كما يلي:

١) البنوة أي جزء الميت أو فرعه

٢) الأبوة أي أصل الميت

٣) الأخوة أي جزء أبيه.

٤) العمومة أي جزء جده

ويراعي أنه يرث أصحاب الفروض أولا ثم ما بقي للعصبات إلا إذا استغرقت التركة بالكامل فلا شيء للعصبات، وإذا انفرد أحد العصبات أخذ كل التركة، وإذا تعددوا يراعي الترجيح حسب أولوية الجهات فإن اتحدت فبدرجه القُرْب للميت، فإن تساوت الجهة والدرجة فبقوة القرابة للميت، فإن اتحدت في الجهة والدرجة والقوة، استحقوا على السواء ووزعت التركة بينهم على عددهم.

- العصبة بالغير: وهي الأنثى التي يكون فرضها النصف منفردة، والثلثين مع أخت أو أكثر، فإذا كان معها أخ صار الجميع به عصبة وهن أربع نساء: البنت أو البنات- بنت أو بنات الابن- الأخت أو الأخوات الشقيقات- الأخت أو الأخوات لأب، ويراعي أن من لا فرض لها من الإناث عند عدم أخيها العاصب لا تصير عصبة به إذا وُجِد. مثال: عم وعمة، المال كله للعم ولا شيء للعمة، ولا تصبر العمة عصبة بأخيها لأنه عند فقده لا فرض لها، ومثل هذا: ابن الأخ مع بنت الأخ، ويجب أن نعرف أن العصوبة ليست بالقرابة للميت، وإنما بسبب وجود الغير(العاصب بنفس) فإذا وجد معه إناث صرن عصبة، وإذا لم يوجد معهن ورثن بالفرض.
- العصبة مع الغير: وهي كل أنثى تحتاج إلى أنثى غيرها تعصبها اعتباريا، ودليله (اجعلوا الأخوات مع البنات عصبة) الحديث، وينحصر هذا النوع في:

١- الأخت الشقيقة أو الأخوات الشقيقات مع البنت الصلبية أو بنت الابن.

٢- الأخت لأب أو الأخوات لأب مع البنت الصلبية أو بنت الابن، ويكون لهن بالفرض والتعصيب معا، وإذا اجتمعت الشقيقة عصبة مع الغير، وتصبح كالأخ الشقيق فتحجب الأخوة والأخوات لأب، وكذلك الأخت لأب إذا أصبحت عصبة مع الغير تصبح كالأخ لأب وتَحْجُب من يحجبه[١]

## الحجب:

هو منع شخص معين من ميراثه كله أو بعضه بسبب وجود شخص آخر. وهو نوعان: حجب كلي (حرمان)، وحجب جزئي (نقصان).

حجب الحرمان أو الكلي: يعني منع كل الميراث عن شخص، مثل الأب يُحْجَبْ الجد من الميراث وكذلك يحجب جميع الأخوة الأشقاء أو لأب أو لأم، ولا يحجب أبدا من الورثة: الأب والابن والبنت.

وحجب النقصان أو الجزئي: يعني نقص نصيب شخص من الميراث إلى نصيب أقل لوجود

(١) حسنين مخلوف- المواريث- ص٩٩.

شخص أخر مثل: نقص نصيب الزوج من النصف (مع عدم الفرع الوارث) إلى الربع (مع الفرع الوارث)، ويكون لخمسة من الوارثين: الزوج، الزوجة، الأم، بنت الابن، الأخت لأب، وتتعدد أنواعه كما يلي:

١) الانتقال من فرض إلى أقل منه: بمثل الزوجان، الأم، بنت الابن. الأخت لأب.
٢) الانتقال من فرض إلى تعصب: مثل ذوات النصف (البنت، بنت الابن، الأخت الشقيقة. الأخت لأب) ينتقلن من الإرث فرضا إلى التعصيب بأخيها.
٣) الانتقال من تعصيب إلى فرض: مثل الأب والجد فكل منهما ينقل عن العصوبة إلى الإرث بفرض السدس بالابن أو بابن الابن.
٤) المزاحمة في الفروض: ومن المعروف أن حق الزوجة يشترك في ما زاد منهن إلى أربع، وكذلك الجدات يشتركن في السدس مهما تعددن، والعدد من البنات وبنات الابن بالتساوي، والأخوات الشقيقات أو لأب بالتساوي، والعدد من الأخوة والأخوات لأم فإن فرض الاثنين يرثه الأكثر[١].

## * الفرق بين الحرمان والحجب:

(١) لما كان الحرمان هو منع شخص من الميراث بسبب مانع كالقتل، فالمحروم أي القاتل ليس أهلا للميراث، أما المحجوب فهو أهل للميراث ولكن حجبه وجود شخص أخر.
(٢) المحروم لا يؤثر وجوده في حجب غيره لأنه كالمعدوم، فإذا مات شخص عن ابن كافر وأخ مسلم فكل الميراث للأخ المسلم ولا شيء للابن لأن الكفر مانع.

ولكن المحجوب يؤثر وجوده فيحجب غيره حرمانا أو نقصانا. مثل الاثنين فأكثر من الأخوة والأخوات لأم لا يرثون في وجود الأب، ومع ذلك فإنهم يحجبون نصيب الأم نقصانا من الثلث إلى السدس، وتجلية أكثر لموضوع الحجب نبين فيما يلي أثر الفرع الوارث مذكرا أو مؤنثا كما يلي:

## أثر الفرع الوارث المذكر:

١- يحجب من دونه من الأبناء والبنات كليا، فالابن يحجب ابن الابن وبنت الابن....وهكذا.
٢- يحجب الأخوة والأخوات الأشقاء أو لأب أو لأم كليا.
٣- يحدد نصيب الأب بالسدس فقط.

---

(١) حسنين مخلوف- المواريث- ص١٠٦.

٤- يعصب من معه في درجته من الإناث، وينقلها من وارثة بالفرض إلى وارثه بالتعصيب مثل: الابن يُعصِّب أخته، وابن الابن في حالة فقد الابن يصعب أخته.

٥- يعصب من فوقه من الإناث إن احتجن إليه مثل: بنتين، وبنت ابن، وابن ابن ابن، فالبنتان لهما الثلثان فرضا ولا شيء لبنت الابن والباقي تعصيبا لابن ابن الابن، ولما كان في ذلك خروج على قاعدة التوريث بحرمان الأقرب وتوريث الأبعد، فبنت الابن ليس معها -في درجتها- أخ أو ابن عم يعصبها ولكن وجد معها من هو أنزل في درجة القرابة ولكنها تحتاج إليه، حينئذ يقوم ابن ابن بتعصيب من فوقه أي بنت الابن المحتاجة إليه، وترث معه بالتعصيب[١]

## أثر الفرع الوارث المؤنث:

١- تحجب بنت الابن جزئيا (نقصانا) من النصف منفردة إلى السدس مع البنت صاحبة النصف.

٢- يحجبن- إذا تعددن- بنت الابن كليا (حرمان) ما لم يوجد معها معصب.

٣- يجعل الأخوات الشقيقات ولأب عصبة معه (عصبة مع الغير) فيرثن تعصيبا [٢]

## أصل المسألة (مخرج الفرض):

هو أقل عدد يؤخذ منه نصيب كل وارث بلا كسر، ولما كانت الأنصبة كسورا وهي على نوعين:

الأول: $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{4}$، $\frac{1}{8}$ والثاني $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{3}$، $\frac{1}{6}$ فهناك حالتان:

١-ألا يختلط فرض بغيره، أي فريضة واحدة مثل نصفان: بنت وأخت شقيقة $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{2}$ فأصل المسألة هو مقام الكسر وهو٢.

٢-أن يختلط فرض بغيره، سواء من نفس النوع أو نوعين مختلفين، حيث تتداخل الفروض من النوعين فتنحصر المخارج أو الأصول في: ٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ١٢، ٢٤ ويمكن الاكتفاء باستخدام ٢٤ أصلا لجميع المسائل، ولقد أحدث المتأخرون أصلين آخرين هما ١٨، ٣٦ لا يوجدان إلا مع توريث الجد مع الإخوة الأشقاء أو لأب إذا زاد عن مثليه وكان ثلث الباقي خيرا له، فإن أقل عدد يأخذ منه السدس والثلث الباقي هو ١٨، وأقل

(١) د. نجاشي علي إبراهيم- أحكام الميراث- ص٣٢٠.
(٢) د. نجاشي علي إبراهيم- أحكام الميراث- ٣١٤.

عدد يأخذ منه ا لسدس والربع وثلث الباقي هو٣٦، ومن لم يعتبرهما أصلين جعلهم ا من قبيل التصحيح على ما سيأتي بيانه[١].

والخلاصة: أنه عند تعدد أصحاب الفروض يكون أصل المسألة هو المضاعف المشـ ترك لهذه المقامات وإذا كان للورثة كلهم عصبات ذكور فالأصل هو عددهم، وإذا كانوا ذكورا وإناثا فالأصل هو عدد الإناث وضعف عدد الذكور.

## الَعْول:

يعني الارتفاع، وهو زيادة أسهم أصحاب الفروض، ونقص في مقادير أنصبتهم، ويكون في المسائل التي تزدحم فيها الفروض فتزيد عن أصل المسألة، أي عن الواحد الصحيح، ولا يتسـ ع المال للوفاء بكل فرض كاملا، ومن ثم يلزم إنقاص الأنصبة بنسبة الزيادة في كل سهم.

وأول من قضى بالعول هو الفاروق عمر بن الخطاب بعد أن أشار عليه الصحابة به قياسا على محاصة الدائنين في مال المدين إذا ضاق عن الوفاء بالديون فتقسم عليهم أمواله بنسبة كـ ل دين، وتابع الصحابة عمر، ولكن خالفهم ابن عباس الذي لا يأخذ بالعول ويرى أن يُدْخِلْ النقص فقط على الفريق الأضعف من أصحاب الفروض وهم عنده [٢]:

(١) فريق ينقل من فرض إلى فرض: الزوجان والأم ومعهم من يثبت على فـ رض واحـ د: الجدة والأخ لأم.

(٢) فريق ينتقل من فرض إلى تعصيب بالغير أو مع الغير: وهم الأضعف: البنت وبنت الابن والأخت الشقيقة والأخت لأب.

والمسألة التي حدثت وكان نتيجتها القول بالعول: زوج، أختين شقيقتين أي $\frac{1}{2}$، $\frac{2}{3}$ فضـ اق المخرج عن الفروض، إن بدأ بالزوج $\frac{1}{2}$، لم يبق من التركة $\frac{2}{3}$ حق الأختين، وإن بدأ بـ الأختين $\frac{2}{3}$، ولم يبق $\frac{1}{2}$ حق الزوج. فكان العول وأصل المسألة من (٦) وتكون: $\frac{1}{2}+\frac{2}{3}$ + أي $\frac{3}{6}+\frac{4}{6}$ = $\frac{7}{6}$ فنجعل بسط المجموع أصلا جديدا كالآتي: $\frac{3}{7}+\frac{4}{7}=\frac{7}{7}$ [٣]

مسائل العول: أصول المسائل سبعة منها أربعة لا تعول هي ٢، ٣، ٤، ٨، وثلاثة تعـ ول هي ٦، ١٢، ٢٤ على التفصيل الآتي[٤]:

---

(١) دائرة معارف الشعب – علم الميراث – مج ٥ ، ص ١٥٣ .
(٢) عمر عبد الله– أحكام الميراث– دار المعارف بمصر– ١٩٥٧– ص٢٣٧.
(٣) دائرة معارف الشعب– علم الميراث– مج٥ ، ص١٥٤.
(٤) عمر عبد الله– أحكام الميراث– دار المعارف بمصر– ١٩٥٧– ص٢٣٧. ، دائرة معارف الشعب– علم الميراث– مج٥ ، ص١٥٥.

**(١) الستة تعول أربع عولات على توالي الأعداد ٧، ٨، ٩، ١٠ فتعول بمثل سدسها إلى٧ في ٤ مسائل:**

أ) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{2}{3}$ = $\frac{7}{6}$ في: زوج، أختين شقيقتين.

ب) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{3}$، $\frac{1}{3}$ = $\frac{7}{6}$ في: زوج، أم أخوين لأم (الإلزام)

ج) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{7}{6}$ في: زوج، أخت شقيقة، أخت لأب

د) إذا اجتمع $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{3}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{7}{6}$ في: أختين شقيقتين، أختين لأم، أم

* وتعول بمثل ثلثها إلى ٨ في ٣ مسائل:

أ) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{3}$ = $\frac{8}{6}$ في: زوج، أخت شقيقة، أم

ب) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{8}{6}$ في: زوج، أختين شقيقتين، أم

ج) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{8}{6}$ في: زوج، أخت شقيقة، أم، أخت لأم (المباهلة).

* وتعول بمثل نصفها إلى٩ في ٤ مسائل:

أ) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{9}{6}$ في: زوج، أخت شقيقة، أخت لأب، أخت لأم، أم.

ب) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{3}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{9}{6}$ في: زوج، أخت شقيقة، أختين لأم أم.

ج) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{9}{6}$ في: زوج، أختين شقيقتين، أخت لأم، أم.

د) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{3}$ = $\frac{9}{6}$ في: زوج، وأختين شقيقتين، أخوين لأم (المروانية)

* وتعول بمثل ثلثيها إلى ١٠ في مسألتين:

أ) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{3}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{10}{6}$ في: زوج، أخت شقيقة، أخوين لأم، أخت لأب، أم.

ب) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{3}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{10}{6}$ في: زوج، أختين شقيقتين، أختين لأم، أم (الشريفية).

**(٢) الاثنى عشر تعول ثلاث عولات على توالي الأعداد ١٣، ١٥، ١٧، بمثل نصف سدسها إلى ١٣ في مسألتين:**

أ) إذا اجتمع $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{4}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{13}{12}$ في: بنتين، زوج، أم.

ب) إذا اجتمع $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{4}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{6}$ = $\frac{13}{12}$ في: بنت، زوج، بنت ابن، أب.

* وتعول بمثل ربعها إلى ١٥ في مسألة واحدة

أ) إذا اجتم . . ع $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{4}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{6}$= $\frac{15}{12}$ ف . . ي: أخت . . ين ش . . قيقتين، زوج . . ة، أم، أخت لأم.

* وتعول بمثل ربعها وسدسها إلى ١٧ في مسألة واحدة

أ) إذا اجتم . . ع $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{3}$، $\frac{1}{4}$، $\frac{1}{6}$= $\frac{17}{12}$ ف . . ي: ٨ أخ . . وات ش . . قيقات، ٤أخ . . وات لأم، ٣زوجات، جدتان (أم الأرامل).

**(٣) الأربعة والعشرون تعول عولة واحدة بمثل ثُمنِها إلى ٢٧ في (المسألة المنبرية):**

أ) إذا اجتمع $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{8}$ = $\frac{27}{24}$ في: بنتين، أب، أم زوجة.

## التصحيح:

إذا لم تنقسم أنصبة وسهام فريق من الورثة على عدد رؤوسهم لزم التصحيح، وذلك بتعديل أصل المسألة، بضرب عدد الرؤوس× أصل المسألة أو عولها إن كانت عائلة.

**مثال:** زوج، ٥أخوات شقيقات، بيانها $\frac{1}{2}$، $\frac{2}{3}$ وأصلها من (٦) أي $\frac{3}{6}$، ٤، ٦ وتعول (٧) أي $\frac{3}{7}$، $\frac{4}{7}$، ولتصحيحها نضرب عدد الرؤوس للأخوات أي ٥ × العول أي ٧=٣٥، ويكون نصيب الأخوات هو $\frac{20}{35}$ ولكل واحدة منهن $\frac{4}{35}$ وهكذا [١]

## الرد:

بمعنى الرجع والصرف، وهو أن يقل مجموع الأنصبة أي كسور أصحاب الفروض عن الواحد الصحيح، فيلزم رد الباقي إلى ذوي الفروض النسبية عند عدم العاصب.

وقد أجازه عدد من الصحابة، ومنعه عدد آخر، وهناك رأي لعثمان يجيز الرد حتى على أحد الزوجين ودليله ﴿ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ﴾ (الأحزاب ٦).

ولما كان العول أي النقص قد دخل على جميع أصحاب الفروض، فمن العدل أن يكون الرد على الجميع أيضا نسبيا أو سببيا، ليكون الغنم على قدر الغرم، وقد أخذ قانون المواريث المصري بالرد على الجميع ومنهم الزوجان، وتتخذ مسائل الرد ثلاثة صور كالآتي:

(١) الورثة من أصحاب الفروض النسبين فقط، وليس فيهم أحد الزوجين، على ثلاثة أحوال:

- انفراد صاحب الفرض، بنت أو أخت واحدة، فتأخذ التركة فرضا وردا.

---

(١) دائرة معارف الشعب– علم الميراث– مج٥ ، ص١٦٠.

- تعدد أصحاب الفروض، من صنف واحد أي بنات أو أخوات فتوزع عليهم التركة بالتساوي فرضا وردا.
- تعدد أصحاب الفروض مع تعدد أصنافهم فتقسم عليهم التركة بنسبة فروضهم، والأصل في هذه الحالة هو عدد سهامهم.

مثال: بنت، بنت ابن، وبيانها $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{6}$، $\frac{1}{6}$ الأصل من (٦)، ولكن التركة ناقصة والمسألة مجموع كسورها أقل من الواحد الصحيح فيلزم رد الباقي وقدره $\frac{1}{6}$ وإعادة التوزيع بنسبة الفروض ٣: ١: ١ ومجموع السهام ٥ يعتبر أصلا جديدا.

(٢) الورثة من أصحاب الفروض النسبيين والسببيين (أي فيهم أحد الزوجين) الذي يأخذ نصيبه ثم يعزل. ويوزع الباقي على الورثة بنسبة فروضهم، أو يجعل أصل المسألة هو مخرج فرض أحد الزوجين.

**مثال:** زوجة، أم أخ لأم، والتركة ٤أفدنة وبيانها: $\frac{1}{4}$، $\frac{1}{3}$، $\frac{1}{6}$، أي (٤) ويجعل نصيب الزوجة فدان واحد والباقي ثلاثة أفدنة توزع بنسبة الفروض ٢: ١ أي للأم ٢ فدان ولأخ لأم ١فدان.

(٣) عندما ينفرد الزوج بالتركة دون أحد من العصبات ولا أُولِي الأرحام يأخذها فرضا وردا[١].

التخارج: هو تصالح الورثة على إخراج بعضهم من الميراث، وترك حصته مقابل شيء من التركة أو غيرها وحكمه أن الخارج يأخذ الشيء الذي تصالح عليه من التركة، ثم يقسم ما يبقي على باقي الورثة بنسبة أنصبتهم قبل التخارج[٢].

المناسخة: وهي أن يموت شخص وقبل أن تقسم تركته يموت شخص أو أكثر من ورثته، وسميت هذه العملية كذلك، لأن موت الشخص الثاني نسخ ما صحت منه المسألة الأولى، فهي نوع من التصحيح.

وحكمها: أن تقسم تركه المتوفى الأول بين ورثته، ثم يقسم نصيب المتوفى الثاني بين ورثته[٣].

## ميراث ذوي الأرحام:

ذو الرحم هو كل قريب ليس بصاحب فرض أو عاصب مثل: الجد غير الصحيح (أب أم)،

(١) دائرة معارف الشعب- علم الميراث- مج٥ ، ص١٥٦.
(٢) دائرة معارف الشعب- علم الميراث- مج٥ ، ص١٦٣.
(٣) دائرة معارف الشعب- علم الميراث- مج٥ ، ص١٦٣.

ابن البنت، بنت البنت، العمة، الخالة، الخال وأولادهم، واختلف في توريثهم على مذهبين: مؤيد وعليه أغلب الصحابة، ومانع وعليه زيد بن ثابت، ولكن المذهب الأول أولى وأخذ به القانون المصري.

## وأصنافهم:

أ) فروع بنات الميت.
ب) أصول الميت (الجد والجدة غير الصحيح).
ج) ذرية الإخوة.
د) العمات والخالات والأخوال وأبنائهم على تفصيل المراتب.

## وطريقة توريثهم:

- إذا انفرد أحدهم أخذ التركة كلها أو الباقي بعد أحد الزوجين.
- يقسم الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين إذا تساووا في كل شيء (الصنف والدرجة والانتساب للميت أي الإدلاء وحيز القرابة).
- عند التعدد يقدم مستحقو الصنف الأول، وإذا لم يوجدوا فمستحقو الصنف الثاني وهكذا.
- وإذا تعددت الأصناف فالأولى بالميراث هو الأقرب درجة، وإن تساوت كان الترجيح بالإدلاء[١]

## ميراث الغرقى والهدمى والحرقى:

إذا مات جماعة من شأنهم التوارث من بعضهم بسبب الغرق أو الهدم أو الحريق أو الوباء أو الحرب أو أي حادث، ولم يعلم أيهم مات أولا، جُعِلُوا كأنهم ماتوا معا، فلا يرث بعضهم من بعض، إنما يجعل ميراث كل واحد منهم لورثته الأحياء[٢]

## ميراث الخنثى المشكل:

وهو من التخنث بمعنى اللين والتكسر، وهو من له عضوي الذكورة والأنوثة معا أو ليس له شيء منهما فإذا أمكن ترجيح جانب على آخر مثل الحيض أو الحمل أو مكان البول فلا إشكال، والمشكل هو الذي لا يعرف أو يرجح فيعامل بأسوأ حالي الذكورة والأنوثة.

فتنقسم التركة على أنه ذكر مرة، وأنثى مرة أخرى ثم يعطي أقل النصيبين وما بقى يوزع

(١) السيد سابق- فقه السنة- ج٣-ص٤٤٦.
(٢) حسنين مخلوف- المواريث- ص١٩٧.

على باقي الورثة[١].

## ميراث ولد الزنا واللعان:

ولد الزنا هو الذي أتت به أمه من سفاح، وولد اللعان هو الذي نفى أبوه نسبه بسبب ملاعنة أمه بالصيغة المبينة في سورة النور.

وكل منهما مقطوع النسب من الأب، وينسب فقط إلى الأم، ويرث من جهتها: أي من أمه: ومن أخوته لأمه، وكذلك يرثونه[٢].

## ميراث المفقود والأسير:

وهو من غاب فانقطعت أخباره ولم تُعْلَمَ حياته من مماته، ولقد وضع الشارع أحكاما تبين حقوقه الثابتة واستحقاقاته التي قد يستحقها غيره من تركته، أي بيان الميراث في مال المفقود، وميراث المفقود في مال غيره، وقد اشترط لاعتبار المفقود ميتا مضى أربعة سنوات من تاريخ فقده، وفي الغيبة التي يظن معها بقاؤه حيا فوض الأمر للقاضي بعد التحري بكافة الوسائل للحكم[٣]

## ميراث الحمل:

يرث الحمل إذا وجد في بطن أمه عند موت مورثه، وانفصل حيا في المدة المحددة شرعا. ويختلف ميراثه وهو في بطن أمه عنه إذا انفصل كما يلي:

١) إذا انفصل حيا واستهل صراخا أو بكاءً أو عطاسا يرث، رواية أبو هريرة " إذا استهل المولود ورث".
٢) إذا انفصل ميتا- بغير جناية على أمه- فلا يرث ولا يورث.
٣) إذا انفصل ميتا- بسبب الجناية على أمه- يرث ويورث عند الأحناف.

## * وحالات الحمل في بطن أمه كما يلي:

١) لا يوقف له شيء من التركة متى كان غير وارث. مثل: زوجة، أب، أم حامل من زوج غير أبيه. فالمولود أخ لأم وهو محجوب بالأب فلا يرث شيئا.
٢) توقف التركة كلها إن لم يوجد معه وارث أصلا، أو معه ورثة محجوبون، أو ورثة غير محجوبين ورضوا بعدم القسمة حتى الميلاد.

---

(١) حسنين مخلوف- المواريث – ص ١٩٤
(٢) حسنين مخلوف- المواريث- ص١٩٦..
(٣) المرجع نفسه- ص١٩١- ١٩٤.

٣) كل وارث لا يتغير فرضه بتغير الحمل ذكرا أو أنثى يعطى له نصيبه كاملا ويوقف الباقي، مثل: جدة مع امرأة حامل ففرض الجدة هنا لا يتغير أبدا وهو السدس.

٤) كل وارث يسقط في إحدى حالتي الحمل ولا يسقط في الأخرى لا يعطي شيئا للشك في استحقاقه.

٥) كل وارث يختلف نصيبه من أصحاب الفروض باختلاف ذكورة الحمل وأنوثته، يعطي أقل النصيبين ويوقف للحمل أوفر النصيبين وإذا لم يكن يستحقه أخذ الأقل ورد الباقي على الورثة.

## الوصية الواجبة:

تزخر الحياة بمآسي مفجعة، فقد يتوفى شخص في حياة والديه وقد ترك ذرية ضعافا يطويهم العري والجوع والشقاء، وأترابهم من أبناء عمومتهم الأحياء يرفلون في فاخر الثياب متخمون بالشبع، ولا ذنب للمساكين غير أن أباهم مات في حياة جدهم ولا ميراث لهم، فأخذ العلماء برأي بعض أئمة السلف في حق أبناء الفرع المتوفى في حياة والده بمثل ما كان يستحقه نصيبا في ميراث والده لو كان حيا، بشرط ألا يكون وارثا بالفعل وألا يزيد المقدار عن الثلث، وتسمى الوصية الواجبة وصدر بها القانون رقم ٧١لسنة ١٩٤٦، وتقدم على الوصايا الاختيارية وفي حدود الثلث.

## ومستحقوها هم:

١) الطبقة الأولى من أبناء البنات أي ابن البنت وبنت البنت فقط.

٢) أولاد الأبناء من أولاد الظهور وإن نزلوا مثل ابن الابن وبنت الابن، وأيضا إبن إبن الإبن، ويراعي في مسائل الوصية الواجبة ما يلي:

- حل المسألة على فرض حياة الفرع الذي مات في حياة أبيه.
- تحديد نصيب هذا النوع.
- حذف هذا النصيب إذا كان في حدود الثلث، أو حذف الثلث فقط وإعطائه لصاحب الوصية.
- تقسيم الباقي- بعد الثلث المحذوف لصاحب الوصية الواجبة- على الورثة الباقيين بتوزيع آخر بصرف النظر عن الوصية الواجبة[١]

(١) حسنين مخلوف- المواريث- ص١٤ ، ٥٨.

# الفصل الثالث

# فرائض ومسائل مشهورة

علم الفرائض من أدق مباحث عمل الفقه وأهم أبوابه، وهو بحر لجي عاتي الموج، نخوض غماره بالاستعانة بمدد من الله وتوفيقه، وقد أفرده تأليفا ودرسا كثير من علماء السلف والخلف وكتبت فيه المطولات، حتى بالنظم شعرا، كما زخرت كتب المواريث ببعض المسائل المتشاكلة، والفرائض الدقيقة، التي اتسمت بخصوصية في أنواع ورثتها، أو في طريقة توزيعها، وكانت محل اهتمام صحابة الرسول ﷺ ورضي الله عنهم، ومثار جدل وأخذ ورد بين الفقهاء والعلماء، وذاعت بين الفرضيين، وسوف نتوفر على بعض هذه المسائل بالشرح المبسط، وبالبيان الجلي لعلنا نقرب منها إلى الأذهان ما بعد منالـه، وأكرم بها من رياضة للذهن والخاطر التي يعمل العقل بها في ميدان الفرائض التي حث الرسول ﷺ على تعلمها وتعليمها.

## ١- المسألة المشتركة:

وتعنى اشتراك الأخوة والأخوات الأشقاء مع الأخوة والأخوات لأم في فرضهم المقدر أي في الثلث باعتبار أنهم أبناء أم واحدة، وذلك في حالة عدم بقاء شيء من التركة للأشقاء يرثونه تعصيبا، ولما كان الإرث بالتعصيب أصله أن العصبات تأخذ الباقي بعد أنصبة أصحاب الفروض، ودليله " ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت فلأولى عصبة ذكر" رواه أحمد والشيخان والترمذي عن ابن عباس [1]، فمتى استغرقت الفروض التركة فلا شيء للعاصب مطلقا وقد اشتهر ذلك زمن الصحابة، وقضى بحرمان الأخوة والأشقاء عند استغراق الفروض، كل من: الفاروق عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب وابن مسعود وأُبَيْ بن كعب وأبو موسى الأشعري وغيرهم، وإلى هذا الرأي ذهب أبو حنيفة وأحمد. وفي العام القابل عرضت نفس هذه المسألة (زوج- أم- اثنان من الأخوة لأم- أخ شقيق- أخت شقيقة) على الفاروق عمر، فأراد أن يقضي بالرأي السابق فقال له الأخوة الأشقاء: يا أمير المؤمنين: لنا أب وليس لهم، ولنا أم كما لهم، فإن كنا حرمنا بأبينا، فَوَرِّثُونا بأمنا، كما ورثوا بأمهم، وهب أبانا كان حمارا أو كان حجرا

(١) المناوي- مختصر شرح الجامع الصغير- جـ ١٠ ، ص١٠٤.

ملقى في اليم، ألسنا قد تراكضنا في رحم واحدة؟ وقال عمر: صدقتم، وقضى باشتراك الأخ وة والأشقاء مع الأخوة لأم في الثلث المفروض لهم، وبهذا أخ ذ المالكي ة والشـ افعية، والقـ انون المصري.

## * وصورة هذه المسألة واحدة وأركانها هي:

زوج- صاحبة سدس (أم أو جدة)- إثنان أو أكثر من الأخوة والأخوات لأم- أخ شـ قيق أو أكثر سواء معه أخت شقيقة أو أكثر أو لم يوجدن. وبيانها:

للزوج $\frac{1}{2}$ لعدم وجود الفرع الوارث، وللأم $\frac{1}{6}$ لوجود عدد من الأخوة والأخوات ولهـ م $\frac{1}{3}$ فرضا، وقد استغرقت الفروض التركة بهذا الشكل، ولا يبقى شيء للعصبات، فحينئذ يشـ تركون مع الأخوة والأخوات لأم في الثلث جميعا بالتساوي. وسميت هذه المسألة المُشَرّكة أو المشتركة لتشريك الأخوة الأشقاء مع الأخوة لأم، كما سميت الحمارية أو الحجرية أو اليمية، لقول الاخوة الأشقاء لسيدنا عمر: هب أن أبانا كان حمارا أو كان حجرا ملقى في اليم[1]

## ٢- الغراوين:

وهما مسألتان ينحصر الميراث فيهما في أبوين (أب وأم) مع أحد الزوجين.

**الصورة الأولى:** زوج-أم- أب، وبيانها للزوج $\frac{1}{2}$ لعدم الفرع الوارث. للأم $\frac{1}{3}$ لعدم الفـ رع الوارث، للأب الباقي تعصيبا وقد بقي $\frac{1}{6}$، ويتضح هنا أن نصيب الأم $\frac{1}{3}$ ضعف نصيب الأب $\frac{1}{6}$ وهذا خروج غير جائز على قواعد الميراث(للذكر مثل حظ الأنثيين)

**والصورة الثانية:** زوجة- أم- أب، وبيانها للزوجة $\frac{1}{4}$ لعدم الفرع الوارث، وللأم $\frac{1}{3}$ لعـ دم الفرع الوارث، وللأب الباقي تعصيبا وهو $\frac{5}{12}$ وهنا أيضا خروج على قواعد الميراث حيث لـ م يأخذ الذكر مثل حظ الانثيين، لكن الفاروق عمر بن الخطاب قضى في هاتين المسألتين بأن تأخذ الأم ثلث (الباقي) بعد فرض أحد الزوجين ووافقه جمهور الصحابة ومنهم زيد بن ثابت، وهاتان المسألتان الوحيدتين في قسمة المواريث التي تأخذ فيها الأم ثلث الباقي فأصحاب الفروض فـ ي أي تركة دائما يأخذون فروضهم نسبة إلى كل التركة ما عدا في الغراوين تكـ ون نسـ بة إلـ ى الباقي، فكما جعل حق الابن والبنت مع أحد الزوجين هو الباقي بعد فرضه للـ ذكر مثـ ل حـ ظ الأنثيين، نقيس أصول الميت على فروعه في هذا الحالة، وبيان المسألة الأولى أن الأم تأخذ ثلث

(١) حسنين مخلوف- المواريث في الشريعة الإسلامية ، ص٧٧ ، وتفسير ابن كثيـ ر ، ط الحلبـ ي ، جـ . ١٠ ، ص٤٦.

الباقي بعد نصيب الزوج وفرضة النصف فيبقى نصف أخر عبارة عن $\frac{3}{6}$ وثلثه عبارة ع ن $\frac{1}{6}$ هو نصيب الأم، والأب يأخذ $\frac{2}{6}$ ولقد خالف الإمام عبد الله ابن عباس ﷺ الجمهور حيث ق ال: إن الأم تأخذ ثلث الكل، قد سميت هاتان المسألتان بـ الغراوين لشـ هرتهما كالكوك ب الأغ ر، وبالعمريتين لقضاء سيدنا عمر فيهما [1].

## ٣- المنبرية:

وهى عن: زوجة – ابنتين – أب – أم، وقد سأل عنهم الإمام على (كرم الله وجهه) وهـ و يخطب على منبر الكوفة، وقد سأله السائل متعنتا: أليس للزوجة الثمن؟ فأفتى من فوره " صـ ار ثُمنها تُسعا " على قافية الخطبة: الحمد لله الذي يحكم بالحق قطعاً، ويجزى كل نفس بما تسـ عى، وإليه المآب والرجعى، والمرأة صار ثُمنُها تُسْعا.

وبيانها للزوجة $\frac{1}{8}$ لوجود الفرع الوارث أي البنتين، وللبنتين $\frac{2}{3}$ فرضا وللأم $\frac{1}{6}$ وللأب $\frac{1}{6}$ لوجود الفرع الوارث والمسألة أصلها من ٢٤.

وتكون: $\frac{3}{24} + \frac{16}{24} + \frac{4}{24} + \frac{4}{24} = \frac{27}{24}$

وقد عالت إلى ٢٧ وبعد العول تكـ ون $\frac{3}{27} + \frac{16}{27} + \frac{4}{27} + \frac{4}{27} = \frac{27}{27}$ فصـ ار نصـ يب الزوجة هو $\frac{3}{27}$ أي $\frac{9}{6}$ أي صار فرضها (ثُمنها) تُسعا [2]

## ٤- الشُريْحِية: (ذات الفروخ):

### وهى عن زوج – أم– أختين شقيقتين – أختين للأم، وبيانها:

للزوج $\frac{1}{2}$ لعدم الفرع الوارث، للأم $\frac{1}{6}$ لوجود العدد من الأخوة، الأختـ ين الشـ قيقتين $\frac{2}{3}$، للأختين للأم $\frac{1}{3}$ وأصل المسألة من (٦) وتكون $\frac{3}{6}+\frac{1}{6}+\frac{4}{6}+\frac{2}{6}=\frac{10}{6}$ وقد عالت مسألة إلـ ى (١٠) وهو اكبر عدد تعول إليه الستة أي عالت بثلثي أصلها، وبعد العـ ول $\frac{3}{10}+\frac{1}{10}+\frac{4}{10}+\frac{2}{10}=\frac{10}{10}$ وسميت بذات الفروخ لكثرة ما فرّخت كما سُميت بالشريحية لأن شُـ ريح بـ ن الحـ ارث الـ ذي استقضاه سيدنا عمر على الكوفة ٢٢ هـ . ولم يزل بها حتى أيام الحجاج وقال عنه الإمام علـ ى: شريح أقضى العرب – قضى في هذه المسألة للزوج $\frac{3}{10}$ من تركة زوجته، فجعل الزوج يـ دور على القبائل مشنعا على شريح ويقول: لم يعطني شريحا النصف ولا الثلث، فجاء بـ ه شـ ريحا وعزره وقال له: أسأت القول وكتمت العول، ولقد سبقني إمام عادل ذو ورع – يريد عمر – إلى

---

(١) حسنين مخلوف – المواريث – ص٤٦

(٢) د . نجاشى على إبراهيم – أحكام الميراث – ص ٣٠٨

هذا الحكم [1].

## ٥- المباهلة:

وهى عن زوج – أم– أخت شقيقة، وبيانها للزوج $\frac{1}{2}$ لعدم الفرع الوارث، لـ لأم $\frac{1}{3}$ لعـ دم الفرع الوارث العدد من الأخوة، وللأخت الشقيقة $\frac{1}{2}$ لانفرادها، وأصلها من (٦) وتكـ ون: $\frac{3}{6}+\frac{2}{6}$ $+\frac{3}{6}=\frac{8}{6}$ وقد زادت الفروض عن التركة ولزم إنقاصها، ويقال إنها أول مسـ ألة عالـ ت فـ ي الإسلام وقد وقعت في خلافة سيدنا عمر، وقد سميت كذلك لأن ابن عباس بالغ في إنكار العول، وقال لزيد بن ثابت وهو راكب: "انزل حتى نتباهل، إن الذي أحصى رمل عالج عددا لم يجعـ ل المال نصفا وثلثا وثلثا، إنما هو نصفان، وثلاثة أثلاث، وأربعة أرباع[2] وقد قيـ ل للإمـ ام ابـ ن عباس: هلا ذكرت في زمن عمر؟ قال: كان مهيبا فهبته، وفي رواية: منعتني درته إذ لم يكـ ن قطعي.

## ٦- الإلزام (الناقصة):

وهي عن زوج– أم– أخوين لأم، وبيانها الوحيد والملزم هو $\frac{1}{2}+\frac{1}{6}+\frac{1}{3}$ بما يخالف مذهب بن عباس الذي يقضي بأن نصيب الأم لا يحجب نقصانا إلا بثلاثة فصاعدا من الأخـ وة ولـ يس باثنين، ولو جعل لها الثلث، وللإخوة لأم السدس فقد أنقص فرضهم خلافا لصريح القرآن: ﴿فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ﴾ (النساء ١٢)، ولو جعل لـ لأم الثلـ ث، وللأخـ وة لأم الثلث، بالإضافة إلى فرض الزوج النصف أي $\frac{1}{3}+\frac{1}{3}+\frac{1}{2}=\frac{7}{6}$ لعالت المسألة وهـ و لا يأخـ ذ بالعول كما بينا في المسألة السابقة، وعندئذ فانه ملزم بأن يفرض للزوج نصف، وللأم سـ دس، وللأخوين لأم ثلث بما يناقص مذهبه [3].

## ٧- الأخ أو القريب المبارك:

هو أخ يؤدي وجوده إلى مشاركة أخته في الإرث تعصيبا، أو قريـ ب (ابـ ن عـ م) لـ ولاه لسقطت الأنثى التي يعصبها، ومثاله: (ابن ابن وإن نزل) مع بنت ابن، وبنتين صلبيتين، وزوج، وأيضا (أخ لأب وان نزل) مع أخت لأب. وأختين شقيقتين وزوج، وفي كلا المثالين ابن الابـ ن

---

(١) السيد سابق – فقه السنة – جـ ٣. – ص ٤٤٣

(٢) د. نجاشي على إبراهيم– أحكام الميراث– المكتبة التوفيقية– ص ٣٨٧ ، الاختيار لتعليل المختار– الأزهر ص٢١٥.

(٣) حسنين مخلوف – المواريث – ص ٤٦ ، د.كزياد البرى– الوسيط في أحكام التركات– دار النهضة العربية– ١٩٧٣ ص١٩٧ ، الإمام محمد رشيد رضا– تفسير المنار– جـ ٤. ، ص٣٤١.

والأخ لأب يؤدي وجود كل منهما بركة لأخته، لأنه في حالة عدم وجوده لا ترث أخته، بسبب استيفاء فرض الثلثين بكل من البنتين الصلبيتين في المثال الأول أو الأختين الشقيقتين في المثال الثاني، وأما وجود هذا الأخ أو القريب المبارك فقد جعل أخته ترث بالتعصيب معه حسب قاعدة للذكر مثل حظ الأنثيين[1]

## ٨- الأخ أو القريب المشئوم:

وهو أخ يؤدي وجوده إلى حرمان أخته من الإرث ولولاه لشاركت من انفردت من صاحبات النصف: البنت الصلبية أو بنت الابن أو الأخت الشقيقة أو الأخت لأب، فأخذت مع أي منهما السدس تكملة للثلثين، مثاله (ابن ابن وإن نزل) مع بنت ابن- بنت صلبية- زوج- أم- أب، وبيانه: البنت الصلبية $\frac{1}{2}$ لإنفرادها، للزوج $\frac{1}{4}$ لوجود الفرع الوارث وللأم $\frac{1}{6}$، وللأب $\frac{1}{6}$ لوجود الفرع الوارث وقد استوفت المسألة فروضها وأصلها من (١٢) وبيانها:

$\frac{6}{12} + \frac{3}{12} + \frac{2}{12} + \frac{2}{12} = \frac{13}{12}$ فتعول إلى (١٣)؛ وحيث أنه من الثابت عدم إرث العصبات عند استغراق الفروض للتركة ولم يبق منها شيء، حينئذ تسقط بنت الابن مع أخيها ابن الابن المشئوم- الذي نقلها عن الإرث بالفرض إلى الإرث بالتعصب- فحرمت، ولو لم يكن هذا المشئوم موجودا لورثت هي بالفرض ففرض لها السدس مع البنت الصلبية المنفردة تكملة للثلثين ويكون البيان: للبنت الصلبية $\frac{1}{2}$ منفردة، لبنت الابن $\frac{1}{6}$ تكملة للثلثين، للزوج $\frac{1}{4}$ وللأم $\frac{1}{6}$ وللأب $\frac{1}{6}$ والمسألة أصلها من (١٢) وبيانها $\frac{6}{12} + \frac{2}{12} + \frac{3}{12} + \frac{2}{12} = \frac{13}{12}$ وهكذا تعول المسألة إلى (١٥).

وصورة أخرى للأخ المشئوم: (أخ لأب) مع أخت لأب-أخت شقيقه- زوج وبيانها: للأخت الشقيقة المنفردة $\frac{1}{2}$ وللزوج بدون الفرع الوارث $\frac{1}{2}$ ولم يبق شيء بعد استيفاء الفروض للتركة وقد نقل الأخ لأب أخته من الإرث بالفرض لترث معه بالتعصيب ولما لم يبق شيء من التركة فقد حرما معا، ولو لم يكن هذا الأخ المشئوم موجودا لشاركت الأخت لأب مع الأخت الشقيقة المنفردة صاحبة النصف، وأخذت السدس تكملة للثلثين أي نصيب الأختين، ولعالت المسألة وكانت من (٧) [2].

---

(١) منشاوي عثمان عبود- الوجيز في الميراث- الأزهر- ١٩٧٩- ص٢٤ ، د. نجاشي على إبراهيم – أحكام الميراث- ص٣٢٣.

(٢) د. نجاشي على إبراهيم- أحكام الميراث- ص٣٢٤.

## ٩- الأكدرية:

وهي عن: زوج- أم-جد- أخت (شقيقة أو لأب)، وبيانها للزوج $\frac{1}{2}$ لعدم الفرع الوارث، وللجد $\frac{1}{6}$، وللأم $\frac{1}{3}$، وللأخت $\frac{1}{2}$، وأصل هذه المسألة من (٦) فتكون $\frac{3}{6}+\frac{1}{6}+\frac{2}{6}+\frac{3}{6}=\frac{9}{6}$ فتعول المسألة إلى(٩) فتكون $\frac{3}{9}+\frac{1}{9}+\frac{2}{9}+\frac{3}{9}=\frac{9}{9}$ ويلاحظ لنا أن نصيب الجد أصبح ٩/١ وهو لا يجب أن يقل عن $\frac{1}{6}$، فتتم مقاسمة بين نصيب الجد والأخت $\frac{1}{9}+\frac{3}{9}=\frac{4}{9}$ تقسم بينهما بنسبة ٢: ١ أي للذكر مثل حظ الأنثيين، والأجزاء مجموعها ٣ فيكون نصيب الجد $\frac{4}{9}\times\frac{2}{3}=\frac{8}{27}$، ونصيب الأخت $=\frac{4}{9}\times\frac{1}{3}=\frac{4}{27}$.

واختلف في سبب التسمية على أقوال: بأن الزوجة المتوفاة كانت من بني أكدر، أو الزوج كان اسمه أكدر، وقيل أنها كدرت على زيد بن ثابت مذهبه، لأنه لا يفرض للأخوات مع الجد، ولا يعيل، بل يسقط الإخوة مع الجد إذا لم يبق لهم شيء، وفي هذه المسألة أعال زيد المسألة للأخت، وقاسم بينها وبين الجد فخالفت قواعده [١].

## ١٠- الخرقاء:

وهي عن: أم-جد- أخت شقيقة، وسميت كذلك لكثرة أقوال الصحابة (رضوان الله عليهم) واختلافهم فيها. وكأن الأقوال تخرقتها من كثرتها، وبيانها: للأم $\frac{1}{3}$ والباقي مقاسمة بين الجد والأخت والمسألة من٣ وتصح من ٩، للأم $\frac{3}{9}$ والباقي $\frac{6}{9}$ يقسم بنسبة ٢: ١ أي $\frac{4}{9}$، $\frac{2}{9}$ وفيها قال أبو بكر: للأم الثلث والباقي للجد.

- وقال زيد: للأم الثلث والباقي للجد والأخت أثلاثا.
- وقال علي: للأم الثلث وللأخت النصف والباقي للجد.
- وقال ابن عباس: للأخت النصف والباقي بين الأم والجد نصفان.
- وقال أيضا وهو قول عمر: للأخت النص وللأم ثلث الباقي والباقي للجد.
- وقال عثمان: للأم الثلث والباقي بين الأخت والجد نصفان.

وقد انفرد سيدنا عثمان بن عفان بهذا الرأي وخرق به الإجماع وبه سميت خرقاء، كما تسمى مثلثية عثمان، ومربعة مسعود، ومخمسة الشعبي، وقد سأله الحجاج بن يوسف عن هذه

(١) د.شوقي الساهي- عدالة الإسلام في أحكام المواريث- ص١٩٧ ، د.نجاشي على إبراهيم- أحكام الميراث- ص٣٨٣ ، محمد على الصابوني- المواريث- ص١١٠.

المسألة فقال: اختلف فيها خمسة من الصحابة وإذا أضيف إليها قول الصديق كانت مسدسة[1].

## ١١- ثلاثينية ابن مسعود:

من المسلم به أن المحروم لا يؤثر وجوده في حجب غيره لأنه كالمعدوم مثل الكافر والقاتل والرقيق، فلا أثر لوجودهم لعدم أهليتهم للإرث، ولكن من الروايات التي تنسب إلى عبد الله بن مسعود-وهو مذهب الظاهرية- أن المحروم يحجب غيره حجب نقصان، وهذه المسألة عن: زوجة-أم-أختين شقيقتين- أختين لأم- ابن (كافر أو قاتل أو رقيق)، فطبقا لرأي ابن مسعود فإن الإبن المحروم للمانع السابق لا يرث ولكن يحجب الأم نقصانا، فيكون للزوجة $\frac{1}{8}$، ولـلأم $\frac{1}{6}$. للأختين الشقيقتين $\frac{2}{3}$، وللأختين لأم $\frac{1}{3}$ وأصل المسألة من ٢٤ وتكون $\frac{3}{24}$+ $\frac{4}{24}$ + $\frac{8}{24}$ +$\frac{8}{24}$ = $\frac{31}{24}$ وقد عالت إلى ٣١ فتكون $\frac{3}{31}$ +$\frac{4}{31}$ +$\frac{16}{31}$ +$\frac{8}{31}$ = $\frac{1}{3}$ ومن أجل هذا العول سميت الثلاثينية.حيث أصبح أصل المسألة ٣١ [2].

## ١٢- الامتحان:

### وهي عن أربع زوجات- خمس جدات- تسع أخوات- سبع بنات، وبيانها:

للزوجات الأربع $\frac{1}{8}$ لوجود الفرع الوارث، وهم البنات السبع الذين يحصلون على $\frac{2}{3}$، وللجدات الخمس $\frac{1}{6}$ مهما تعددن، وللأخوات التسع ما بقى، فالمسألة من ٢٤ وتكون كالآتي:-

$\frac{3}{24}$ + $\frac{16}{24}$+ $\frac{4}{24}$ +$\frac{1}{24}$= $\frac{24}{24}$ ونظرا لعدم الموافقة أي التباين بين السهام أو الفروض وعدد الرؤوس للورثة، فيلزم التصحيح بضرب أصل المسألة في عدد الرؤوس أي=٤ زوجات× ٥جدات ×٩أخوات ×٧بنات= ١٢٦٠× ٢٤= ٣٠٢٤٠، ويمتحن فيها بلغز كالآتي: رجل ترك أصنافا من الورثة عدد كل صنف يقل عن١٠ولا تصح المسألة إلا بما يزيد على ثلاثين ألفا؟[3]

## متشابه الفرائض ومسائل المعاياة أو الألغاز:-

### أ- الدينارية

تركة من ٦٠٠دينار وعدد الورثة من بينهم أخت شقيقة ولا تأخذ إلا دينارا واحدا. وبيانها:-

زوجة- جدة- ابنتين- اثنى عشر أخا شقيقا- أخت واحدة شقيقة، فللزوجة $\frac{1}{8}$ لوجود الفرع

(١) د.نجاشي على إبراهيم- أحكام الميراث- ص٣٨٦ ، الاختيار لتعليل المختار- ص٢١٥.
(٢) د.زكريا البري- الوسيط في أحكام التركات- ص١٨٤ ، الاختيار لتعليل المختار- ص١٧٥.
(٣) الاختيار لتعليل المختار- ص٢١٧.

الوارث ٧٥دينار، وللجدة $\frac{1}{6}$=١٠٠دينار، وللبنتين $\frac{2}{3}$=٤٠٠دينار مناصفة، وللاثنى عشر أخا وأختا الباقي تعصيبا وقدره ٢٥دينار تقسم بالتعصيب للذكر مثل حظ الانثيين، للبنت سهم واحد وللولد سهمان: ١٢أخ × ٢سهم= ٢٤سهم +سهم واحد= ٢٥سهم. نصيب الأخوة ٢٤ دينار لكل واحد ديناران، وللأخت دينار واحد [١].

## ب- أم الأرامل:

رجل مات وترك ١٧ دينارا، ١٧ امرأة فأصاب كل امرأة دينار واحد. وبيانها: ٣زوجات- جدتان- ٨أخوات شقيقات- ٤أخوات لأم، فللزوجات الثلاث ربع لعدم الفرع الوارث، وللجدتين سدس بالتساوي، وللأخوات الشقيقات الثمانية ثلثين، وللأخوات لأم الأربعة ثلث، وتكون $\frac{3}{12}$ + $\frac{2}{12}$ + $\frac{8}{12}$ + $\frac{4}{12}$ = $\frac{17}{12}$ وقد عالت إلى ١٧ فتكون $\frac{3}{17}$ + $\frac{2}{17}$ + $\frac{8}{17}$ + $\frac{4}{17}$ = $\frac{17}{17}$ وقد كثر فيها الأرامل إلى ١٧ امرأة وليس من بينهم ذكر واحد ولذا سميت أم الأرامل[٢].

**أ) امرأة جاءت إلى قوم يقتسمون ميراثا، فقالت لهم: لا تقتسموا الآن فأنا حبلى، فإن ولدت أنثى ورثت، وإن ولدت ذكرا لم يرث.**

وبيانها: زوج أخت شقيقة- زوجة أب متوفى وامرأته حامل، فالحمل لا يرث إذا كان باعتباره أخ لأب يرث تعصيبا بعد أصحاب الفروض ولم يبق من التركة بعدهم شيء فالزوج أخذ النصف، والشقيقة أخذت النصف، أما إذا كان الحمل أنثى فترث باعتبارها أخت لأب تأخذ السدس فرضا تكملة للثلثين مع الأخت الشقيقة صاحبة النصف [٣].

**ب) امرأة جاءت إلى قوم يقتسمون ميراثا، فقالت لهم: لا تقتسموا الآن فأنا حبلى، فإن ولدت ذكرا ورث وإن ولدت أنثى لم ترث.**

وبيانها: بنت- وبنت ابن- وعم شقيق- زوجة أخ شقيق متوفى وهي حامل، فالحمل لا يرث إذا كان أنثى باعتبارها بنت أخ شقيق وهي من ذوي الأرحام الذين لا يستحقون ميراثا مع أصحاب الفروض والعصبات، أما إذا كان الحمل ذكرا فيرث باعتباره ابن أخ شقيق عصبة، يأخذ الباقي بعد أصحاب الفروض ويحجب العم الشقيق، وفي هذه الحالة يحفظ للحمل نصيبه لاعتباره ذكرا، أي للبنت نصف، ولبنت الابن سدس، وللحمل ثلث[٤].

---

(١) الاختيار لتعليل المختار- ص٢١٦.
(٢) المرجع السابق ص١٧٥.
(٣) الاختيار لتعليل- ص٢١٨.
(٤) نفس الصفحة من المرجع.

# الباب الثالث

# الفصل الأول

# قضاء الإمام

انفرد الإمام علي بن أبي طالب بعدد من المناقب والخصائص والفضائل التي اس تأثر بها بين الخلفاء الراشدين، وتعددت جوانب العظمة في شخصيته الفذة، حتى هلك فـ ي حبـ ه أنـ اس كثيرون كما هلك في بغضه أناس كثيرون، وعرف بألقاب هو لها أهل، وخليق بـ ه أن يتسـ مى بها، فهو: فتى الفتيان، وفارس الإسلام، وسابق المسلمين، وإمام المتقـ ين، والمجاهـ د الزاهـ د، والعالم العامل، ربيب الوحي، وسيد الفصحاء، وأبلغ الخطباء، ولا عجب في ذلك كله، فقد تربى في حِجْر النبوة، وتنسم عطر الإيمان، وغُذّي نفحات الرسالة، ونهل من معين النور، واستمع إلى آي الذكر الحكيم تتلى في بيت محمد ﷺ، فتجلت سمات العبقرية وأمارات النجابـ ة فيـ ه منـ ذ صغره، وظهر أثر تربية الرسول ﷺ له، فلم يسجد لصنم أبدا.

ولد داخل البيت الحرام قبل البعثة بعشر سنين، أمه فاطمة بنت أسد أول هاشمية تزوجـ ت من هاشمي، والتي قال عنها الرسول ﷺ " كانت أمي بعد أمي التي ولـ دتني" وزوجـ ه فاطمـ ة الزهراء سيدة نساء العالمين وأحب أهل بيت النبي ﷺ إليه، وولداه الحسن والحسين سيدا شـ باب أهل الجنة، وريحانتا المصطفى ﷺ حضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا غزوة تبوك عندما استخلف على المدينة المنورة، وكان أول من أسلم بعد السيدة خديجة (رضي الله عنها)، وعبد الله ﷻ معهما قبل أن يعبده غيره[1] " وإن كانت في ظروف من اسلموا قد تفاوتت من حيث قيمتها ومعناها الإنساني، واتحدت في خضوعها للمنطق والواقع، فإذا أسلم بعض الوجوه من قريش في أول الدعوة احتكاما للعقل وتخلصا من الوثنية، وإذا أسلم كثير من العبيد والأرقاء والمضطهدين طلبا للعدالة التي تتدفق بها رسالة محمد ﷺ، واستنكارا للجور الذي يلهب ظهورهم بسياطه، وإذا أسلم قوم بعد انتصار النبي ﷺ امتثالا للواقع، وتزلفا للمنتصر، فإن عليا بن أبي طالب قـ د وُلِـ د مسلما، لأنه من معدن الرسالة مولدا ونشأة ومن ذات الرسول خُلُقاً وفطرة[2].

## وينسب إلى الإمام شعر تحدث فيه بنعم الله وآلائه عليه:

(١) ابن الأثير المرزوق– أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ .٤، ٩١.
(٢) توفيق أبو علم– أهل البيت– ١٩٧٠، ص١٨٩.

محمد النبي أخ ي وصـ هري *** وحمزة سـ يد الشـ هداء عمـ ي
وجعفر الذي يُمْسِي ويُضَمْ حِي *** يطير مع الملائكـ ة ابـ ن أمـ ي
وبنت محمد سـ كني وعرسـ ي *** مشوب لحمها بـ دمي ولحمـ ي
وسبطا أحمـ د ولـ داي منهـ ا *** فـ .أيكم لـ .ه سـ .هم كسـ .همي
سبقتكم إلـ ى الإسـ لام طـ را *** صغيرا ما بلغـ ت أوان حلمـ ي
وصلت الصلاة وكنـ ت فـ ردا *** فمن ذا يـ دعي يومـ ا كيـ ومي

وفي هذه الدراسة أركز على جانب هام من شخصية الأمام، وهو العلم والفُتْيَا والقضـ اء وأعرض نماذج لقضائه وآرائه وفتاويه التي تؤكد وتدل على الذكاء والحكمة والفطنة.

قال رسول الله ﷺ: " أنا مدينة العلم، وعلى بابها، فمن أراد العمل فليأته من بابه "، وعبـ د الله بن العباس ترجمان القرآن وحبر الأمة يُسْأَل يوما: أين علمك من علم ابن عمـ ك؟ فيقـ ول:" كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط" (١).

روى أبو البَخْتُري، بسنده عن على: "بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، ولا علم لي به، قال: أُذْن، فدنوت فضرب على صدري بيده، ثم قال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، فوالذي فلـ ق الحبـ ة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعده" وعن على أنه قال: "سلوني قبل أن تفقـ دوني، فوالله لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم به، وعن كتاب الله، ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم جبل " (٢).

ولقد امتد العمر بعلي (كرم الله وجهه ورضي الله عنه)، فعاصر الخلفاء الراشدين من قبلـ ه وعاش من بعدهم، وأخلص لهم المشورة جميعا حتى اطمأن الفاروق عمر بن الخطـ اب رضي الله عنهـ ه واتخذه صديقا على الرغم من أنه كان يصغره بنحو عشرين عاما ووكل إليـ ه أمـ ر القضـ اء، واستطاع علي أن يخفف من شدة عمر المعروفة، وأن يشد أزره في وجه أصـ حاب المطـ امع الذين أغراهم الغنى المفاجيء بعد الفتوحات، وكان عمر دائما يستعيذ بالله من معضلة وليس لها أبو حسن، وعندما كانت تتوالى أقضية الإمام، وتترى فتاويه يكبر عمر ويكرر قـ ائلا:" لـ ولاك على لهلك عمر"، ويقول: " أقضانا علي" ويقول: لا يفتين أحد في المسجد وعلى حاضر" (٣).

ولم يكن من بين الصحابة من هو أقضى ولا أفقه ولا أقدر من علىّ على إخراج الأحكـ ام من القرآن الكريم والحديث الشريف والعرف المأثور، وقد كان رضي الله يتجاوز التفسير إلـ ى

(١) أبي الأثير الجزري- أسد الغابة- جـ ٤، ص١٠٠
(٢) أبي الأثير الجزري- أسد الغابة- جـ ٤، ص ٩٩
(٣) أحمد حسن الباقوري- على إمام الأئمة- ص١٦٩

التشريع كلما وجب الاجتهاد بالرأي الصائب والقياس الصحيح، وكان ذكاؤه وعلمه الغزير أدواته في الفتيا والقضاء، فكان لا يحكم بظاهر الأشياء ولا ينخدع بقشورها، وإنما يتحرى ما وراء الظاهر، ويعمد إلى جوهر الحقيقة نفسها، وكم ثبت له أن كثيرا من الظواهر ما يخدع وأن الباطن يخالف الظاهر.

ومن النماذج التي تؤكد قول الصادق المصدوق سيدنا رسول الله ﷺ في علي (كرم الله وجهه) أنه باب مدينة العلم، ودعاؤه ﷺ بثبات لسانه وهدوء قلبه أثر كثيرا في قضائه واجتهاده وفتاويه.

## ١) أقل الحمل ستة أشهر:-

ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره ما رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن أسحق بن يسار:" تزوج رجل امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه وذكر له ذلك فبعث إليها، فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها، فقالت لها: ما يبكيك؟ والله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط، فيقضي الله في ما شاء فأمر عثمان برجمها، فبلغ ذلك علي كرم الله وجهه فأتاه وقال: " ما تصنع؟ قال: وَلَدَتْ لتمام ستة أشهر وهل يكون ذلك؟ قال علي: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى قال: أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿حَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف١٥).وقال: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة ٢٣٣).وقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (لقمان١٤).

ومن ثم يبقى أقل الحمل ستة أشهر، قال عثمان: والله ما فطنت بهذا على المرأة، وأرسلوا في أمرها، فوجدوا قد فُرِغَ منها.

وهذا استنباط قوي صحيح من الإمام علي، وافقه عليه سيدنا عثمان بن عفان، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم. وقضاء صان للمرأة المسلمة حياتها وحفظ علها كرامتها.

## ٢) أم تجحد ابنها:-

ولقد استخدم الإمام علي (كرم الله وجهه) فطنته وذكاؤه، بأن أَمَرَ الابن أن يتزوج أمه التي تجحده حتى يستبين الحق ويظهر: فقد خاصم غلام أمه إلى عمر بن الخطاب فجحدته فسأله البينة، فلم تكن عنده، وجاءت المرأة بنفر فشهدوا أنها لم تتزوج، وأن الغلام كاذب عليها وقد قذفها، فأمر عمر بضربه الحد، فلقيه علي فسأله عن أمره، فلما أخبره دعاهم، ثم قعد في مسجد النبي ﷺ وسأل المرأة فجحدت، فقال للغلام: اجحدها كما جحدتك وأنا أبوك، والحسن والحسين

أخواك، فجحدها وأنكرها، فقال عَلِّي لأولياء المرأة: أمري في هذه المرأة جائز؟ قالوا: نعم وفينا أيضا، فقال علي: أشهد من حضر أني زوجت هذا الغلام من هذه المرأة الغريبة عنه، يا قنبر (غلام علي): ائتني بظنية فيها دراهم، فأتاه فعد أربعمائة وثمانين درها فقدمها مهرا لها، وقال للغلام: خذ بيد أمرأتك، ولا تأتنا إلا وعليك أثر العرس، فلما ولّى قالت المرأة: يا أبا الحسن، الله، الله، هو ابني، أباه كان زنجيا، وأهلي زوجوني منه، فحملت هذا الغلام، وخرج غازيا فقتل، وبعثت بهذا إلى حي بنى فلان فنشأ فيهم، ثم أَنِفْتُ أن يكون إبني، فقال علي: " أنا أبو الحسن"، وألحق الغلام بأمه وثبت نسبه[1].

وهذه القصة مشابهه لقصة الطفل الذي تنازعته امرأتان عند سيدنا داود عليه السلام فأمر به للكبرى، فاستجارت الصغرى بسيدنا سليمان عليه السلام ولم ترض الحكم، فأمر أن يشق الطفل نصفين فأبت الأم الحقيقية ذلك بعاطفتها، وطلبت أن يعطى كله معافا للأخرى، فظهر الحق، وزهق الباطل وألحق الطفل بأمه الحقيقية.

## ٣) حيلة امرأة:

روى الأمام جعفر الصادق عن جده الإمام علي كرم الله وجهه...

أتى عمر بن الخطاب ﷺ بامرأة تعلقت بشاب من الأنصار كانت تهواه، فلما لم يُطِعْها احتالت عليه، فأخذت بياض بيضة وألقته على ثوبها وبين فخذيها ثم جاءت بالشاب إلى عمر صارخة وقالت: إن هذا الرجل قد غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله، فهم عمر بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري فوالله ما أتيت فاحشة، ولا هممت بها، لقد راودتني عن نفسي فاستعصمت، فقال عمر رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه).. يا أبا الحسن: ما ترى في أمرهما؟ فنظر على (كرم الله وجهه) إلى المرأة يقرأ صفحة وجهها، ونظر إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء شديد الغليان، فصبه على الثوب فجمد ذلك الشيء، ثم أخذه واشتمه وذاقه، فعرف رائحة البيض وطعمه، وزجر المرأة فاعترفت: فأطلق الشاب البريء، وأقيم عليها حد القذف.

فلم ينخدع الأمام بظاهر ما ألقي على ثوبها وبين فخذيها، ولا بعالي صراخها، بل تحرى ما وراءه إلى جوهر الحقيقة ذاته[2].

## ٤) إدعاء الابن من أجل الميراث:

(١) أحمد حسن الباقوري إمام الأئمة، دار مصر للطباعة، ص٢٤٣، المستشار/ جميل بسيوني- اصل الإثبات شرعا ووصفا، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٨٠ ص٤٩.
(٢) علي أمام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي، مكتبة غريب، ج .١،ص١٠٧.

عرض عمر على عَلِيّ ﷺ أن رجلا أتاه، وذكر أن رجلا آخر أودعه امرأتين له فلما كان من هذه الليلة وضعتا جميعا، إحداهما إبنا، والأخرى بنتا، وكلتاهما تدعي الابن، وتنفي البنت لمضاعفة نصيب الذكر، فدعا علي بقدحين وقال لإحدى المرأتين: احلبي، فحلبت، ثم قال للأخرى: احلبي فحلبت نصف لبن الأولى، فقال لها: خذي أنت ابنتك، وقال للأولى: خذي أنت ابنك، ثم قال: لبن البنت على النصف من لبن الولد، وميراثها نصف ميراثه.(١)

وهذا من الإمام اجتهاد صائب، وقياس صحيح على ناموس السماء وما جاء به القرآن الكريم ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء١١).

## ٥) تهمة واحدة وأحكام مختلفة:

يروى أنه جيء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بخمسة نفر أخذوا في قضية زنا، فأمر ﷺ أن يقام على كل واحد منهم الحد، فجاء الإمام (كرم الله وجهه) فقال: ليس هذا حكمهم يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: أقم أنت الحد عليهم يا أبا الحسن، فقام فَقَدّم واحدا منهم فضرب عنقه، ثم قدم الثاني فرجمه، ثم قدم الثالث فضربه الحد، ثم قدم الرابع فضربه نصف الحد، ثم قدم الخامس فَعَزّرهَ، ولما تحير أمير المؤمنين وتحير الناس معه، قال الإمام، أما الأول فكان ذميا خرج عن ذمته فلم يكن له حكم إلا السيف، وأما الثاني فرجل محصن فكان حده الرجم، وأما الثالث فغير محصن فحده الجلد، وأما الرابع فعبد ضربناه نصف الحد، وأما الخامس فمجنون مغلوب على عقله عَزّرْنَاه.(٢)

## ٦) سارق معترف:

أقر رجل السرقة أمام الإمام، فقال له: أتقرأ شيئا من القرآن؟ فقال الرجل نعم أقرأ سورة البقرة، فقال الإمام: لقد وهبت يدك لسورة البقرة، فقال الأشعث الكندي: أتعطل حدا من حدود الله يا أمير المؤمنين؟ قال وما يدريك ما هذا؟ إن البينة إذا قامت فليس للأمير أن يعفوا، ولكن الرجل إذا أقر على نفسه، فذاك إلى الإمام إن شاء عفا، وإن شاء قطع.

" والفرق في ثبوت التهمة في الحالين: من طريق البينة وطريق الإقرار، أن العفو في حال البينة ربما أوقع النفوس نوعا من الارتياب في الشهود والتجريح لهم، وفي ذلك فساد كبير، أما العفو عن المذنب في إقراره بالذنب، فلعله أن يكون من قبيل إقالة أهل المروءات عسراتهم، أو تألف قوم تنتفع الأمة بتأليفهم " (٣)

---

(١) علي إمام الأئمة– الياقوري، ص٢١٦.
(٢) أحمد حسن الباقوري– على إمام الأئمة– ص١٨٧.
(٣) المرجع السابق،ص ١٨٩.

(١) وقد كان قضاؤه – كرم الله وجهه– في السارق إذا قبض عيه وقد أخ ذ المتـ اع دون أن يخرج به من البيت، ألا يُحَدْ، فقال: ليس على هذا قطع حتى يخ رج بالـ ذي سـ رق مـ ن الدار[١].

(٢)تحديده الحين بستة أشهر: جيء إليه (كرم الله وجهه) برجل نذر أن يصوم حينا من الدهر ولم يعين وقتا محدودا فقضى الإمام أن يصوم الناذر ستة أشهر، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّـ مَاء تُـ ؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم ٢٥).

وقد وردت كلمة حين في القرآن الكريم٣٤مرة[٢]، وقد تعددت معانيها، وجماع هذه المعاني أن الحين وقت بلوغ الشيء وحصوله، وهو مبهم المعنى، إنما يخصصه ما يضاف إليه:

- قد يجيء بمعنى أجل الشيء، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (يونس ٩٨).
- وقد يجيء بمعنى الوقت من ليل أنهار، مثل قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُـ ونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (الروم١٧، ١٨).
- وربما ذكر أهل العلم أن هذه الآية من هذه السورة، قد حـ ددت أوقـ ات الصـ لوات الخمس.
- تجيء للزمان المطلق، مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (الانسان١) وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ = هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ = وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص٨٦ . ٨٨)

فالحين في هذه الآيات ليس محددا بوقت معين، ولكن يفهم بحسب الأحوال المسـ تفادة مـ ن إضافة الكلمة إلى ما بعدها أو إلى القرائن من الوقائع والأحداث في الزمان والمكان.

وعلى ذلك جاءت الآية في سورة إبراهيم مشيرة إلى النخلة، وكلمة حين مقترنـ ة بالنخلـ ة وتعني الوقت من جداد النخلة وقطع ثمرتها إلى استئناف حملها من جديد، ومقدار ذلك ستة أشهر كما جاء في تفسير الإمام (كرم الله وجهه).[٣]

## ٧) في رجل يحب الفتنة:

ويروى أن رجلا أُتِيَ به لعمر بن الخطاب ﷺ، وكان قد صدر منه إلى جماعة من الن ـاس

(١) المرجع السابق، ص٢٠٥.
(٢) محمد فؤاد عبد الباقي– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٢٢٢.
(٣) أحمد حسن الباقوري – على إمام الأئمة ،ص ٢٠٠.

وقد سألوه: كيف أصبحت؟ قال؟ أصبحت أحب الفتنة، وأكره الحق، وأصدق اليهود والنصارى، وأومن بما لم أر. وأُقِرُّ بما لم يُخْلَق، ولِيَ في الأرض ما ليس لله في السماء، فأرسل عمر إلى علي ﷺ فلما جاء أخبره بما قاله الرجل. فقال: لقد صدق[1]:

يحب الفتنة، لقوله تعالى﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن: من الآية١٥)

ويكره الحق، لقوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (قّ: من الآية١٩)

ويصدق اليهود والنصارى، لقوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ (البقرة: من الآية١١٣)

وله في الأرض ما ليس لله في السماء، له زوجته وولده، وتعالى سبحانه عن ذلك علوا كبرا ﴿لم يَلد ولم يُولد﴾ (الإخلاص ٣).

ويؤمن بما لم يرَ، يؤمن بالله عز وجل، ويقر بما لم يخلق بعد، يعني الساعة.

فقال عمر " لا أبقاني الله لشدة لست لها، ولا لبلد لست فيه".

## ٨) الفرائض:

ويدل على سرعة البديهة والفطنة والذكاء، فضلا عن الحذق والعلم بالنصوص والأحكام والخبرة والتمكن من حساب المواريث:

أن امرأة جاءت إليه وشكت أن أخاها مات عن ستمائة دينار، ولم يقسم لها في ميراثه سوى دينار واحد، فقال لها الإمام: لعله ترك زوجة وابنتين وأما

واثنى عشر أخا وأنت، فكان كما قال، وتسمى الدينارية وسبق دراستها[2]

وسئل يوما في أثناء الخطبة عن ميت ترك زوجة وأبوين وابنتين، فأجاب من فوره: صار ثمنها تسعا، وسميت هذه الفريضة بالمنبرية حيث أفتى بها وهو على منبر الكوفة وقد سبق دراستها مع الفرائض المشهورة[3].

وفى كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي ونسبه إلى كلام الإمام على يقول فيه: رأيت كلامه ﷺ يدور على أقطاب ثلاثة:

١- الخطب والأوامر.

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٥.

(٢) انظر ص ١٨٦ من هذا البحث

(٣) انظر ص ١٥٦ من هذا البحث

٢- الكتب والرسائل

٣- الحكم والمواعظ

وقد وردت فيه رسالة مشهورة بعث بها إلى مالك بن الحارث الأشتر النخعي حين ولاه مصر: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر، جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها، أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر في كتابه من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا بإتباعها، ولا يشقى أحد إلا مع جحودها، وأن نصر الله ﷻ بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من ينصره، وأعز من أعزه، وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات، ويزعها عن الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا من رحم الله. (١)

ثم أخذ أمير المؤمنين على يفصل ما أجمل، وفى أمر القضاء وجه الوالي مالكا وقال له: " ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك من نفسك، ممن لا تضيق بهم الأمور وتمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا عرفه، ولا تشف نفسه على طمع، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه، أوقفهم بالشبهات وأخذهم بالحجج..... إلى أن يقول: ثم أكثر تعاهد قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزله لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، وانظر في ذلك نظرا بليغا(٢).

وتعتبر هذه الرسالة أطول ما كتبه الخليفة إلى أحد عماله وأجمعها للمحاسن، وأكثرها علما، وحرى بها أن تكون وثيقة سياسية تضبط موازين الأمور لو أنها طبقت في عصرنا هذا المضطرب المتمزق والمتوتر والذي يموج بالتناقضات، وهى أيضا تبيان للمبادئ الشرعية في سياسة أمور الدولة وقاموس للتعامل بين المواطنين يهتدي به كل من الراعي والرعية على السواء، وقد أوردنا منها هذا الجزء اليسير يتعلق بالقضاء.

## ومن خطبة طويلة له ﷺ يصف فيها المتقين قال:

" المتقون هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها..... ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزما في لين، وإيمانا في يقين، وحرصا في علم، وعلما في حلم، وقصدا في غنى، وخشوعا في عبادة، وتجملا في فاقة، وصبرا في شدة، وطلبا في حلال، ونشاطا في هدى، وتحرجا عن طمع،

(١) نهج البلاغة – شرح الأمام محمد عبده- تحقيق عاشور والبنا – طبعة دار الشعب، ص ٣٣٣.

(٢) نفس المصدر- ص ٣٣٩

يعفو عمن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه، نفسه منه في عناد، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه[١].

## * وأختار بعضا من أقواله المأثورة وهى قطرة من بحر:-

- كل وعاد يضيق بما جعل فيه، إلا وعاء العلم فإنه يتسع.
- قيمة كل امرئ ما يحسن.
- لم يذهب من مالك ما وعظك.
- إذا أقبلت الدنيا على المرء أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.
- ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات قلبه.
- من وضع نفسه مواضع التهمة، فلا يلومن من أساء الظن به.
- من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.
- سيئة تسوءك خير عند الله من حسنة تعجبك.
- اتق الله بعض التقى وإن قل، واجعل بينك وبينه سترا وإن رق.
- الناس أعداء ما جهلوا.
- الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.
- لا تستح من إعطاء القليل فالحرمان أقل منه.
- العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى.
- مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة.
- المال مادة الشهوات.
- أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله.
- ما أكثر العبر وأقل الاعتبار[٢].

## وقد نسب إليه من مأثور الشعر قوله:

أيها الكاتب ما تكـ . تب مكتوب عليك
فاجعل المكتوب خيراً ... فهو مردود إليك[٣]

---

(١) نفس المصدر – ص ٢٤١.
(٢) نفس المصدر – ص ٣٦٦.
(٣) ديوان الإمام على– دار الكتب العلمية– بيروت – ص ١٤١.

# الفصل الثاني

# أويس القرني في الزاهدين

الزهد لغة ضد الرغبة والحرص علي الدنيا، ويزهد زهدا فهو زاهد من قوم زهاد، والتزهيد في الشئ وعن الشئ خلاف الرغبة فيه، وزهده في الأمر أي رغبة عنه، هكذا قال صاحب لسان العرب.

ولم يرد لفظ الزهد أو مشتقاته في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف ٢٠)

" ويصل السري القطي، من متصوفة القرن الثالث الهجري، الزهد بالقرآن، فيرى أن مداره كله في الآية ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد ٢٣)، ويشرح ذلك بقوله: إن الزاهد لا يفرح بموجود، ولا يتأسف علي مفقود، فالذي يسره وجود شئ ويحزن لفقده هو عبد أسير لما أفرحه بقاؤه أو أحزنه فقده، وثمرة ذلك كله حرية النفس الحقيقية والسمو بها عن الخضوع والإذعان للشهوات المادية والمعنوية.[١]

## * ويقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين:

" الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين إلى طريق الله، وهو انصراف الرغبة عن الشئ إلى ما هو خير منه، بشرط أن يكون المرغوب فيه مطلوبا في نفسه، فالزهد رغبة عن محبوب إلى ما هو أحب منه، لأن ترك المحبوب بغير الأحب محال [٢].والإمام القشيري (ت٤٦٥هـ .) يحدد هذه المقامات ويرتبها: التوبة، والورع، والزهد، والصبر، والتوكل، والرضا، ويبين أن الزهد أشهر هذه المقامات ويتوسطها بما يعنى احتواؤه معانيها جميعا.[٣]

## ذم الدنيا:

زَهّدَ الله الخلق في الدنيا بقوله تعالى ﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (النساء ٧٧)، وخير الزاهدين هو الرسول ﷺ الأطيب الأطهر وصاحب الأسوة الحسنة،

---

(١) د. مصطفى الشيبي- الصلة بين التصوف والتشيع- دار المعارف، ص ١٠٠.
(٢) الغزالي- الأحياء- جـ .١٣، ص ٢٤٣٥.
(٣) د. إبراهيم بسيوني- الإمام القشيري- مجمع البحوث الإسلامية، ص ٢٣٧.

عرضت عليه جبال مكة ذهبا فأبى، وقال: أشبع يوما فأشكر وأجوع يوما فأصبر، وق د ع رف الدنيا وقدرها عند الله لا تساوى جناح بعوضة، فأبغضها وحقرها وحث كثيرا علي ذمها، إذ قال: " من أُشْرِب قلبه حب الدنيا وركن إليها، التاط (التصق) منها بشغل لا يفرغ عناه، وأمل لا يبل غ منتهاه وحرص لا يدرك مداه " [1]

وكان ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف نعله، ويرقع ثوب ه، ويرك ب الحمار العاري، وكان يعيش أهله كفافا (لا فضل فيه ولا نقص)، فما شبع أهله ﷺ من خبز شعير يومين متتالين، وتمز الأهلة والشهور ولا يوقد في بيته نار، وكانوا يعيشون عل ي الأس ودين: التمر والماء.

وأُثِرَ عن الإمام على بن أبى طالب، ربيب بيت الوحي، أنه قال: الدنيا دار أولها فناء، ف ي حلالها حساب وفي حرامها عقاب، فخبرها إلي انقطاع ونعيمها إلي زوال.[2]

ولقد شُبِّهَتْ الدنيا تشبيهات مختلفة: بعجوز شمطاء وحية ملساء رقطاء وعقبة كأداء، عل ى أن أبلغ التشبيهات ما ورد في البيان المعجز أن الدنيا تُشَبَّهُ بالماء، فمن يأخذ منه ق در حاجت ه ينتفع به، وما زاد يضره، وطبيعة الماء إذا أطبقت كفك لتحفظه لم يحصل منه ش يئاً، وك ذلك الدنيا، ولها ظاهر وباطن، ظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها، أم ا باطنها فإنها معبر للآخرة.[3]

قال وهب بن منبه (ت ١٠هـ .) فيما ناجى الله به موسى: زهرة الحياة الدنيا زينة المترفين، ولم يتزين العباد بزينة أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا، فهو زينة الأبرار، وأنقى ما تزين به العباد لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، سيماهم النحول والسجود، أولئك أوليائي حقا، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذلل لهم قلبك ولسانك.

قال الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ .): الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين.

وأحد هؤلاء العارفين يقول: لو كانت الدنيا بأسرها لرجل ما كان بها غنيا، لأنها تفنى، كما يحكى أن إبراهيم بن أدهم (ت ١٦٢هـ .) وهو من كبار الزهاد قيل له: إن اللحم قد غلا س عره، فقال لهم: أرخصوه أي لا تشتروه، وقال:

---

(١) أبو الحسن البصري الماوردي- أدب الدنيا والدين- تحقيق مصطفى السقا- مطبعة مصطفى الحلبي- ١٩٧٣، ص ١١٤.

(٢) نهج البلاغة- ص ٨٦.

(٣) الغزالي- الإحياء- جـ .٩، ص ١٧٢٥وما بعدها.

وإذا غلا شئ علي تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

ومعروف أن الإقبال والتهافت علي شراء سلعة ما يرفع سعرها والعكس صحيح، وهذه رؤية اقتصادية لقوانين العرض والطلب وعلاقتها بالأسعار.

إن الزهد صورة أصلية في الإسلام اصطبغت بصفات الفقراء والعبيد، حتى كان مسلمو الصدر الأول والخلفاء يلبسون اللباس الخشن، ويأكلون الطعام البسيط، ولم يكن ذلك نوعا من العبادة الزائدة، وإنما كان من طبيعة الإسلام التي تقمصت نفوسهم، ولو لم تكن تلك الطبيعة أصيلة لرأينا مظهر المسلمين يتبدل بعد اتساع الفتوحات شرقا وغربا مما تحقق في عهد الخليفة الزاهد المخشوشن عمر بن الخطاب، بل أصبح الزهد ألصق بالخليفة والمحيطين به.

## يقول صاحب الحلية انتهى الزهد إلي ثمانية من التابعين:

أويس القرني- هرم بن حيان ألعبدي- الحسن بن أبى الحسن أبو سعيد البصري- الربيع بن خيثم أبو يزيد- عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني- مسروق بن الأجدع- عامر بن عبد الله بن عبد قيس العنبري البصري- الأسود بن يزيد أو عمرو النخعي.[1]

## ومن هؤلاء الزاهدين أويس القرني:

في هذا الموكب الزهد، يذكر أويس القرني، وقد ورد في حقه حديث للرسول ﷺ: عن أسير بن عمر ويقال ابن جابر، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبرّه، فان استطعت أن يستغفر الله لك فافعل " عن عمر بن الخطاب رواه مسلم في باب الفضائل.[2] وأيضا يقول ﷺ " إن خير التابعين رجل يقال له أويس".

## * فمن يكون أويس هذا؟:

هو أويس بن عامر القرني من مراد ثم من قرن توفى ٣٧هـ ./ ٦٥٨م أدرك النبي ﷺ، ولم يره، كما يقول ابن الأثير الجزري صاحب أسد الغابة في معرفة الصحابة، وهو رجل من سادات التابعين وأكابر الزهاد[3]، ناسك عابد تقي ورع، كان أشهل ذا صهوبة لحيم، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، أدم شديد الأدومة، محلوق الرأس، كث اللحية، متهيب النظر، رث

(١) أبو نعيم – الحلية – جـ .٢، ص ٨٧.
(٢) صحيح مسلم- جـ .٢، ص٤١٤.
(٣) ابن الأثير الجزري- أسد الغابة – جـ .١، ص ١٧٩.

الهيئة، لا يؤبه له، ولا يلتفت إليه، يتزر بإزار خشن من صوف، بل كان لباسه أحيانا مما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية والرقاع فيغسلها، ويلصق بعضها إلي بعض ثم يلبسها، وفي أحيان أخرى كان يحبسه العرى، ووكان طعامه أن يلتقط النوى، وكلما أصاب حشفة (أردأ التمر)، خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف، باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته، وكان أهله يظنونه مجنونا، لشدة تضييقه علي نفسه، فبنوا له قوصرة (خُصًّا) يعيش فيه علي باب الدار، وكانت تأتى عليه السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها، وكان يخرج أول الأذان، ويأتي إلي منزله بعد العشاء الآخرة، وكان الصبية يسخرون منه، ويقذفونه بالحجارة.[1]

وأويس بصفاته هذه، رجل مجهول في الأرض، لكنه معروف في السماء من أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وزيفها، أعرض عنها بقلبه، وأمات ذكرها في نفسه، وَغيَّبها عن عينه، فاتخذ الأرض بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والقرآن شعارا، والدعاء دثارا، وأحبه الرسول ﷺ دون أن يره بعيني رأسه ولكنه رآه من نافذة الإيمان التي يرى من خلالها ما لا تراه العيون الباصرة، ولكن تحسه البصائر، وَحَدّثَ عنه صدقا وحقا، فهو لا ينطق عن الهوى وحدث عنه صدقا وحقا، فهو لا ينطق عن الهوى، وأخبر أصحابه عمر وعليا حديثه وأمرهما أن يطلبا منه أن يستغفر الله لهما، فقد عرف الله، وفقه دينه، ويعرفان أنهما سيلتقيان بأويس في أحد مواسم الحج، وبعد أن صعد الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى يجدُّ الصديقان في البحث عن أويس إنفاذاً لأمر الرسول ﷺ ووعده وسعيا للقاء أويس، وطلبا في أن يستغفر الله لهما، ويطول الانتظار ويعظم الشوق، حتى ولى الفاروق عمر الخلافة بعد أبى بكر، ويهرع عمر وعلى لاستقبال قوافل الحجيج القادمة من اليمن، ويسألان عنه بين الأمداد والأعوان، ويحددان صفته، ويعجب أصحاب القافلة من أمر الخليفة عمر، وابن عم الرسول ﷺ على بن أبى طالب وهما من هما في ميزان الإسلام وطريق الدعوة والجهاد في سبيل الله، كيف يهتمان بمثل من تنطبق عليه هذه الأوصاف، إنه فتى خامل الذكر، شارد الفكر، يرعى غنم القافلة! ولكنه التوجيه النبوي، ويكون اللقاء عظيما بين عمر وعلى وأويس، فيعرفهما ويحييهما ويبكون ويصلون على الرسول ﷺ ويطلبان من أويس أن يستغفر الله لهما، فيفعل، ويسأله عمر: أين تريد؟ فيقول: الكوفة، ويقول عمر: ألا أكتب إلى عاملها أوصيه؟ قال أويس: لا وأكون في غبراء الناس وفقرائهم وضعفائهم أحب إلى، وينصرف الصديقان ويذهب أويس إلى حاله.

ولما كان العام المقبل لقي الخليفة عمر بن الخطاب بعض أشراف العراق من أهل الكوفة في الحج فسألهم عن أويس فقيل له: وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين؟ والله لقد تركناه رث

(1) أبو نعيم – الحلية– جـ ٢، ص ٨١، الغزالي– الإحياء– جـ ٩، ص ١٧٣٩.

البيت قليل المتاع، وما فينا أوحش ولا أدنى منه، فبكى الخليفة ﷺ، ثم قال: ما قلت ما قلت، ولا سألت ما سألت إلا لأني سمعت الرسول ﷺ يقول عن أويس: " يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر"، ويسمع الفقيه هرم بن حيان قول الخليفة وحديث الرسول ﷺ عن أويس فيذهب إلى الكوفة يطلبه ويسأل عنه، حتى لقيه جالسا على شاطئ الفرات، يتوضأ ويغسل ثوبه، وقد عرفه من النعت الذي نعت له فمد يده ليصافحه فأبى أويسا، فقال له هرم والعبرة تخنقه من فرط حبه والرقة عليه:

- رحمك الله يا أويس وغفر لك، كيف أنت؟ وبكى هرم، فبكى أويس، ثم رد عليه:
- وأنت حياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي؟ ومن دلك على؟
- قال هرم: الله، قال أويس: لا اله إلا الله سبحان الله ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا﴾ (الإسراء ١٠٨)، ويعجب هرم حين عرفه أويس، ولم يره من قبل فيسأل: كيف عرفت اسمي واسم أبى وما رأيتك قبل اليوم؟
- قال نبأني العلم الخبير، وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك، لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد، والمؤمنون يعرفون بعضهم بعضا، يتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا، يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل، فقال هرم: ادع لي وأوصني وصية أحفظها عنك، فأخذ بيده ثم قال: أعوذ بالله السميع العلم من الشيطان الرجيم، ربي الله، والحق قول ربى، وأصدق الحديث حديثه، وخير الكلام كلامه ثم تلا: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ = مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ = إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ = يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ = إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الدخان ٣٨-٤٢).

وعندها شهق شهقة حتى كاد أن يغشى عليه، ثم قال: وصيتي إليك كتاب الله وسنة سيد المرسلين وصالحي المؤمنين لا يفارق قلبك ذكر الله طرفة عين ما بقيت، وعليك بتذكر الموت، توسده إذا نمت، واجعله نصب عينك إذا قمت وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح الأمة جميعا، وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر، فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة، إن الأمر المعروف والنهى عن المنكر لم يدع للمؤمن من صديق، فكلما أمرتهم بالمعروف شتموا أعراضنا، ووجدوا على ذلك أعوانا فاسقين، ولا ينال هذا الأمر حتى يكتب المرء كأنه قتل الناس جميعا. ثم قال: اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك، وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة، وأدخله علىّ في دارك دار السلام، واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان، وضم عليه ضيعته، وأرضه من الدنيا باليسير، وما أعطيته منها فيسره له تيسيرا، واجعله لما أعطيته من

نعمائك من الشاكرين، وأجزه عنى خير الجزاء.[1]

وأستودعك الله يا هرم بن حيان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولا أراك بعد اليوم تطلبني فإني أكره الشهرة، والوحدة أحب إلى، إنني كثير الهم، شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا في هذه الدنيا، وتفارقا يبكيان.[2]

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أن لأهل الجنة ملوكا وسادة والله يحب من خلقه الأصفياء الأبريا، الشعثة رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم إلا من كسب الحلال، الذين إذا استأذنوا علي الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يُدْعَوْا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟ قال: " ذاك أويس القرني[3].

وهؤلاء الزاهدون المحيون، أنارت قلوبهم معرفة الله تعالى، وعمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته، فَسَرَت المحبة في أوصالهم، ولم يبق فيهم عرق ينبض، ولا مفصل يتحرك إلا وقد دخله الحب، أنساهم حبه ذكر غيره، وأوحشهم وأنساهم به عمن سواه، وتقلبوا بين الخوف والرجاء والرغبة والرهبة، والتوكل والإنابة، والتذلل والانكسار، والبكاء الأنين، فتجافت جنوبهم عن المضاجع والفرش، وطال خشوعهم وسجودهم بين يديه ﷻ، وفاضت على يهم الأنوار، وظللتهم سحائب الأنس:

قوم أقاموا للإله نفوسهم *** فكساوجوههم الوسيمة نورا
تركوا النعيم وطلقوا لذاتهم *** زهدا، فعوضهم بذاك سرورا
قاموا يناجون الحبيب بأدمع *** تجرى فتحكى لؤلؤا منثورا
ستروا وجوههم بأستار الدجى *** ليلا فأضحت في النهار بدورا
عملوا بما علموا، وجادوا بالذي *** وجدوا، فأصبح حظهم موفورا
وإذا بدا ليل سمعت أنينهم *** وشهدت وُجْدا منهمو وزفيرا[4]

ومر رجل من مراد على أويس القرني فقال له: كيف أصبحت؟ قال: كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن ألا يمسى، وإن أمسى ظن أن لا يصبح فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار، يا أخا

---

(1) الغزالي- الإحياء- جـ ٩، ص ١٧٣٩.
(2) أبو نعيم الأصفهاني- حلية الأولياء- جـ ٢، ص ٨٤ وما بعدها ، ابن قدامة المقدسي- الرقة والبكاء- دار الصحابة بطنطا- ص ١٩٢.
(3) أبو نعيم- الحطة- جـ ٢، ص ٨١ وما بعدها، ابن قدامة- المصدر السابق- ص ١٩٦.
(4) الشيخ شعيب الحريفيش، الروض الفائق، ص ١٥٠، ٢١٧، في المواعظ والرقائق،مكتبة مصطفى البابي الحلبي – ١٩٤٩.

مراد إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا، وإن علمه بحقوق الله، لم يترك له من ماله فضة ولا ذهبا، وإن قيامه بالحق لم يترك له صديقا.

وكان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح وكان يقول إذا أمسى هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى يصبح يتصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ثم يقول اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به، ومن مات عريانا فلا تؤاخذني.

وجاء في طبقات الشعراني ذكر رجل يشبه أويس القرني شبها غريبا، وكان يمانيا مثله، ذلك هو اليمان بن معاوية الأسود وقد كان يقول يقول أويس: كل إخواني خير منى لأنهم يرون لي الفضل عليهم وكان يقول أمامنا اللبس إن شاء الله في دار البقاء.

ويورد ابن سعد في الطبقات الكبرى أن رجلا تحول من القتال في جيش معاوية ابن أبي سفيان إلى جيش على بن أبى طالب في صفين حينما عرف أن أويسا فيه يقاتل مع على....

هذا أويس القرني من الزاهدين، فسلام عليك يا سيد التابعين، سلام عليك في الخالدين، مع الصديقين والنبيين، وحتى نلقاك في يوم الدين أمين يا رب العالمين.

# الفصل الثالث

# فقه وأدب في حديث أم زرع

قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها): جلست إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا:

فقالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعث، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى.

وقالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، إني أخاف ألا أذره، إن أذكره أذكر عجزه وبجره.

وقال الثالثة: زوجي العشنق، إن أُنطَقّ أطلق، وإن أسكت أُعَلّق، (وأنا منه على حد السنان المذلق)

وقالت الرابعة: زوجي كَلَيْلِ تِهَامَة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة.

وقالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل بما عهد (يأكل ما وجد ولا يرفع اليوم لغد).

وقالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، (وإذا ذبح اغتث) (ولا يولج الكف ليعلم البث).

وقالت السابعة: زوجي عيا ياء، طبا قاء، كل داء له داء. شجك أو فلك أو بجك، أو جمع كلالك.

وقالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب، (وأغلبه والناس يغلب)

وقالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد.

وقالت العاشرة: زوجي مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل قلايلات المسارح كثيرات المبارك، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك.

وقالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع، أَنَاَس من حلى أذني، وملأ من شحم عضدي، وبحبحني فبحبحت إلى نفسي، وجدني في أهل غُنَيْمَة بِشقِ، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقمح، وآكل فأتمنح.

أم أبي زرع، فما أم أبي زرع، عكومها رداح، وبيتها فساح.

ابن أبي زرع، فما ابن أبى زرع، مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة.

بنت أبي زرع، فما بنت أبى زرع، طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها.

جارية أبي زرع، فما جارية أبى زرع، لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا.

ثم قالت: خرج أبو زرع، والأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلا سريا، ركب فرسا شريا، وأخذ رمحا خطيا، وأراح على نعما ثريا، وأعطاني من كلا رائحة زوجا، وقال كلى أم زرع، وميري أهلك، فلو جمعت كل شئ أعطانيه ما بلغ أصغرآنية أبى زرع.

قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها): فقال لي رسول الله ﷺ " كنت لك كأبي زرع لأم زرع، غير أنى لا أطلقك".

وقد اختلف في سند الحديث ورفعه، مع أنه لا خلاف في صحته، فقد خَرّجُه أصحاب الصحيحين البخاري ومسلم،فذكره البخاري في كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل [١]، كما ذكره مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل السيدة عائشة (رضي الله عنها) [٢]، وذكره الترمذي في سننه باب السمر، وقال القاضي عياض: لا خلاف في رفع قول الرسول ﷺ في الحديث: " كنت لك كأبي زرع لأم زرع"، وإنما الخلاف في تعيينه [٣].

وزاد الهيثم بن عدى في روايته:

ضيف أبى زرع، فما ضيف أبى زرع، في شبع ورى ورتع.

طهاة أبى زرع، فما طهاة أبى زرع، لا تغتر ولا تعدى، تقدح نارا وتنصب أخرى، فتلحق الآخرة بالأولى.

مال أبى زرع، فما مال أبى زرع على الجمم معكوس، وعلى العفاة محبوس.

وقد فسر الإمام السيوطي حديث أم زرع، في تعليقه على حديث البخاري من طريق أحمد بن داود الحراني، وحدد فيه أسماء بعض النسوة مثل: الأولى: مهدد بن أبي مهزومة، الثالثة: كبشة بنت الأرقم، الخامسة: ضبي بنت علقمة، السادسة: بين أوس بن عبد، السابعة: هند، الثامنة: عمرة بنت عمر، التاسعة: كبشة، العاشرة حبي بنت كعب، الحادية عشر: أم زرع بنت

---

(١) صحيح البخاري- طبعة عيسى البابي الحلبي- جـ ٣، ص ٢٥٧.

(٢) صحيح مسلم – طبعة عيسى البابي الحلبي- جـ ٢، ص٣٧٥.

(٣) القاضي عياض- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، مكتبة الفرقان- ص ٤٩.

أكيمل بن ساعدة، ولم يسم المرأتين الثانية والرابعة.

وذكر النسائي في سبب هذا الحديث، قالت عائشة " فخرت بمال أبى في الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية، فقال النبي ﷺ: " اسكتي يا عائشة، فإني كنت لك كأبي زرع لأم زرع، غير أنى لا أطلقك ". قالت عائشة: يا رسول الله، بل أنت خير من أبى زرع، وقيل إن سبب الحديث: أن عائشة وفاطمة جرى بينهما كلام، فدخل ﷺ، فقال: ما أنت بمنتهية يا حميراء عن ابنتي؟ إن مثلي ومثلك كأبي زرع مع أم زرع، فقالت: يا رسول الله حدثنا عنهما. فقال: كانت قرية فيها إحدى عشرة امرأة، وكان الرجال خلوفا (*)، فقلن تعالين نتذاكر أزواجنا بما فيهم ولا نكذب... وقيل: إن هذه القرية كانت باليمن، وقيل: إنهن كن بمكة.. وقيل: إنهن كن في الجاهلية(١).

## وبيانه:

قالت الأولى: (زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعث، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى).

غث (بالرفع) صفة للحم الفاسد. (وبالجر) صفة للجمل المهزول، وعث أي يشُق المشي فيه، والنّقْى هو مخ العظام وشحم العين،وآخر ما يتبقى من الجمل إذا هزل.

وهى تعنى أنه: معقد، بخيل، قليل الخير، متكبر على أهله وعشيرته، فظ غليظ القلب، بعيد المنال ما عنده مع قلته، فلا تطمع إليه همة طالب، ولا تمتد نحوه أمنية راغب، مثل لحم الجمل الفاسد، أخبث لحوم الأنعام، الموجود على قمة جبل صعب الارتقاء، وقد جاء قولها صورة مركبة جمعت القبح وسوء الخلق والوعورة، وشبّهَت الخفي بالجلي، والمتوهم بالمحسوس.

وقالت الثانية: (زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجزه وبجره).

أبث أي أنشر، أذر أي أدع، والعجز ما تعقد من العصب والعروق وظهرناتنا على الجلد، والبجر ما كان من ذلك على البطن خاصة، والعجر والبجر تعنى من ناجية أخرى الهموم والأحزان.

وهى تعنى أن: زوجها يطول الحديث عن خبره، فتكنى بذكاء وتركيز عن عيوبه، وتلوح ولا تصرح، وتجمل ولا تشرح، ولا تهتك حجاب الصون عن عوراته، فتستر العيوب الكثيرة، ولا تذكرها لأن ذكرها يقلب أحزانها ويثير أشجانها.

وقالت الثالثة: (زوجي العشنق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق، وأنا منه على رأس

---

(*) خلوفا : أي يخرج الرجال من الحي ويبقى النساء . لسان العرب، جـ ٢، ص١٢٤.
(١) السيد سابق– فقه السنة– جـ ٢، ص ١٢٠.

السنان المذلق).

العشنق الطويل النحيف، والعرب تنمادح بطول القامة وعدم الترهل في الرجال، والسنان المعلق أي الرمح المحدد.

وهى تعنى أن: زوجها مذموم الخلق، ليس عنده أكثر من الطول بلا نفع، وإن تكلمت بما فيه طلقت، وإن سكتت تركت معلقة لا هي بالأيم، ولا بذات البعل، وهى منه على حذر، لا تأمن أذاه وضره وليست مطمئنة ولا مستقرة.

وكأنها منه على مثل سن الرمح، أو حد السيف، أو قرن الظبي إن حادت هلكت سقوطا، وإن ثبتت هلكت موتا.

وقالت الرابعة: (زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة).

وتهامة من بلاد الحجاز هي مكة وما ولاها، من التهم بمعنى ركود الريح، والقر شدة البرودة، والسآمة الملل.

وهى تعنى أن: زوجها ممدوح باعتدال حاله، وسلامة باطنه، حلو الشمائل، خفيف الصحبة، لين الجانب، مثل ليل تهامة الموصوف بالاعتدال.

وقالت الخامسة: (زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد، يأكل ما وجد، ولا يرفع اليوم لغد).

وهى لم تفصح عن الحقيقة، وتغرب في التعبير، فلا ندرى قصدها مدحا أو ذما. فإن دخل البيت تشبهه بالفهد، إما في كثرة غطيطه ونومه وعدم الإحساس بها، وإما في كثرة وثوبه لجماعها، دون ملاعبة أو مداعبة، وإن خرج تشبهه بالأسد إما في قوته وشجاعته، وإما في حماقته وسرعة غضبه، كما أنه لا يتفقد أمواله، ويغضى عما يصيبها من خلل أو نقص، إما غفلة وإما حياء. وأكثر الشراح على المدح[1].

وقالت السادسة: (زوجي إن أكل لف، وإن شرب أشتف، وإن اضطجع التف، وإذا ذبح اغتث، ولا يولج الكف ليعلم البث).

واللف يعنى الإكثار من الأكل والتخليط في صنوفه، والاستشفاف استقصاء كل ما في الإناء، واغتث أي اختار الهزيل.

وهى تعنى أن: زوجها مذموم، لئيم، شَرِهٌ، نَهِم، أكول، بليد الإحساس، سيئ الصحبة والمعاشرة، قليل ما يشتغل بها يداعبها أو يهتم بها فيعلم شكواها.

---

([1]) بغية الرائد، ص ٢٢٤.

وقالت السابعة: (زوجي عيا ياء، طبا قاء، كل داء له داء، شجك أو فلك أو بَجّك، أو جمع كلا لك).

عيا ياء من أبنية المبالغة وهى من الرجل والإبل الذل لا يضرب، وطباقاء الثقيل من الرجال الذي يطبق على صدر امرأته عند المباضعة، والشج جرح الرأس، والفل جرح سائر الجسد، والبج الطعن.

وهى تعنى أن: الزوج كان أحمق متناهيا في جمع النقائص والعيوب، عاجزا عن حاجة زوجته مع ضربه لها وأذاها، وهى إن حدثته سبها، وإن مازحته جرحها أو كسر عضوا من أعضائها أو أجعها بقارص الكلام والخصومة والجفاء.

وقالت الثامنة: (زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب، وأغلبه والناس يغلب).

وهى تعنى أن: الزوج ممدوح برقة العشرة، وحسن الخلق، ولين الجانب، ونعومة الملمس، فهو في ليونة ولدونة الأرنب، وطيب ريح الزرنب وهو نبت من الأفواه الطيبة التي تخلط بالطيب لعطريتها، ويؤول ذلك إلى طيب ثنائه في الناس. أو طيب جسده وعطر أرداءه، وهو إلى جانب اللين والرقة والطيب، شجاع حازم، ولكن النساء شر غالب لمن غلب، وكما قال معاوية: يغلبن الكرام ويغلبهم اللئام.

وقالت التاسعة: (زوجي طويل النجاد، رفيع العماد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد).

وهى تعنى أن: زوجها ممدوح بالشرف في نسبه، والسؤدد في قومه، وطول القامة المحمود، وعظم الرماد من كثرة قِرَى الضيفان، وتعود النحر والشواء، وقرب البيت من النادي يُسَهِّل اهتداء القاصدين، كعادة بيت السادة والزعماء.

وقالت العاشرة: (زوجي مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل قليلات المسارح، كثيرات المبارك، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك).

وهى تعنى أن: زوجها ممدوح بالكرم وكثرة الضيفان، ومبالغة في إكرامهم، فإن الإبل باركة في فناء المنزل جاهزة للإقراء بالبن واللحم، حتى صارت من كثرة التعود والتكرار، تعرف صوت المعازف أنهن مذبوحات هوالك، وذكر اسم الزوج وتكراره دليل على شهرته وعظمته وأنه سيد من السادات[1].

وقالت الحادية عشرة: وهى أم زرع (زوجي أبو زرع، وما أبو زرع؟ أناس من حلى أذني، وملأ في شحم عضدي، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل وأطيط

---

([1]) المرجع السابق. ص٨٣.

ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقمح، وأكل فأتمنح).

أَنَاسَ أي حرك، فالنوس حركة كل شئ معتدل، والعضد الساعد، بجحنى عظمتي، غُنَيْمَة تصغير غنم، والشِّق شظف العيش، والصهيل صوت الخيل، والأطيط صوت الإبل، وأصل الأطيط صوت أعواد المحامل والرحال، دائس من دوس الطعام والمراد أنه من أصحاب زرع، ومنق من النقيق وهو أصوات المواشي والأنعام أو نقنقه الدجاج.

وهى تعنى إحسان أبى زرع إليها فقد حلاها بالأقراط والشنوف، وأغدق عليها وسَمّنَها، ونقلها من شظف العيش عند أهلها إلى ذوى الثروة الواسعة المتنوعة، ومن بر زوجها وتدللها أنه لا يرد قولها لكرامتها عنده، وبلغ من ترفها أن تنام صبيحتها لوجود من يقوم على خدمتها.

(أم أبى زرع، فما أم أبى زرع، عكومها رداح، وبيتها فساح).

العكوم أي الأحمال من الأطعمة والمتاع، والرداح القيلة، ويقال للمرأة عظيمة الأكفال، ثقيلة الأوزان.

وهى تصف أم زوجها بالغنى وكثرة الخير، وسعة فناء البيت وكبره، كناية عن رغد العيش وما سيقابل نازله من بر وكرم.

(ابن أبى زرع، فما ابن أبى زرع، مضجعه كمسل شطبه، وتشبعه ذراع الجفرة).

والشطبة ما شطب من جريد النخل، والجفرة أنثى الماعز وذكرها جفر، ابن أربعة شهور.

وهى تعنى أن ابن زوجها قليل الأكل، ليس ببطين، ومما يتمادح به العرب كون الرجل ضعيف المؤن، وقد شبهوا الرجال بالسيوف لمضائها وجمالها واستوائها.

(بنت أبى زرع، فما بنت أبى زرع، طوع أبيها، وطوع أمها، ومل‌ء كسائها، وغيظ جارتها).

وهى تصف البنت بأنها ممتلئة الجسم كثيرة اللحم، وذلك مما تمتدح به النساء، ويذممن بضده.

(جارية أبى زرع، فما جارية أبى زرع، لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا).

وهى تثنى على جارية زوجها بعدم نشر الأحاديث وإفشاء الأسرار، ولا تسرق الميرة وتعطيه إلى غير أهله، ولا تفسد الطعام، وتصلح البيت وتنظفه وتقوم على واجبات الخدمة.

وقالت: (خرج أبو زرع، والأوطاب تمخض، فلقي امرأة... فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلا سريا... أراح على نعما ثريا، وأعطاني من كل زوج، وقال كلى أم زرع، وميري أهلك

فلو جمعت كل شئ أعطانيه، ما بلغ أصغر أنية أبى زرع).

وصفت أم زرع زوجها الجديد بالسؤدد والسعة، وأنه صاحب حرب، وقد أحسن إليها وتفضل على أهلها،ومع كل ذلك فإن كثيره دون قليل أبى زرع، رغم إساءة أبى زرع إليها بتطليقها، وزواج المرأة ذات الولدين، إلا أن حبها لأبى زرع قد بَغّضَ إليها الناس بعده، وقد كان أول نصيبها في باكورة شبابها وزهرة عمرها، فإنها تشكره ولا تنسى إحسانه.

## وبعد.. فقد تضمن الحديث من الفقه:

(١)حسن عشرة الرجل مع أهله وتأنيسهن، واستحباب محادثتهن بما لا إثم فيه والإحسان إليهن استحبابا لمودتهن، وتطييبا لنفوسهن.

وقد وردت الآثار الصحيحة بحسن عشرته وصحبته ﷺ مع أهله وإباحة المداعبة معهم، وإجازة المزح في بعض الأحايين، وبسط الوجه واللسان مع جميع الناس بالكلام الحلو السهل، وقد كان ﷺ " يمزح ولا يقول إلا حقا " كما ذكرت روايات مشهورة عن ممازحته بلالا وخواتا وأنسا وعائشة، وكلها تدل على تواضعه ولين جانبه وانبساطه مع الناس وتحببه إليهم.

(٢) التحدث بِمُلَح الأخبار، وأطرف الحكايات، تسلية للنفوس، وجلاء للقلوب، قال على (كرم الله وجهه) سلوا هذه النفوس ساعة، فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد، وكان الإمام ابن عباس رضي الله عنهما يقول إذا أفاض من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير: " أحمضوا" يعنى كي لا تملوا من الحديث والفقه وعلوم القرآن خذوا أيضا من الأشعار وأخبار العرب، وأصل ذلك أن الإبل إذا ما ملت مما حلا من النبات رعت الحمض.

(٣) إن ذكر السوء والعيب فيمن يُجَهّل عن القائل والسامع بالقبيح ليس بغيبة، حتى إنه يجوز وصف النساء ومحاسنهن مع النساء والرجال إذا كن مجهولات لا يُعْرَفْن أو يُحددن بالاسم، والمحظور هو وصف النساء المُعيّنات بحضرة الرجال.

(٤) التأسي بمحاسن أهل الفضل، وامتثال شمائل أولى العدل، كرما وشجاعة ورقة ولين جانب، وبسط وجه، وحسن صحبة ومعاشرة.

(٥)المشبه بالشئ لا ينزل منزلته في كل شئ، حيث أنه ﷺ شبه نفسه النفيسة في صحبة عائشة رضي الله عنها بأبي زرع، ومن بين فعل أبي زرع تطليق زوجته، ولم يكن ذلك لازما.

(٦) وفى هذا الحديث أيضا من الأدب: اشتماله على كلام فصيح الألفاظ، بليغ العبارة، بديع الكناية والإشارة، رفيع التشبيه والاستعارة، وقد كان بعض النسوة أبلغ قولا، وبعضهن أصدق حجة، وعَبّرن عن مكنون صدورهن، فلم يكتمن شيئا، ومن سترت العيوب منهن لَوّحَتْ وما صرحت، وأجملت وما شرحت، فاستخدمن ألوان البيان والبديع.

والتشبيه كواحد من ألوان البلاغة، وأبدع فنون هذه الصناعة موضوع للجـ ـلاء والكشـ ـف، والمبالغة في البيان والوصف، والتعبير عن الخفي بالجلي، والمتـ ـوهم بالمحسـ ـوس، والحقيـ ـر بالخطير، والسئ بما هو أعظم منه وأحسن، أو أخس وأدون، وعن القليـ ـل الوجـ ـود بالمـ ـألوف المعهود.

والاستعارة تستعمل استعمال غيرها للإبانة، وهى أرفع درجات البديع، وأعجب تصـ ـرفات البليغ، لها فضل بيان وإبلاغ، وحسن طلاوة وإبداع[1].

(1) بغية الرائد، ص ١٨٦ وما بعدها.

# الفصل الرابع

# الفخر والمفاخرة

## الفخر في اللغة:

الفخر في اللسان هو التمدح بالخصال، وادعاء العِظَم والشرف، والتفاخر، والتعاظم، وافتخر وتفاخر القوم فخر بعضهم على بعض، وفاخر فخارا عارضه بالفخر ففخره غلبه، والفَخِير (بكسر الخاء) المفاخر، والفَخّير (بشد الخاء) الكثير الفخر، والفخور المتكبر، والمفخرة (بفتح أو ضم الخاء) المأثرة، وما فخر به[1].

## الفخر عند العرب:

هو تعبير فطرى وميل طبيعي إلى الأنفة والعزة، وهو تعداد للصفات والتغني بالحسنات، وصدى تطلع النفس إلى الذات، فكثيرا ما ينظر الإنسان إلى نفسه يستجلى محاسنها، ويصبغ مساوئها بما يجعلها في ميزانه دون سائر الناس أجمعين.

ولقد عاش أكثر العرب بدوا يسكنون الخيام، ويرعون الإبل والأغنام، في بلاد تعددت صحاريها القاحلة، واتسعت أراضيها المجدبة، وقل فيها الماء وتسلط عليها الحر والسموم، ومن ثم كانت القبيلة محط رحالهم، ومركز نظامهم الاجتماعي.

وتميزت حياة البادية بسمات، عكست أثرها على الأخلاق والعادات: فهي حياة تقسو فيها الأرض والسماء، ويلوح فيها شبح الفاقة كل حين، فعظم شأن الكرم والبذل.

وهى حياة فطرة ونقاء، طبع فيها العربي على الحلم والإباء، والترفع عن الخنا والفحشاء، والتنكر للصغار والعار.

وهى حياة تنقل وارتحال، لا يقيدها سوى قيد الشرف الذي هو قانون الحياة، والوعد الصادق سنة المجتمع، والوفاء الجميل أقدس المعاني.

وهى حياة فروسية، تحمل أهلها على حماية المستضعفين، وإغاثة الملهوفين، وفك العاني، وحفظ الجار.

---

([1]) ابن منظور– لسان العرب– دار المعارف– جـ ٥، ص ٣٣٦١.

في هذه الحياة فطر العربي، فتفجرت القرائح بسيل زاخر من معـ اني البطولـ ة والفـ داء، والشجاعة والإباء، والمروءة والوفاء، والأصالة والكرم، وقوة العصبية، ومنعة الجانب، وكلهـ ا تكون بواعث الفخر[1].

## الفخر في الجاهلية:

لما كان الشعر ديوان العرب، ومنبع المفاخرة، ومعرض الفصاحة، ومظهر النباهة، فاضل الشعراء الجاهليون بعصبياتهم وأنسابهم، وتمحورت أغراض شعرهم حـ ول الفخـ ر والحماسـ ة والمدح والهجاء، كل قبيلة تنسب الفضل لنفسها، فاليمنى يفاخر الحجازي. والمضـ ري يفـ اخر الحميري، وأنشأوا قصائد عصماء في الفخر مثل معلقات: الحارث بين حِلّزة وعنتـ رة العبسـ ي وعمرو بن كلثوم الذي فخر بقومه بنى تغلب وأيامهم فقال:

ألا هبـ ـي بصـ ـحنك فأصـ ـبحينا *** ولا تبقـ ـى خمـ ـور الأنـ ـدرينا [*]
وقـ ـد علـ ـم القبائـ ـل مـ ـن مَعَـ ـدّ *** إذا قُبَـ ـبٌ بأبطحهـ ـا بنينـ ـا [**]
بأنـ ـا المطعمـ ـون إذا قـ ـدرنا *** وأنـ ـا المهلكـ ـون إذا ابتلينـ ـا
وأنـ ـا المـ ـانعون لمـ ـا أردنـ ـا *** وأنـ ـا النـ ـازلون بحيـ ـث شـ ـينا
ونشرب إن وردنا الماء صـ فوا *** ويشـ ـرب غيرنـ ـا كـ ـدرا وطينـ ـا
إذا بلـ ـغ الفطـ ـام لنـ ـا صـ ـبى *** تخـ ـر لـ ـه الجبـ ـابر سـ ـاجدينا[2]

## الفخر في الإسلام:

لما سطع نور الإسلام ذهبت عصبية القبائل، وأصبح المسلمون بنعمة الله إخوانا علـ ى اختلاف الأنساب والمواطن، وارتفعت بهم الدعوة إلى رحاب الأخوة الإيمانية والتـ ي لا تحـ دها القبيلة، وأعلن الرسول ﷺ: " يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهليـ ة، وتعظمهـ ا بالإباء، كلكم لآدم وآدم من تراب " ونزل القرآن الكريم بأسلوب متميز، وبيان معجز، تحدى أمة تهتم باللغة وآدابها وتخصص لها أسواقا ومنتديات، وتعلق قصائد الفحول مـ ن شـ عرائها علـ ى الكعبة تقديرا وإعزازا، فتأثرت أغراض الشعر بالعقيدة الجديدة، عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحولت فنونه عند المؤمنين من الشعراء إلى الدعوة إلى العمل الصالح والحكمة والموعظة الحسنة، وقام نفر منهم يمدحون الرسول ﷺ ويذودون على الإسلام هم: حسان بن ثابت، وكعـ ب بن مالك، وعبد الله بن رواحة وقد استثنوا من آيات سورة الشعراء: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ

---

([1]) حنا الفاخوري– الفخر والحماسة– دار المعارف– ص١٠.
([*]) الأندرينا: من قرى الشام.
([**]) معد بن عدنان من ولد إسماعيل، الأبطح مسيل الوادي.
([2]) الزوزنى– أبو عبد الله الحسين بن أحمد– شرح المعلقات السبع– مكتبة مصطفى الحلبي– ١٩٥٩– ص ١٢٦، ١٤٤.

= أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ = وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ = إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء ٢٢٤- ٢٢٧).

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: " إن في البيان لسحرا، وإن في الشعر لحكمة" رواه أحمد وأبو داود عن ابن عباس[١]، وقال: " أصدق كلمة قالها الشاعر هي قول لبيد: ألا كل شئ ما خلا الله باطل" رواه الشيخان وابن ماجه عن أبى هريرة [٢].

لم يعد الفخر في المجتمع الإسلامي بالأحساب والأنساب، ولكن أصبح بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات ١٣)، وقال ﷺ " لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى" ويقول سلمان الفارسي تلميذ النبي ﷺ وصاحبه، الذي كان أبوه دهقانا، وأخذ الإسلام دينا وعقيدة ونسبا:

أبى الإسلام لا أب لي سواه  إذا افتخروا بقيس أو تميم

يروى عن محمد بن كعب القرظي في أسباب نزول الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة ١٩)- أنه افتخر طلحة بن شيبة من بنى عبد الدار، والعباس بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب (كرم الله وجهه):

فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، ولو أشاء بت فيه.

وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بت في المسجد.

فقال على (كرم الله وجهه): ما أدرى ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد[٣]. فأي فضل يفخر به أكبر من السبق إلى الإيمان والجهاد في سبيل الله.

## * ونعرض نموذجين للافتخار ضمهما أدب السرة:

- أولهما: مفاخرة بنى تميم
- وثانيهما: مفاخرة الأوس والخزرج

## مفاخرة بنى تميم:

في عام الوفود سنة تسع هجرية، قدم وفد بنى تميم وعلى رأسهم:

---

(١) المناوي- شرح مختصر الجامع الصغير- جـ ١، ص ١٦٨.
(٢) المصدر نفسه- جـ ١، ص٧٠.
(٣) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم- جـ ٢، ص ٣٤١.

عطارد بن حاجب، والأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، ودخلوا المسجد ونادوا الرسول ﷺ فآذوا بصياحهم، وهم من نزل فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحجرات ٤)، وقالوا: جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فأذن لهم، وقال عطارد: " الحمد لله الذي جعلنا ملوكا، ووهب لنا أموالا عظاما، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا، وأيسره عُدّة، ألسنا رؤوس الناس وأولى فضلهم، فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا[١].

وقام ثابت بن قيس الخزرجي خطيب الرسول ﷺ ليجيب فقال: " الحمد لله الذي له السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيئا قط إلا من فضله، واصطفى رسولا من خير خلقه، أكرمه نسبا، وأصدقه حديثا، وأفضله حسبا، أنزل عليه كتابه، فدعا الناس إلى الإيمان، وآمن به المهاجرون من قومه، وذوى رحمه، ثم كنا أول الخلق إجابة حين دعانا، فنحن أنصار الله، ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن منهم منع منا ما له ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا، أقول قولي هذا واستغفر لله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم" [٢].

## ثم قال الزبرقان يفخر بقومه قال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا *** منا الملوك وفينا تنصب البيع[٣]
وكم قسرنا من الأحياء كلهم *** عند النهاب وفضل العز يتبع[٤]
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم *** ألا استقادوا فكانوا الرأس يقتطع[٥]
فمن يفاخرنا في ذاك يعرفنا *** فيرجع القوم والأخبار تستمع
إنا أبينا ولا يأبى لنا أحد *** إنا كذلك عند الفخر نرتفع[٦]

## وأمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت فقال قصيدته العينية:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم *** قد بينوا سنة للناس تتبع[٧]
يرضى بهم كل من كانت سريرته *** تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم *** أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
إن كان الناس ساقون بعدهم *** فكل سابق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم *** لا يطبعون ولا يردیهم الطبع[١]

---

(١) ابن هشام- السيرة النبوية- مصطفى السقا وآخرين- طبعة مصطفى الحلبي- ١٩٥٥ جـ ٢، ص٥٢٦.
(٢) نفس المصدر. ونفس الصفحة.
(٣) البيع: مواضع الصلوات.
(٤) النهاب: الغنيمة.
(٥) استقادوا: أعطوا مقادهم وخضعوا.
(٦) ابن هشام- السيرة – جـ ٢، ص ٥٦٣.
(٧) الزوائب: السادة وأصله من ذوائب المرأة أي غرائرها التي تعلوا الرأس.

أكـ ـرم بقـ ـوم رسـ ـول الله شـ ـيعتهم *** إذا تفاوضـ ـ ـ ـت الأهـ ـ ـ ـواء والشـ ـ ـ ـيع
فـ ـ إنهم أفضـ ـ ـل الأحيـ ـ ـاء كلهـ ـ ـم *** إن جد بالنـ ـاس حـ ـ ـد القـ ـول أو شـ ـ ـمعوا[٢]

ونلاحظ أن حسان مدح قوم رسول الله ﷺ، وأشاد بقدرتهم على القتـ ـال وانتصـ ـارهم فـ ـي المغازي، وذكر الوحي لهم، وأفضليتهم على الناس، وسبقهم إلى كل خير.

ويروى ابن هشام في السيرة أن الزبرقان لما قدم على رسول الله ﷺ في وفد بنى تميم قـ ـام مفاخرا بقصيدة أخرى فقال:

أتيناك كيما يعلم النـ ـاس فضـ ـلنا *** إذا احتفلـ ـوا عنـ ـد احتضـ ـار المواسـ ـم
بأنا فروع الناس في كل موطن *** وأن ليس في أرض الحجـ ـاز كـ ـدارم[٣]
وأنا نزود المعلمين إذا انتخـ ـوا *** ونضـ ـرب رأس الأصـ ـيد المتفـ ـاقم[٤]
وأن لنا المرباع في كل غـ ـارة *** نغيـ ـر بنجـ ـد أو بـ ـأرض الأعـ ـاجم[٥]

فرد عليه حسان فقال:

هل المجد إلا السؤدد العود والنـ ـدى *** وجاه الملـ ـوك واحتمـ ـال العظـ ـائم
نصـ ـرنا وآوينـ ـا النبـ ـي محمـ ـدا *** على أنف راض من معـ ـد وراغـ ـم
بنى دارم لا تفخـ ـروا إن فخـ ـركم *** يعود وبـ ـالا عنـ ـد ذكـ ـر المكـ ـارم
هبلـ ـتم علينـ ـا تفخـ ـرون وأنـ ـتم *** لنا خَولُ ما بـ ـين ظئـ ـر وخـ ـادم(٦)
فإن كنـ ـتم جئـ ـتم لحقـ ـن دمـ ـائكم *** وأموالكم أن تُقْسَمُ موا فـ ـي المقاسـ ـم
فـ ـلا تجعلـ ـوا للهِ نـ ـدا وأسـ ـلموا *** ولا تلبسـ ـوا زيـ ـا كـ ـزى الأعـ ـاجم

فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع بن حابس: إن هذا الرجل –يقصـ ـد رسـ ـول الله ﷺ – لمؤتى له[٧]، لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصـ ـواتهم أعلـ ـى مـ ـن أصواتنا، ثم شرح الله صدورهم للإسلام وشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فجـ ـوزهم الله الرسول ﷺ فأحسن جوائزهم[٨].

## مفاخرة الأوس والخزرج:

---

(١) يطبعون: من الطبع وهو دنس الخلق.
(٢) ابن هشام – السيرة– جـ ٢، ص ٥٦٥.
شمعوا: هزلوا وأصل الشمع اللهو والطرب، ومنه جارية شموع كثيرة الطرب.
(٣) دارم: من بنى تميم.
(٤) المعلمون: الذين يعلمون أنفسهم بعلامة يعرفون بها في الحرب.
(٥) انتخو: من النخوة وهى التكبر، الأصيد: الذي لا يلوى عنقه يمينا أو شمالا.
المتفاقم: المتعاظم المرباع: أخذ الربع من كل غنيمة يدير أنهم رؤساء.
(٦) هبلتم: فقدتم وثكلتم، الظئر : التي ترضع ولد غيرها وقد تأخذ على ذلك أجرا.
(٧) لمؤتى له: لموفق له.
(٨) ابن هشام– السيرة– جـ ٢، ص ٥٦٧.

وقبل أن نعرض النموذج الثاني من المفاخرة، نقدم بإيجاز ليثرب (المدينة) وأهلها من: اليهود الفارين من الاضطهاد الروماني، وهم قبائل بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع، والعرب المهاجرين من جنوب اليمن، وهم قبيلتي الأوس والخزرج الذين تربطهما أخوة في الأصل،وقد كانت السيادة لليهود أصحاب العلم والكتاب، أما العرب فأصحاب شرك ووثن، ولما اشتدت شوكة العرب نازعوا اليهود سلطانهم، فلجأ اليهود إلى المكر والخديعة، والحيلة والوقيعة، تفريقا وإفسادا بين ذوى القربى من الأوس والخزرج، ونفثت سموم العصبية، وتأهبت نار الصراع، حتى دارت الحروب الطاحنة.

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، بادر العرب إلى تصديقه ومبايعته مستبشرين به فرحين، أما اليهود فأبوا وجحدوا وكذبوا، وبدأ وضع أسس المجتمع الإسلامي في دار الهجرة بالأخوة والعقيدة، وتم بناء المسجد، وتوالى مدد السماء إلى الأرض إلى قوم آمنوا بالله واتبعوا رسوله ﷺ وأخلصوا له الدين ووصف القرآن هذا المجتمع المؤمن:﴿ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف ١٥٧).﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (الحشر٩)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال ٧٤).

أصبح الأوس والخزرج أنصار الله ورسوله ﷺ إخوانا، بالألفة والمحبة وروابط العقيدة، مما ساء اليهود، واشتد حقدهم خاصة عندما أسلم أحد كبار أحبارهم وهو عبد الله بن سلام، فبعثوا غلاما أَلّب القوم وذَكّرَهم بيوم بُعَاث– آخر أيام صراعاتهم وكان قبل الهجرة بخمس سنين– فتنادوا إلى السلاح ولكن الرسول ﷺ سكن ثائرتهم وتلا عليهم قول الله فيهم: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (أل عمران: من الآية ١٠٣).

بعدها عانق بعضهم بعضا وندموا ورجعوا متحدثين بنعمة الله وفضله طالبين رحمته متحابين بجلاله.

## ذكر ابن كثير في فضائل القرآن، قال قتادة عن أنس بن مالك:

" افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقالت الأوس منا أربعة: (غسيل الملائكة) حنظلة بن أبى عامر، (حَمِيُّ الدَّبْر) عاصم بن ثابت، و (من اهتز العرش لموته) سعد بن معاذ، و (ذو

الشهادتين) خزيمة بن ثابت.

وقالت الخزرج: منا أربعة: جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يجمعه من الأنصار غيرهم: أُبَيْ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد (سعد بن عبيد)[1]

## * ونذكر فيما يلى لمحة موجزة نعرف كلا منهم:

### أربعة من الأوس:

### * غسيل الملائكة

هو حنظلة بن أبى عامر بن صيفي، كان أبوه سيدا في الأوس هو أبو عامر الراهب، لكنه خرج على الرسول ﷺ حسدا ليقاتل مع قريش، فسماه المسلمون أبو عامر الفاسق، أما حنظلة فكان من فضلاء المسلمين الذين أبلوا في أُحُد بلاء حسنا، وكان قد زف إلى عروسه جميلة بنت عبد الله بن أبى بن سلول، وبعد أن دخل بها سمع نداء الحرب المقدسة مع أعداء الله، فترك متعته ولذته وعروسه، وأسرع- وهو جنب- إلى الجهاد والاستشهاد، ويقول الرسول ﷺ " إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبى عامر في صحاف الفضة بين السماء والأرض، ويسرع الصحابة إلى حنظلة بين الشهداء ينظرونه فإذا رأسه تقطر ماء كما حدث الصادق الصدوق، ويطلب الخبر من زوجته فتقول ما كان، وأنها قد رأت في نومها في الليلة الوحيدة، كأن بابا من السماء فتح أمام حنظلة فدخل منه ثم أغلق دونه، فأدركت أن زوجها سيلقى الشهادة[2].

### * حمى الدبر

هو عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه.فلقد أرسل رسول الله ﷺ ستة من البدويين إلى عضل والقارة [3] يفقهونهم القرآن ويعلمونهم الدين، عرفوا بسرية القراء، ومضى النفر إلى وجهتهم حتى كانوا على الرجيع- ماء لهزيل – غدر بهم القوم- وأرادوا أسرهم ليصيبوا بهم فداء من أهل مكة، وكان عاصم يوم بدر قد قتل الأخوين مسافح والجلاس بن طلحة، وهما ابنان لسلافة بنت سعد التي تذرت أن تشرب خمرا في قحفة عاصم إن مُكّنتَ منه، وكان عاصم قد عاهد الله ألا يمس مشركا وطلب منه ﷻ ألا يمسه مشرك، وظل يقاتل حتى استشهد، فرأت هزيل أن تأخذ رأسه تبيعه لسلافة تنجز نذرها، فأرسل الله جنوده من الدبر- ذكر النحل – على جسد عاصم تحميه من أعدائه المشركين الذين انتظروا إلى الليل حتى

---

(1) ابن كثير- فضائل القرآن- ملحق بتفسيره- طبعة عيسى البابي الحلبي، ص ٢٨.

(2) ابن الأثير الجزري- أسد الغابة في معرفة الصحابة- تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرين- طبعة دار الشعب – جـ ٢، ص٦٦.

(3) عضل والقارة قبيلة من الهون بن خزيمة بن مدركة.

يذهب الدبر، فأرسل الله سيلا عظيما حمل عاصما. وحال دون أن يصل إليه المشركون أو يمسوه[1].

وهكذا أقسمت سلافة ونذرت لآلهتها العاجزة أن تنتقم من عاصم فلم تمكن وأقسم عاصم على الله الواحد القادر أن لا يمسه مشرك فأبره الله، ﷻينصر عبده ويعز جنده.

## * من اهتز العرش لموته

هو سعد بن معاذ بن النعمان سيد الأوس، وصاحب المقامات الرفيعة في الإسلام، أسلم على يد مصعب بن عمير أول سفراء الإسلام إلى المدينة، وتبعه قومه بنو عبد الأشهل كلهم وشهد بدرا وأحدا والخندق وبنى قريظة، ولسوف تظل كلمته الرائدة في بدر تأييدا وإعزازا للدعوة تدق أسماع الدنيا في عالم لفداء والجهاد " امض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، فسرينا على بركة الله".

قال رسول الله ﷺ " أهتز عرش الرحمن لموت سعد" ومعناه فرح الملائكة بقدومه لمزلته في الإيمان، وبكاه بعد دفنه وقال كل نادبة إلا نادبة سعد، وأمه كبشة بنت رافع أول نساء الأنصار إسلاما، كانت تبكيه، فقال لها الرسول ﷺ ليرقا دمعك، ويذهب حزنك، فان ابنك يضحك الله له". وهذا كناية عن إقبال الله عليه بالثواب والنعم[2].

## * ذو الشهادتين

هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الانصاري من أجيزت شهادته بشهادة رجلين، والقصة يرويها ابنه عمارة فيقول: اشترى النبي ﷺ فرسا من سواء بن قيس المحاربي فجحده سواء، فشهد خزيمة للنبي ﷺ، وسأله: ما حملك على الشهادة ولم تك معنا حاضرا؟ فقال خزيمة: صدقتك بما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقا، فقال له الرسول ﷺ: من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه، والمعروف أن نصاب الشهادة في الإسلام رجلين[3].

وتتجلى حكمة المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، أنه لما انتدب زيد بن ثابت لجمع المصحف، اتخذ قاعدة للتحقيق والدقة أنه لا يكتب أية آية إلا إذا اتفق عليها اثنان من الحفظة، وواصل النفر من الصحابة عملهم حتى وصلوا إلى خواتيم سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾... (الآيات١٢٨، ١٢٩) فلم

---

(1) ابن الأثير الجزري – أسد الغابة– ج .٣، ص ١١١.
(2) ابن الأثير الجزري– أسد الغابة– ج .٢، ص ٣٧٣.
(3) ابن الأثير الجزري– أسد الغابة – ج .٢، ص ١٣٣.

يجدوها مع أحد سوى خزيمة بن ثابت فقط صاحب الشهادتين، لتستقيم قاعدة التحقيق لكتاب الله ﷻ برجل ممن يحبهم الله ورسوله[1].

## أربعة من الخزرج:

### * أبى بن كعب

هو أبى كعب بن قيس وكنيته أبو المنذر، شاهد العقبة وبدرا وبقية المشاهد، وهو أول من كتب الوحي ورسائل الرسول ﷺ مقدمه المدينة ومن أوائل حفظة القرآن الكريم، ويروى أنس عن رسول الله ﷺ قال: " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبى بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة عبيدة الجراح " وزاد أبو قلابة" وأقضاهم على، وسأل الرسول أبى يوما:" أية آية في كتاب الله أعظم؟ فأجاب: الله لا إله إلا هو الحي القيوم" فضرب رسول الله ﷺ بيده الشريفة على صدر أبى وهَنّأه بنعمة الله من علم وفهم وقال له " ليهنك العلم أبا المنذر".

وقد قال له الرسول ﷺ: " يا أبى أمرت أن أعرض عليك القرآن" قال: أالله سماني لك؟ قال الرسول: نعم "، فجعل أبى يتلو ويبكى[2].

### * زيد بن ثابت

هو زيد بن ثابت بن الضحاك، كان عمره عندما قدم الرسول ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة واستصغره يوم بدر فرده وشهد الخندق وقال عنه ﷺ: " إنه نعم الغلام " وكتب الوحي وغيره وتعلم السريانية للرد على الكتب التي تصل الرسول ﷺ وكتب لأبى بكر وعمر، كما كتب القرآن في عهد أبى بكر وعثمان، واستخلف على المدينة ثلاث مرات، وفى حديث أنس رضي الله عنه والسابق الإشارة إليه، " وأفرضهم زيد" فكان أعلم الصحابة بالفرائض، ولما مات قال عنه أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا[3].

### * معاذ بن جبل

هو معاذ بن جبل بن عمر الأنصاري الخزرجى، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وأسلم

---

(1) انظر الفصل الأول- مع القرآن الكريم.
(2) ابن الأثير الجزري- أسد الغابة – جـ ١، ص ٦١.
(3) ابن الأثير الجزري- أسد الغابة- جـ ٢، ص ٢٧٨.

وعمره ثمانية عشر سنة،وهو أعلم الناس بالحلال والحرام كما تقدم في الحديث، وقال عنه النبي ﷺ: معاذ إمام العلماء يوم القيامة برتوة أو رتوتين[1] وكلمة معاذ في الاجتهاد مشهورة عندما توجه إلى اليمن: ليقضى بكتاب الله وسنة رسوله فإذا لم يجد فليجتهد رأيه، وسأله الرسول يوما: كيف أصبحت يا معاذ؟ قال: أصبحت مؤمنا حقاً، قال الرسول:" إن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟: قال ما أصبحت صباحا قط إلا ظننت ألا أمسى، ولا أمسيت مساء قط إلا ظننت ألا أصبح، ولا خطوت خطوة إلا ظننت ألا أتبعها غيرها، وكأني إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها، وكأني أرى أهل الجنة ينعمون وأهل النار يعذبون، فقال له الرسول ﷺ: يا معاذ عرفت فالزم. وكان رضي الله عنه يرى العلم معرفة وعملا، قال: تعلموا ما شئتم فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا، رضي الله عن المجاهد العامل سيد العلماء[2].

## * أبو زيد (سعد بن عبيد)

هو سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري الخزرجى، ويقال له سعد القارئ، ويكنى أبى عمير وقد كان عمير ابنه واليا لعمر بن الخطاب على بعض الشام، وهو واحد نم الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ويروى الثوري أنه قال: خطبنا رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له سعد بن عبيد فقال: إنا لاقو العدوا غدا، وإنا لمستشهدون، فلا تغسلن عنا دما، ولا تُكَفَّن إلا في ثوب كان علينا،رضي الله عن سعد القارئ عن الإسلام والقرآن خيرا[3].

---

(1) رتوة: مسافة ميل أو مدى البصر.
(2) ابن الأثير الجزري- أسد الغابة- جـ ٥، ص ١٩٤.
(3) نفس المصدر – جـ ٢، ص ٣٥٩، ٣٩٦.

# الفصل الخامس

# الواوات

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، على قلب الرسول الأمين ﷺ لينقل الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد إلى الصراط المستقيم، قال تعالى:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف ٢)، ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ = نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ = عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ = بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء ١٩٢– ١٩٥)، ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت ٣) وبنعمة الله انتشر الإسلام، واتسعت دائرته خارج الجزيرة العربية، فانتشرت معه اللغة العربية، وتوحدت لهجاتها، وزال تناكرها، وأصبحت لغة واحدة للعرب جميعا، ثم لغير العرب من الأمم التي دخلها الإسلام بعد الفتوح، من أقصى الغرب حتى تخوم الصين والهند شرقا، وبقيت اللغة العربية بحمد الله ولم تخضع للتغيرات والتبدل والزوال والفناء مثل أخواتها من اللغات السامية التي ضاعت وحُرِّفَت: عبرية التوراة وآرامية الأناجيل، ولكن لسان عقيدة الإسلام ظل ناطقا حيا، محفوظا مع القرآن بوعد الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر ٩).

ولقد تلقى المسلمون كتاب الله المعجز الخالد بالعناية والتقديس، حكاما ومحكومين، علماء ومتعلمين، أدباء ومتأدبين، وكان الهدف من كل العلوم التي اشتغلوا بها في جميع عصورهم ومراحل تاريخهم هو القرآن الكريم، فمثلا علم النحو الذي يُقَوِّم اللسان، ويعصمه من الخطأ والزلل أريد به خدمة النطق الصحيح لكتاب الله ﷻ بعد انتشار العجمة في الألسنة واللحن في القراءة نتيجة اختلاط الحضارات المختلفة والتقائها مع المسلمين في مواسم الحج وبعد الفتوح الواسعة. والقصة معروفة بأن رجلا كان يقرأ قول الله ﷻ: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ (التوبة ٣) فتلاها خطأ بجر اللام في لفظ رسوله، مما يقلب المعنى تماما، وسمعه أبو الأسود الدؤلي فنهض يضع قواعد هذا العلم.

..... ولما باعدنا بيننا وبين كتاب الله تدبرا وبحثا وتلاوة ودرسا. بَعُدْنا عن منبع الخير كله، وتواكبت الهجمات الشرسة من أعداء الإسلام للنيل من لغة القرآن بغرض القضاء عليها واستبدال العامية بها، واحتجوا بأن الفصحى صعبة الفهم عزيزة المنال، وعزلها العلماء

العرب أنفسهم عن دائرة العلوم الحديثة، وضنوا بجهودهم في تعريب المصطلحات العلمية والفنية وتقريب المفاهيم للناطقين بالضاد. ورحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم إذ يقول على لسان اللغة العربية، وهى تنعى حظها:

وَسِعْتُ كتاب الله لفظا وغاية *** وما ضقت عن آى به وعظات
فكيفَ أضيق اليوم عن وصف آله *** وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن *** فهل ساءلوا الغواص عن صدفاته

ومن أسف فقد اشترك الجميع في ظلم اللغة فهجروا الفصحى، وتشدقوا بالرطنات الأجنبية أو الغريب السوقي من الكلام، وضحكنا ملء أشداقنا تندرا وسخرية من مظهر معلم الدين واللغة على المسرح أو في السينما أو التليفزيون هذا إلى جانب ضعف مستوى المعلمين، فوجدنا أغلب دارسي اللغة يبعدون عن هذا الحقل المقدس إلى دراسات أخرى، وعلى طريق تذوق اللغة العبقرية أقدم دراسة عن أنواع الواوات أصلية أو زائدة حتى لا نخلط بينها في الاستخدام على المستوى الشخصي أو في أجهزة الإعلام.

الواو حرف من الأحرف الجُوف: الياء والألف والواو، وذلك لأنها تخرج من هواء الجوف فلا أحياز لها تنتسب إليها كسائر الحروف التي تخرج من مدارج الحلق أو اللهاة أو اللسان، وهى من الحروف المجهورة التسعة عشر التي يجمعها: (ظل قوربض إذ غزا جند مطيع)، وذلك تمييزا لها عن الحروف المهموسة العشرة التي لان مخرجها دون المجهور، وجرى معه النفس، ويجمعها: (حثه شخص فسكت)، وكان الخليل بن أحمد يسمى الواو من الحروف الضعيفة والسبب في ضعفها انتقالها من حال إلى حال عند التصرف باعتلال[1].

ويكثر استخدام حرف الواو في كلام العرب أكثر من غيره، وكذلك حروف: أ، ل، م، ه ،. ى، ن، وقيمة الواو في حساب الجُمَّل (أبجد هوز) ستة من العدد.

## أنواع الواوات:

يقسم النحويون الواوات أنواعا متعددة مثل: العطف او الحال أو القسم أو الاستئناف وقد تجئ زائدة:-

### واو العطف:

وتسمى أيضاً واو النسق، وتفيد مطلق الجمع من غير ترتيب، ومثالها من القرآن الكريم في الآيات التالية:

---

([1]) لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف- المجلد٧، ص ٤٧٤٤.

أ) تعطف الاسم على سابقه، مثل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ (الحديد ٢٦).

ب) تعطف الاسم على لاحقه، مثل قول تعالى ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الشورى٣).

ج) تعطف الاسم على مرادفه، مثل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ﴾ (يوسف ٨٦).

د) تعطف العام على الخاص، مثل قوله تعالى ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٩٨)

ه) تعطف الخاص على العام، مثل قوله تعالى ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة ٢٣٨)

و) تعطف العقد على النَيفّ، مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ (ص ٢٣)

ز) تعطف المجرور على الجار، مثل قوله تعالى ﴿وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾ (المائدة: من الآية ٦)[١]

## * وتمتاز الواو عن سائر الحروف بخصائص منها:

- اقترانها بإما العاطفة، مثل قوله تعالى﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان٣)
- اقترانها بلا بعد نفى، مثل قوله تعالى ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى ﴾ (سبأ ٣٧).
- اقترانها بلكن، مثل قوله تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب ٤٠)

"والواو لا تقتضى الترتيب، ودليل ذلك قوله تعالى﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (القمر ١٦) فالواو هنا قبل نذر لا تفيد الترتيب، لأن عدالة الله ﷻ تأتى بالنذر قبل العذاب من قوله تعالى﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء ١٥)، كما يفهم أن الواو لا تفيد الترتيب من قوله تعالى حكاية عن منكرى البعث﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون ٣٧)، فلو كانت الواو بين لفظي نموت ونحيا للترتيب لكانت اعترافا منهم أي من منكرى البعث بالحياة بعد الموت لكنه مع إنكارهم يفهم عكس الترتيب أي نحيا

(١) السيوطي – الاتقان في علوم القرآن – جـ ١، ص ٢٣٣.

ونموت[1].

## واو الاستئناف:

ويكون ما بعدها جملة مستأنفة، مثل قوله تعالى ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء﴾ (الحج ٥)، وقوله تعالى﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ﴾ (الأنعام٢)، فلو كانت الواو عاطفة لنصب الفعل (نقر)، ونصب الاسم (أجل).

## واو الحال:

مثل قوله تعالى ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (القلم ٤٨)، وقوله تعالى ﴿وَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة٩٢)

## واو الصرف:

ويقال لها واو العلامة، وهي تأتي معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها، مثل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة٤٢)، ومثل قول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فلا يجوز إعادة لا قبل (ولا تأتي مثله)، فلذلك سمي صرفا، إذا كان معطوفا ولم يسبقم أن يعاد فيه الحادث الذي فيما قبله.

## واو القسم:

الواو من أدوات القسم، وهي جارة مثل قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (الشمس١)، وقوله ﴿وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ (الطور١)، وتدخل واو القسم على لفظ الجلالة وغيره مما يُقْسَم به بخلاف زميلاتها الباء والتاء، مثل قوله تعالى من آية واحدة ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام ٢٣)، التي تدخل على لفظ الجلالة فقط[2].

## واو بمعنى مع:

وتفيد المصاحبة مثل قول الرسول ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، وأشار بالسبابة والإبهام معا.

---

(1) – بهاء الدين العاملى – الكشكول– تحقيق الطاهر أحمد الزاوي– ط عيسى البابي الحلبي– جـ ١.، ص ٤٠١.

(2) السيوطي– الاتقان– جـ ١.، ص٢٣٣.

## واو ضمير الذكور:

في اسم أو فعل مثل قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ (القصص ٥٥).

## واو رب:

**مثل قول الشاعر: رؤبة بن العجاج من أرجوزة مطلعها:**

وقائم الأعماق خاوي المخترق  مشتبه الأعلام لَمّاع الخَفَق[١]

## الواوات الزائدة

تُزاد الواو في أحوال كثيرة منها:

*** واو بعد لا النافية في الجواب:**

مثل: إذا قيل لك، هل فعلت كذا وكذا؟ فتقول: لا، وعافاك الله،قال أبو الفرج بن الجوزي: روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال لرجل عَرّس أي تزوج، أكان كذا وكذا؟ كناية عن المباشرة، فقال: لا أطال الله بقاءك فقال سيدنا عمر ﷺ: قد عُلّمْ تُم فلم تتعملوا، هلا قلت: لا، وعافاك الله[٢].

وحُكَيِ عن الصاحب بن عباد أنه قال: هذه الواو الزائدة في الجواب، أحسن من واوات الأصداغ في وجنات الملاح، والمعروف أن العرب كانوا يشبهون الصدغ بحرف الواو، وفي ذلك يقول ابن قلاقس:-

قرنت بواو الصُّدْغ صاد المُقَبِّل  وأبديت لا ما في عذار مسلسل
فإن لم يكن وصل لديك لعاشق  فماذا الذي أبديت للمتأمل[٣]

*** واو الثمانية:**

وقد ذكرها جماعة من الأدباء ومن النحويين ومن المفسرين، وهي مستعملة في كلام العرب، فزعموا أنهم إذا عدوا، يدخلونها بعد السبعة، إيذانا بأن السبعة عدد تام، وأن ما بعده مستأنف[٤]، ومثل ذلك من القرآن الكريم:

١) في عدة أصحاب الكهف﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُ هُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (الكهف ٢٢).

---

(١) فقه اللغة وسر العربية- الثعالبي- طبعة الحلبي- ص٣٥٣.
(٢) ابن حجة الحموي- ثمرات الأوراق- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- ط الحلبي- جـ ١.، ص ٤٣٤ .
(٣) بهاء الدين العاملي- الكشكول- تحقيق الطاهر أحمد الزاوي- ط الحلبي- جـ ١.- ص٤٣٤.
(٤) فقه اللغة، ص٣٥٤.

٢) في صفات المؤمنين ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ١١٢).

٣) في وصف الزوجات ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم٥)

٤) في ذكر أبواب جهنم ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: من الآية ٧١)، ويلاحظ أن لفظ (فتحت) بلا واو لأن أبواب جهنم سبعة من قوله تعالى﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر ٤٤)[١].

ولما جاء ذكر أبواب الجنة أُلحق بها الواو لأنها ثمانية ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: من الآية ٧٣)، ويستفاد العدد ثمانية من حديث سيدنا عمر بن الخطاب الذي رواه مسلم،قال: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء"[٢].

ويقول النيسابوري: الجنة ثمان طبقات، والنار سبع طبقات، لأن الجنة فضل والنار عدل والفضل ينبغي أن يكون أكثر من العدل، وليس في النار إلا الجزاء، والزيادة في العذاب جور، وفي الثواب كرم، وحاشاه ﷻأن يجور أو يظلم.

ويذكر السيوطي في الإتقان في علوم القرآن أن الصواب عدم ثبوت هذه الواو وأنها في جميع الأحوال السابقة للعطف[٣].

*** واو عمرو:**

هي واو كتابية فقط، لتفرق بينه وبين عمر، وقد زيدت لأن عمر أثقل نطقا من عمرو وتضاف الواو بشروط ستة: أن يكون اسما علما، غير مضاف لضمير، غير مصغر، ولا يقرن بأل، أو منسوب، أو منصور منون، وإذا فقد شرطا من هذه الشروط لم تلحق به الواو.

وكان أبو عمرو الجاحظ يزعم أن عمرا أرشق الأسماء وأخفها وأطرفها وأسلسها، وكان يسميه الاسم المظلوم، ويعني بذلك إلزاقهم به الواو التي ليست من جنسه، وأنه يقع في أكثر الأمثلة المتداولة في علوم اللغة والأدب مضروبا أو مقتولا. وفي واو عمرو نظم الشعراء، فقال

---

(١) الثعالبي- فقه السنة- ص٣٥٤.
(٢) صحيح مسلم- جـ ١، ص١١٨.
(٣) السيوطي- الاتقان في علوم القرآن، جـ ١،ص ٢٣٤.

أبو نواس يهجو أشجع السلمي:

قل لمن يدعى سـ ليمى سفاه . ا　　لسـ ت منه ا ولا قلامـ ة ظف . ر
إنما أنت مـ ن سـ . . ليم كـ واو　　ألحقت في الهجاء ظلم ا بعمـ رو

**- وقال أبو سعيد الرستمي:**

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شـ اعرا　　ويحُرّمَ ما دون الرضـ ا شاعـ ر مثلي
كما سـ امحوا عمرا بـ واو مزيـ دة　　وضويق" بسم الله" في ألف الوصل [1]

**- وقال آخر:**

أفدي غـ زالا لهـ ا خـ ال بوجنتـ ه　　مع عارض شبه واو العطف ممـ دود
كأنما الخال فـ وق الخـ د يحرسـ ه　　حذار سـ . . رقة عمـ را واو داود[2]

## * وتزاد الواو (وسطا) في الأحوال التالية:

١) (أولى) الإشارية، ومدوها (أولاء)، ومنه: (أولئك).. ولا تزاد في (الألي) بمعنى الذين الموصولة مثل قول المجنون:

محا حبها حب الألي كن قبلها　　وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

أولو وأولى بمعنى أصحاب، مثل: ﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ (الأنفال ٧٥) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾ (طه١٢٨)

٣-أولات بمعنى صاحبات،مثل: ﴿وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق٤)[3]

## رمضان والواوات:

من أمثال العرب قولهم: وقع رمضان في الواوات، ويرون ذلك عندما يجاوز الشهر الكريم عِقْد العشرين، وتمر أيامه المباركة الطيبة سراعا، فعندئذ لا يذكر إلا بواو العطف، ويشهد لذلك قول محمد بن علي بن منصور بن بسام:

قد قرب الله بعد الجوع لي شبعا　　كأنني بهـ لال العيـ د قد طلعـ ا
فخذ لِلَهْ . . . . وِك في شـ . وال أهبته　　فإن شهرك في الواوات قد وقعا[4]

## الواوات شعرا:

---

(١) ثمرات الأوراق،ص ١١.
(٢) شهاب الدين الخفاجي- ريحانة الألبا- تحقيق عبد الفتاح الحلو- مطبعة عيسى الحلبي- ١٩٦٧، ط١،ص١٦٧.
(٣) عبد السلام هارون- قواعد الإملاء- مكتبة الخانجي- ١٩٨٦- ص٣١.
(٤) الكشكول- جـ ١،ص٤٣٥.

**جميع السراج الوراق أنواع الواوات شعرا فأحسن وأجاد:**

مالي أرى عمرا أَنّى اس تجرت ب ه ... قد صار عَمْرَا ب واو فيـ ه وانصـ رفا
وذ ام ع ن حاج ة نبهتـ ه غلط ا ... لهـ ا فألقيـ ت منـ ه السـ هد والأسـ فا
والمستجير بعمرو ق د سـ معتَ ب ه ... فمـ ا أزيـ دك تعريفـ ا بمـ ا عُرِفـ ا
وتل ك واو ولا والله مـ ا عطف ت ... ولو أتت واو عطف ما أتـ ت طرفـ ا
ولو غدت واو حال لـ م تسـ ر ولـ و ... أتى بهـ ا قسـ ما مـ ا بـ ر إن حلفـ ا
أو واو رب لما جَرَّت سوى أسـ ف ... وكثرتـ ه خلافـ ا للـ ذي ألفـ ا
أو واو مع لم أجد خيرا أتـ ى معهـ ا ... أو واو جمع غـ دا مـ ن فرقـ ة تلفـ ا
وليت صُدْغَا بها قـ د شَـ بّهُوه غـ دا ... يُكْوَى بنار وهـ ذا فـ ي السُّ لُو كفـ ى
والله يطمسـ ها واوا ذُكِـ رْتُ بهـ ا ... دالا بوسطى وكانـ ت قبـ ل ذا ألفـ ا[1]

## قواعد إملائية:

عند كتابة الواو تراعى بعض القواعد الإملائية.

١) تحذف الواو تخفيفا من مثل الأسماء التالية:- داود- طاوس- هارون- ناقوس.

٢) ولمعرفة الواوي والبائي من الألفاظ عند الكتابة تراعى الضوابط التالية:

- بالتثنية مثل: عصوين، فتيين في: عصا، وفتى.
- بالجمع مثل: مهوات، رحيات في: مها، رحى.
- بالمصدر مثل: الغزو،الرمي في: غزا، رمي.
- باسم المرة مثل: العدوة، السَّعية في: عدا، سعى.
- باسم الهيئة مثل: الرعية في: الرعي.
- بالمضارع مثل: يغزو: في غزا، ويقني في: قنى.
- بالإسناد لضمير الفاعل مثل: سموت، هديت، في: سما، هدى[2].

كان هذا تجوالا في بستان لغتنا العبقرية، طوفت فيه على حرف واحد من حروفها.

وبعد...أما آن لنا أن نفيق من غفوتنا، لنرى فداحة الخطر المحدق بنا من أعـ داء الإسـ لام والعربية الذين يتربصون بنا الدوائر، ويتسللون من ثغرات هينة حيث يروجون العامية أسـ لوبا وطريقة للتفاهم أو الكلام، فينخرون في البنيان العظيم للفصحى، وهي لسان العقيدة الطلق فنبعـ د عن كتاب الله تعالى ونضيع، ويُذْكَر هنا نداء حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية:-

---

(١) الكشكول- جـ ١، ص٤٣٧.
(٢) عبد السلام هارون- قواعد الإملاء، ص٢٦، ٤١.

إلى معشر الكتاب والجمـ ـع حافـ ـل *** بسطت رجائي بعد بسط شـ ـكاتي
فإما حياة تبعث المَيْتَ فـ ـي البِلَـ ـى *** وتنبت في تلك الرؤوس رفـ ـاتي
وإمـ ـا ممـ ـات لا قيامـ ـة بعـ ـده *** ممات لَعَمْرِي، لم يُقَسْ بممـ ـات

وصدق الله العظيم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ صدق الله العظيم.

# J&o

## أولا: J


١. ابن الأثير ت(٦٣٠هـ .) أبو الحسن علي بن محمد الجزري "أسـ د الغاب ـة فـ ي معرف ـة الصحابة" –تحقيق إبراهيم الإبياري– طبعة دار الشعب– ٧أجزاء– (بدون تاريخ)

٢. الأبشيهي ت(٨٥٠هـ .) محمد بن أحمد الخطيب" المستطرف من كـ ل فـ ن مسـ تظرف"– منشورات مكتبة دار الحياة–بيروت– ١٩٨٨.

٣. البخاري ت(٢٥٦هـ .)أبو عبد الله محمد بن إسماعيل" صحيح البخاري"– طبعـ ـة عيسـ ى البابي الحلبي–٤أجزاء

٤. ابن حزم ت(٤٥٦هـ .) أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي" جمهرة أنساب العرب" تحقيـ ق عبد السلام أحمد هارون– دار المعارف

٥. ابن خلكان ت(٦٨١هـ .) أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد "وفيات الأعيـ ان وأنبـ اء الزمان"– تحقيق د. إحسان عباس– دار الثقافة بيروت– ٨ أجزاء.

٦. ابن عبد ربه ت(٣٢٨هـ .) "العقد الفريد"– تحقيق مفيد قميحة– دار الكتب العلمية بيروت– ٩ أجزاء ١٩٨٣.

٧. ابن قدامه ت(٦٣٠هـ .) أبو محمد عبد الله بن محد

٨. "المغني"– مكتبة الرياض الحديثة– ١٩٨٠

٩. "الرقة والبكاء"– تحقيق محمد أبو العينين– مكتبة دار الصحابة للتراث بطنطا –١٩٩٢

١٠. ابن قيم الجوزية ت ٧١٠هـ .) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر " زاد المعـ اد في هدى خير العباد" – تحقيق طه عبد الرؤوف سعد– طبعة مصطفى الحلبي– جـ زئين– ١٩٧٠.

١١. " الطب النبوي " – تحقيق عبد الغنى عبد الخالق، ومحمود فرج العقـ دة طـ . عيسـ ى الحلبي– ١٩٨٠.

١٢. ابن كثير– ت (٧٧٤هـ .) أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشى الدمشقي " تفسير القرآن العظيم"–ط . عيسى البابي الحلبي– ٤ أجزاء.

١٣. " الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث" – تحقيق محمد أحمد شـ اكر دار التـ راث– ١٩٧٩.

١٤. ابن منظور ت (٧١١هـ .) على بن محمد بن مكرم الأنصاري" لسان العرب"- تحقيق عبدالله الكبير وآخرين- دار المعارف- ٧ أجزاء (د.ب).
١٥. ابن هشام ت (٢١٣هـ .) أبو محمد عبد الملك المعافري.
١٦. " السيرة النبوية"- تحقيق السقا وآخرين- طبعة مصطفى الحلبي- جزئين – ١٩٥٥.
١٧. أبو نعيم ت (٤٣٠هـ .) أحمد بن عبد الله الأصفهاني" حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – دار الفكر بيروت – ١١ جزء (د.ت).
١٨. الثعالبي. ت (٤٤٢٩هـ .) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل = " فقه اللغة وسر العربية"- تحقيق السقا وآخرين- طبعة مصطفى الحلبي- ١٩٧٢.
١٩. الرازي- ت (القرن السابع الهجري) محمد بن أبى بكر بن عبد القادر " من غرائب أي التنزيل"- تحقيق إبراهيم عطوة عواض- طبعة مصطفى الحلبي- ١٩٨٥.
٢٠. الأسيوطي- ت (٩١١هـ .) جلال الدين ابن عبد الرحمن " الإتقان في علوم القرآن"- طبعة مصطفى الحلبي- ١٩٧٨.
٢١. الشافعي – ت (٢٠٤هـ .) أبو عبد الله محمد بن إدريس " الأم" طبعة دار الشعب – (د.ت)
٢٢. " نهج البلاغة" – المختار من كلام الإمام على- شرح الإمام محمد عبده- تحقيق محمد أحمد عاشور، ومحمد البنا- ط . دار الشعب.
٢٣. الغزالي- ت (٥,٢هـ .) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري" الجامع لأحكام القرآن" – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر- ٢٠ جزء – ١٩٦٧.
٢٤. مالك بن أنس ت (١٧٩هـ .) " الموطأ" – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – ط . -. دار الشعب (د.ت)
٢٥. مسلم – ت (٢٦١هـ .) أبو الحسين بن الحجاج القشيري " صحيح مسلم " – ط .- عيسى البابي الحلبي (د.ت)
٢٦. الماوردي ت (٤٥٠هـ .) أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري " أدب الدنيا والدين" – تحقيق مصطفى السقا- ط .- مصطفى الحلبي- ط . ٤ – ١٩٧٣.
٢٧. المناوي ت (١٠٣١هـ .) عبد الرؤوف زين الدين الحدادي " مختصر شرح الجامع الصغير للسيوطي" – تحقيق مصطفى عمارة – ط .- عيسى الحلبي – ١٩٥٤.
٢٨. الميداني ت (٥١٨هـ .) أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم " مجمع الأمثال". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ط .- عيسى الحلبي- جزئين – (د.ت)

٢٩. بيروت الحموي – ت (٦٨١هـ .) شهاب الدين أبى عبد الله –
٣٠. " معجم الأدباء" – دار الفكر ٢٠ جـ .– ١٩٨٠ ٢٩
٣١. " معجم البلدان" – دار صادر بيروت ٥جـ . ١٩٧٩

## ثانياً: O

١. أبو بكر الجزائري– منهاج المسلم – مكتبة الدعوة الإسلامية.
٢. أبو الوفا مصطفى المراعي– من قضايا المال والعمال في الإسـ ـلام– مجمـ ـع البحـ وث الإسلامية بالأزهر – ١٩٨٠.
٣. أحمد حسن الباقوري– على إمام الأئمة – مكتبة مصر.
٤. د. أحمد عمر هاشم – معالم على طريق السنة– المجلس الأعلى للشـ ئون الإسـ ـلامية – ١٩٧٦.
٥. أحمد فتحي بهمسي– الحد والتعزير– مكتبة الوعي العربي.
٦. توفيق أبو علم أهل البيت.
٧. جميل بسيوني – أصول الإثبات وضعا وشرعا– مجمع البحوث الإسلامية.
٨. د. حسن إبراهيم حسن– تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتمـ ـاعي – مكتبـ ـة النهضة المصرية ١٤ جزء– ط .٩– ١٩٧٩.
٩. حسنين محمد مخلوف – المواريث في الشريعة الإسلامية – لجنة البيان العربي – ط .٣– ١٩٥٧.
١٠. حنا الفاخوري – الفخر والحماسة– دار المعارف – ١٩٨٠.
١١. د. الحسيني عبد المجيد هاشم– أئمة الحديث النبوي– مجمع البحوث الإسلامية.
١٢. د. زكريا البرى– الوسيط في أحكام التركات والمواريث– دار النهضة الإسلامية.
١٣. د. زكريا البرى– الوسيط في أحكام التركات والمواريث– دار النهضة المصرية.
١٤. السيد سابق– فقه السنة– دار التراث – ٣ أجزاء.
١٥. سيد قطب– في ظلال القرآن – دار الشروق ٦ أجزاء– ط .٧– ١٩٧٨.
١٦. سيد قطب – العدالة الاجتماعية في الإسلام – دار الشروق – ط .٦– ١٩٧٩.
١٧. د. شعبان محمد إسماعيل – مع القرآن الكريم في تاريخه وخصائصه وأحكامه وأسراره وقراءاته.
١٨. د. شوقي عبده الساهي– عدالة الإسلام في أحكام المواريث.
١٩. عباس محمود العقاد– عبقرية الإمام.

٢٠. عبد الرحمن الشرقاوي- علي إمام المتقين- مكتبة غريب.
٢١. عبد الفتاح القاضي- المصحف الشريف في تاريخه وأحكامه- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٩٦٨.
٢٢. د. عبد الله شحاتة – علوم الدين الإسلامي- الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣. د. عبد الحليم محمود- السنة الشريفة ومكانتها في الإسلام – مجمع البحوث الإسلامية – ١٩٧٨.
٢٤. عمر عبد الله – أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية- دار المعارف- ط ٢.- ١٩٥٧.
٢٥. محمد رشيد رضا- تفسير المنار- الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٥.
٢٦. د. محمد زايد يوسف – تأريخ كتابة المصحف- مؤسسة عكاظ- جدة- ١٩٩٢.
٢٧. محمد الطيب النجار- تدوين السنة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٩٦٤.
٢٨. محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- مطبعة عيسى الحلبي – جزئين.
٢٩. محمد على الصابوني- روائع البيان في أحكام القرآن.
٣٠. محمد على الصابوني- المواريث.
٣١. محمد الغزالي- فقه السيرة- طبعة دار الشعب.
٣٢. محمد فؤاد عبد الباقي- المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم- الشعب.
٣٣. د. مصطفى ألشيبي- الصلة بين التصوف والتشيع – دار المعارف.
٣٤. د. نجاشي على إبراهيم – أحكام الميراث في الفقه الإسلامي- المكتبة التوفيقية – ١٩٧٨.
٣٥. د. يوسف قاسم الحقوق المتعلقة بالتركة – دار النهضة العربية.
٣٦. دائرة المعارف الإسلامية – ط .- دار الشعب.
٣٧. دائرة معارف الشعب – دار الشعب ١٩٥٩.
٣٨. الفتاوى الإسلامية – دار الإفتاء المصرية.